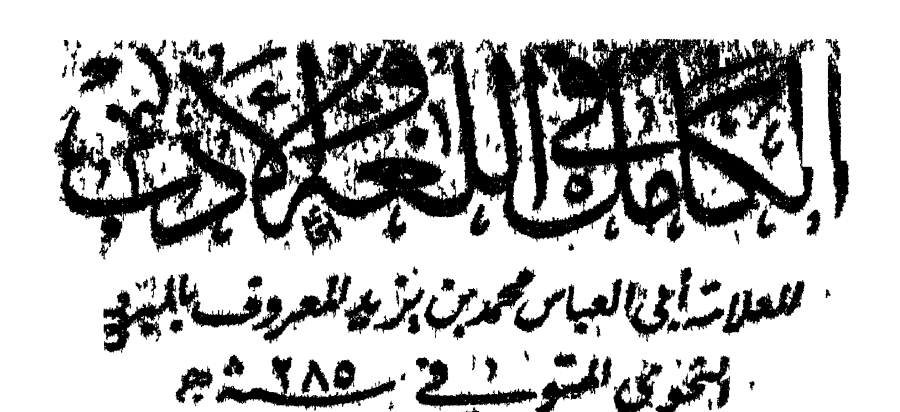


سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها اهـ

ابن خلدون

الجزء الثاني

روجعت وقوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بمعرفة لجنة من العلماء

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

بمصر ص. ب ٥٧٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

شارع درب الشاهم ١٣

الكامل في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

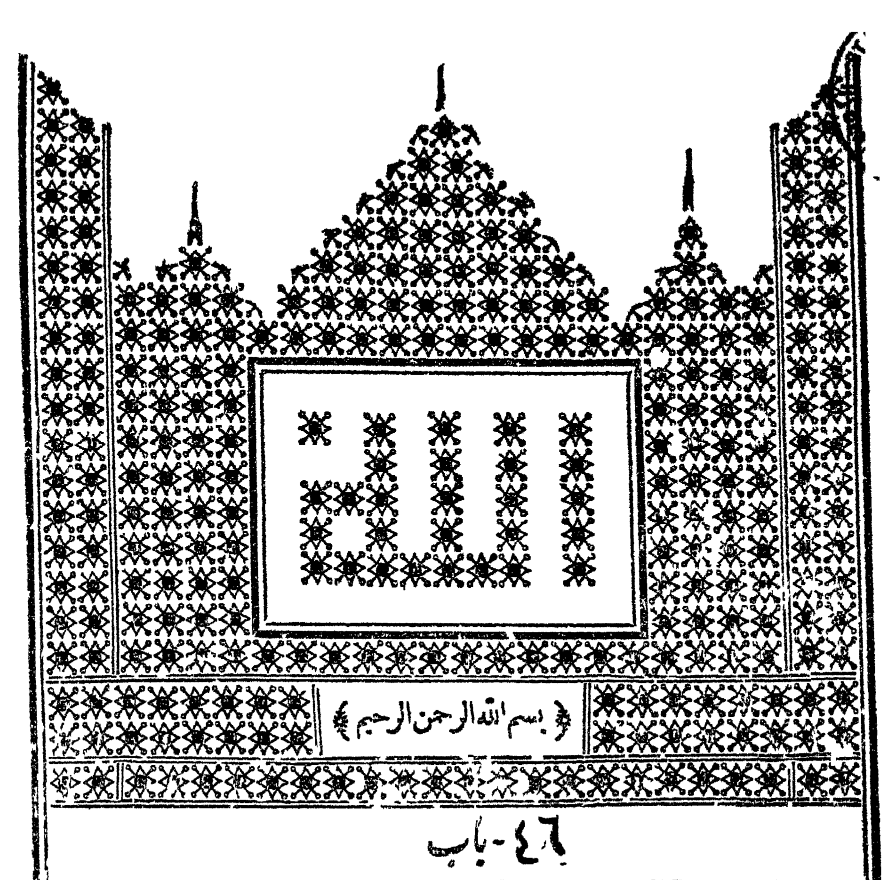
سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن
أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين
وهى كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب
لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ
وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى
وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع
منها اﻫ ؟ ابن خلدون

الجزء الثاني

روجعت وقوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية
بمعرفة لجنة من العلماء

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص. ب ٥٧٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع نوبار باشا رقم ١٢



٤٦ - باب

قال أبو العباس نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئا لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال
ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح اليه
القلب وتسكن اليه النفس قال أبو الدرداء رحمه الله اني لاستجم نفسي بالشيء من الباطل
ليكون أقوى لها على الحق وقال علي بن أبي طالب رحمه الله القلب اذا أكره عمي وقال ابن
مسعود رحمه الله القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة وقال ابن عباس
رضي الله عنه العلم أكثر من ان يؤتى على آخره فخذوا من كل شيء أحسنه وليس هذا
الحديث من الباب الذي ذكرنا ولكن نذكر الشيء بالشيء اما لاجتماعهما في لفظ واما
لاشتراكهما في معنى وقال الحسن وليس من هذا الباب حادثوا هذه القلوب فانها سريعة
الدثور واقدعوا هذه الانفس فانها طلعة وانكم الا تزعوها تنزع بكم الى شر غاية وقد مضى

تفسير هذا الكلام وقال أردشير بن بابك ان للآذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما وكان أنوشروان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء ويروى انه أصيب في حكمة آل داود لا ينبغي للعاقل ان يخلي نفسه من واحدة من أربع من عدة لمعاد أو اصلاح لمعاش أو فكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده أو لذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبت انك تنام نوم القائلة وذوو الحاجة على بابك غير نائم فقال له يا بني ان نفسي مطيتي فان حملت عليها في التعب حسرتها أي أكللتها قوله حسرتها أبلغت بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وأنشد أبو عبيدة

ان العسير بها داء مخامرها * فشطرها نظر العينين محسور

قوله فشطرها يريد قصدها ونحوها قال الله جل وعز فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الشاعر

لهن الوجا لم كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وحسير

يعني الابل يقول هي المفرقة كما قال الآخر

ما فرق الالاف بعد الله الا الابل

ولا اذا صاح غرا * ب في الديار احتملوا

وما غراب البين الا ناقة أو جمل

(قال أبو الحسن وزادني فيه غير أبي العباس

والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا

والبائس المسكين ما * تطوى عليه الرحل

ويقال انه لابي الشيص) قال أبو العباس فمن قال آلف للواحد قال للجميع ألاف كعامل وعمال وشارب وشراب وجاهل وجهال ومن قال الف قال للجميع آلاف فهو تقدير عدل

واعدال وحمل واحمال ونقل واثقال وقد أنصف الابل الذى يقول

ألا قرعى الله الرواحل انها * مطايا قلوب العاشقين الرواحل

على انهن الواصلات عرى النوى * اذا ما نأى بالآلفين التواصل

وقال الآخر

اقول والهوجاء تمشى والفضل * قطعت الاحداج أعناق الابل

الهوجاء التى تجد فى السير وتركب رأسها كأن بها هوجا كما قال * لله در اليعملات الهوج *

وكما قال الاعشى

وفيها اذا ما هجرت عجرفية * اذا خلت حرباء الوديقة أصيدا

والفضل مشية فيها اختيال كأن مشيتها تخرج عن خطامها فتفضل عليه والاصل فى ذلك ان

يمشى الرجل وقد أفضل من ازاره وتمشى المرأة وقد أفضلت من ذيلها وانما يفعل ذلك من

الخيلاء ولذلك جاء فى الحديث فضل الازار فى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى

تميمة الهجيمى واياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم سبل الازار وقال الشاعر (ويقال انه لقيس بن الحطيم)

ولا ينسبنى الحدثان عرضى * ولا أرخى من المرح الازارا

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصارى

تمشى الهوينا اذا مشت فضلا * كأنها عود بانة قصف

(قال أبو الحسن على بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن الحطيم الانصارى أعنى

تمشى الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليد الامام مفتخرا * أنعم بالى واتبع الغزلا

أنقل رجلى الى مجالسها * ولا أبالى مقال من عذلا

غراء فرعاء يستضاء بها * تمشي الهوينا اذا امشت فضلا

ثم نعود الى الباب قال الراجز يعني ابله أو ناقته

ان لها لسائقا خدلجا * لم يدلج الليلة فيمن أدلجا

الخدلج المدمج الساقين وانما عنى المرأة التي ساقه حبه اليها والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الاصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه ما يقع مثلا فيكون ابلغ في الوصف والكناية تقع على ثلاثة أضرب احدها التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي

اكني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أحب المكان القفر من اجل أنني * به اتغنى باسمها غير معجم

وقال أحد القرشيين هو محمد بن نمير الثقفي

وقد أرسلت في السر ان قد فضحتني * وقد بحت باسمي في النسيب وما تكني

ويروى ان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق الى امرأة محرمة وهو الما بذات الخال فاستطلعا لنا * على العهد باق ودها أم تصرما

وقولا لها ان النوى أجنبية * بنا وبكم قد خفت ان تتيمما

قال فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما كان بعد مديدة قال له ابن أبي ربيعة أما علمت أن الجواب جاءنا من عند ذلك الانسان فقال له ما هو فقال كتبت

أضحى قريضك بالهوى نماما * فاقصد هديت وكن له كتاما

واعلم بان الخال حين ذكرته * قعد العدو به عليك وقاما

ويكون من الكناية وذلك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى ما يدل على معناه

من غيره قال الله وله المثل الاعلى أُحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم وقال أو لامستم النساء والملامسة في قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية انما هو اللمس بعينه يقولون في الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك قولهم في قضاء الحاجة جاء فلان من الغائط وانما الغائط الوادي وكذلك المرأة قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فكم من غائط من دون سلمى * قليل الانس ليس به كتيع

وقال الله جل وعز في المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كناية عن قضاء الحاجة وقال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وانما هي كناية عن الفروج وهذا كثير والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو ان يعظم الرجل أن يدعى باسمه ووقعت في الكلام على ضربين وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بان يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وانما يقال كنى عن كذا بكذا أي ترك كذا الى كذا البعض ما ذكرنا وكان خالد بن عبد الله القسري لعنه الله يلعن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبي الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول أكنيت فهذا تأويل هذا قال أبو العباس ونرجع الى الباب الذي قصدناله قال اعرابي

وحقة مسك من نساء لبستها * شبابي وكأس باكرتني شمولها

جديدة سربال الشباب كأنها * اباءة بردي سقتها غيولها

مخملة باللحم من دون خصرها * تطول القصار والطوال تطولها

قوله باكرتني شمولها زعم الاصمعي ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة

الريح الشمال وقوله اباءة بردي الأباءة القصبة وجمعها الأباء قال كعب بن مالك الانصارى

من سره ضرب يرعبل بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق

المعمعة صوت احراقه يقال سمعت معمعة القصب والقوصرة فى النار أى صوت احتراقها واغاشبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وماوالاه ورقته قال حميد بن ثور الهلالى

لم ألق عمرة بعد اذهى ناشئ * خرجت معطفة عليها مئزر

(العطاف الوشاح من النساء)

برزت عقيلة أربع هاديتها * بيض الوجوه كانهن العنقر

(العنقر أصول القصب يقال عنقر وعنقر) وفى هذا الشعر

ذهبت بعقلك ربطة مطوية * وهي التى تهدى بها لو تنشر

(قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب فى قوله لو تنشر تشعر)

فهممت ان أغشى اليها محجرا * ولمثلها يغشى اليه المحجر

وقوله سقتها غيول لها الغيل ههنا الأجمة ومن هذا قولهم أسد غيل قال طرفة

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر

وقد أملينا جميع ما فى الغيل والغيل وقوله تطول القصار والطوال نطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فعل وهو ما يقع فى نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ما كان كريما فكرم وما كان وضيعا ولقد وضع وما كان شريفا وتقد شرف وكان الشئ صغيرا فكبر وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طول وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ماقبلهما وهما متحركان وعلى ذلك يقال فى الفاعل فعيل نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولنى فطلته أى فعلونه طولا فتقدير فعل نحو خاصمنى فخصمته وضاربنى فضربته وتاء له طائل كقولك ضارب وخاصم وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الربعة واذا

مشى مع الطوال طالهم وقال رياحُ بن سُنَيحٍ الزنجيُّ مولى بنى ناجية وكان فصيحاً يُجيب جريراً لما قال جرير

لا تطلبنّ خُؤولةً فى تغلبٍ * فالزِنجُ أكرمُ منهمُ أخوالا

فحرك رياح فذكر أكثر من ولدته الزنج من أشراف العرب فى قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها

والزنجُ لو لاقيتهم فى صفّهم * لاقيت ثمَّ جحاجحاً أبطالا

ما بالُ كلبِ بنى كُليبٍ سبَّهم * ان لم يُوازن حاجباً وعقالا

ان الفرزدق صخرةٌ عاديَّةٌ * طالتْ فليس تنالُها الأجبالا

يريد طالت الاجبالَ فليس تنالُها ثم نعود الى ذكر الباب وقال مروانُ بن أبى حفصة وهو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة واسم أبى حفصة يَزيدُ

انّ الغوانىَ طالما قتَلْنَنا * بعيونهنّ ولا يَدِينَ قتيلا

من كل آنسةٍ كأنّ حِجالَها * ضُمِّنَ أحورَ فى الكناس كحيلا

أرْدَيْنَ عروةَ والمرقِّشَ قبله * كلٌّ أُصيب وما أطاق ذُهولا

ولقد تركنَ أبا ذُؤيبٍ هائماً * ولقد تبلْنَ كُثَيِّراً وجميلا

وتركنَ لابن أبى ربيعة منطقاً * فيهنّ أصبح سائراً محمولا

الا أكنْ ممن قتلْنَ فانّنى * ممن تركنَ فؤادَه مخبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال وَدَى يدى وكل ما كان من فَعَلَ مما فاؤه واو ومضارعه يفعِلُ فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على فَعِلَ يفعِلُ لان العلة فى سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن فى يدين علة أخرى وهى ان الياء التى هى لام الفعل بعد كسرة فهى تعتلّ اعتلال آخر يرمى وأوله يعتل اعتلال واو يعدو احتمل علتين لان بينهما حاجزا ومثل ذلك وَحَى يحى ووَقَى يقى ووَفَى يفى ووَشَى يشى ووَنَى فى أمره ينى . . .

ذلك ويقع فى فعل محوولى الامير الآن يلى فاذا أمرت كان الفعل على حرف واحد فى الوصل لاتصاله بما بعده تقول يا زيد ع كلاما وش ثوبا وتقول ل عمرا يا زيد من ولبث فاذا وقفت قلت له وشه وقه لا يكون الا ذلك لان الواو تسقط فيبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى ألف وصل فاذا وقفت احتجت الى ساكن تقف عليه فأدخلت الهاء لبيان الحركة فى الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال لك الفظ لى بحرف واحد غير موصول فقد سألك محالا لانك لا تبتدئ الا بمتحرك ولا تقف الا على ساكن فقد قال لك الفظ لى بساكن متحرك فى حال وقوله ضمن يقال ضمن القبر زيدا وضمن القبر زيد كل صحيح فمن قال ضمن القبر زيدا فانما أراد جعل القبر ضمين زيد ومن قال ضمن زيد القبر فانما أراد جعل زيد فى ضمن القبر وينشد هذا البيت على وجهين (لابى حية النميرى)

وما غائب من غاب يرجى ايابه * ولكنه من ضمن اللحد غائب

ومن روى من ضمن اللحد غائب يريد من ضمنه اللحد وحذف الهاء من صلة من وهذا من الواضح الذى لا يحتاج الى تفسير وقوله أحور يعنى ظبيا وأهل الغريب يذهبون الى أن الحور فى العين شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها والذى عليه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد وقد فسرنا الحور والحوارى والكناس حيث تكنس البقرة والظبية وهو أن تتخذ فى الشجرة العادية كالبيت تأوى اليه وتتعرف فيه فيقال ان رائحته أطيب رائحة لطيب ما ترتعى قال ذو الرمة

اذا استهلت عليه غبية أرجت * مرابض العين حتى يأرج الخشب

كأنه بيت عطار يضمنه * لطائم المسك يحويها وتنتهب

قوله غبية هى الدفعة من المطر وعند ذلك تتحرك الرائحة والأرج توهج الريح وانما يستعمل فى الريح الطيبة والعين جمع عيناء يعنى البقرة الوحشية وبها شبهت المرأة فقيل حور عين

واللطيمة الابل التي تحمل العطر والبز لا تكون لغير ذلك فيقول ضمن ظبيا أحور العين أكحل وجعل الجمال كالكناس وقال ابن عباس في قول الله جل وعز فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال اقسم ببقر الوحش لانها خنس الأنوف والكنس التي تلزم الكناس وقال غيره اقسم بالنجوم التي تجري بالليل وتخنس بالنهار وهو الاكثر وقوله أردين يقول أهلكن والردى الهلاك والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذهل عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (قال الله عز وجل يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت أي تسلي وتنسى عنه الى غيره) قال كثير

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل * وأضحى يريد الصرم أو يتدلل

وقوله ولقد تبلن كثيرا وجميلا أصل التبل الترة يقال تبلي عند فلان قال حسان بن ثابت

تبلت فؤادك في المنام خريدة * تشفي الضجيع ببارد بسام

والخريدة الحيية وقوله ممن تركن فؤاده مخبولا يريد الخبل وهو الجنون ولو قال مخبولا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا في الحبالة كما قال الاعشى

فكلنا هائم في اثر صاحبه * دان وناء ومخبول ومختبل

وخبرت أن رجلا جافيا عشق قينة حضرية فكانا مها يوما على ظهر الطريق فلم تكلمه فظن أن ذلك حياء منها فقال يا خريدة قد كنت أحسبك عروبا فيا بالنا عقل وتشنئينا فقالت يا ابن الخبيثة أتحشمني بالهمز الخريدة الحيية والعروب الحسنة التبعل وفسر في القرآن على ذلك في قول عربا أترابا فقيل هن المحبات لازواجهن قال أوس بن حجر ويقال عبيد ابن الأبرص

وقد لهوت بمثل الرئم آنسة * تصبي الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الليثي أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به الى النساء شيأ الا أنه كان

يحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته فاخلفته فتحين وقت مرورها فقال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وان خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظر تحينها فى أخرى فتلا ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان وشى به اليها واش كتب اليها يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة * وذكروا أن أبا القاسم بن بحر السقاء عشق جارية مدنية فبعث اليها ان اخوانا لى زارونى فابعثى الى برؤس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ففعلت فلما كان اليوم الثانى بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثى الى بقلية جزورية وبقرية قديرة حتى نتغداها ونصطبح على ذكرك فلما كان فى اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثى الى بسنبوسق حتى نصطبح اليوم على ذكرك فقالت لرسوله انى رأيت الحب يحل فى القلب ويفيض الى الكبد والأحشاء وان حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن فى أن يطلق له أن يهدى الى أمير المؤمنين المهدى فى النيروز والمهرجان فأهدى فى أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب وقد كتب فى حواشيه

نفسى بشىء من الدنيا معلقة . الله والقائم المهدى يكفيها

انى لأيأس منها ثم يطمعنى . فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتى وخدمتى أتدفعنى الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومتكسب بالعشق فأعفاها وقال املؤا له البرنية مالا فقال للكتاب أمر لى بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن اذا شئت أعطيناك دراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف فى ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكرى صفحا ودعت أبا الحرث جميز واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلت فداك لا أسمع للغداء ذكرا

قالت أما تستحي أما في وجهي ما يشغلك عن ذا قال لها جعلني الله فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيأ لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا وأنشدت لأعرابي

وقد رابني من زهدهم أن زهدهم * يشدّ على خبزي ويبكي على جملي

فلو كنت عذري العلاقة لم تكن * سمينا وأنساك الهوى كثرة الأكل

وقال أعرابي

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبّا * وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

وقال ذو الرمة

ألم تعلمي يا ميّ أنّا وبيننا * مهاوٍ لطرف العين فيهن مطرح

ذكرتك اذ مرت بنا أم شادن * أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرّة * شعاع الضحى في لونها يتوضح

هي الشبه أعطافا وجيدا ومقلة * وميّة أبهى بعد منها وأملح

كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهّى به السيل أبطح

لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى * تباريح من ذكراك للموت أروح

قوله مهاوٍ واحدها مهواة وهو الهواء بين الشيئين ويقال لفلان في داره مطرح اذا وصفها بالسعة يقال فلان يطرح بصره كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه

مطارة حتى [illegible] راكبها * [illegible] تحديد

[illegible] من [illegible] الحرّ العطش والأرواح [illegible] أي [illegible]

[illegible] يقال اذا [illegible] وقال هو [illegible] وقوله

المؤلفات يقال آلفت [illegible] يقال [illegible] وفي القرآن لايلاف قريش

الافهم [illegible] وقوله [illegible]

على شئ نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله وأصل الهجان الابيض والعِطْف
ما انثنى من العنق قال ثانيَ عِطْفه ويقال للاَرْدِيَة العُطُف لانها تقع على ذلك الموضع
وفى الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفا
لينبئهم فى قريش فقال اخرجوا بنا الى البَقيع فنظر الى أكُفّهم ثم قال اطرحوا
العُطُف واحدها عِطاف ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست باكُفّ
قريش ولا شمائلها فاعطاهم فيمن هم منه والجِيدُ العنق والبُرَى الخلاخيل واحدتها
بُرَةٌ وهى من الناقة التى تقع فى مارِن الانف والذى يقع فى العظم يقال له الخشاش والعاجُ كان
يتخذ مكان الاَسْوِرَة قال جرير

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيّ جَوْنا بكوعها * لها مَسَكا من غير عاجٍ ولا ذَبْلِ

العبس ما يتعلق من الاَبْعار والبول باذناب الابل والوَذَحُ الذى يتعلق باطراف ألْاء الشاء
ويكون العبس فى أذناب الابل من البول اذا خُثِّروا الجون ههنا الاسود وهو الاغلب فيه
والكوع رأس الزَّنْد الذى يلى الابهام والكُرْسوعُ رأسه الذى يلى الخنصر والمَسَكَةُ السوارُ
والذَّبْلُ شئ يتخذ من القرون كالاسورة ويقال سِوارٌ وسُوارٌ واسْوارٌ قالت الخنساءُ

* كانه تحت طَيّ البُرْدِ اسْوارُ * والعشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادى يقال
أبْطَحُ وبِطَحاءُ يافتى وأبرقُ وبِرقاءُ وأمعزُ ومَعْزاءُ وهذا كثير والتباريح الشدائد يقال بَرَّحَ
به وفى الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا بَرْحًا والعرب لا تعرفه الاساكن الراء قال جرير

ما كنتُ أوّلَ مَشْغوفٍ أضَرَّ به * بَرْحُ الهوى وعَذابٌ غيرُ تفْتير

(قال أبو الحسن وقد سمعنا من غير أبى العباس يقال لقيت منه بَرْحًا بالفتح ويقال لقى منه
البُرَحِينَ أى الدواهىَ الشدادَ التى تُبَرِّح) قال أبو العباس فى المثل السائر قيل لرجل ما خفى
قال مالم يكن وفى تفسير هذه الآية يعلم السرّ وأخفى قال ما حدّثت به نفسك كما قال أو أ كنتم

فى أنفسكم وتقديره فى العربية وأخفى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظم وانه لكالبقة أو أصغر ولو قال رأيت زيدا أو شبيها لجاز لان فى الكلام دليلا ولو قال رأيت الجمل أو را كبا وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه والاول انما قرّب شيأ من شئ وههنا انما ذكر شيأ ليس من شكل ما قبله فاما قوله جل ثناؤه وهو أهون عليه ففيه قولان أحدهما وهو المرضى عندنا انما هو وهو عليه هيّن لان الله جل وعز لا يكون عليه شئ أهون من شئ آخر وقد قال معن بن أوس

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل * على أينا تغدو المنية أول

أراد وانى لوجل وكذلك يتأول ما فى الاذان الله أكبر الله أكبر أى الله كبير لانه انما يفاضل بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكله فى باب فأما الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منك فوجهه بيّن لانه من طريق العلم والمعرفة والبذل والاعطاء وقوم يقولون الله أكبر من كل شئ وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شئ وكذلك قول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال للذى يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا * ألأم قوم أصغرا وأكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة فى ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحرث بن شهاب وفخر بنى أسد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم

فخرت بنو أسد بمقتل واحد * صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ما قلنا فى بيته الثانى بقوله

نخروا عقتله ولا يوفي به * مثنى سرائهم الذين نقتل

والقول الثاني في الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشئ عند الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيأ من لاشئ ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذي ذكرناه وقال عمرو بن العاص اذا أنا أفشيت سرى الى صديق فأذاعه فهو في حل فقيل له وكيف ذاك قال أنا كنت أحق بصيانته وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

وأحسن ما سمع في هذا ما يعزى الى على بن أبي طالب رضى الله عنه فقائل يقول هوله و يقول آخرون قاله متمثلا ولم يختلف في أنه كان يكثر انشاده

فلا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

فانى رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا

وذكر العتبي أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبي فقلت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أو يدخل هذا بين الرجل وأبيه فقال لا ولكني أكره أن تذلل لسانك بافشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتقك أخي من رق الخطأ وقال معاوية أعنت على على رحمه الله بأربع كنت رجلا أكتم سرى وكان رجلا ظهرة وكنت في أطوع جند وأصلحه وكان في أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون على منه وان ظفر بهم اعتددت بها عليه في دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الى ومفرق عنه يعدون لي وعون عليه وقال أردشير انا في كل

مكتوم وقال الاخطل

انّ العداوة تلقاها وان قدمت * كالعرّ يكمن حيناً ثم ينتشر

وقال جميلٌ

ولا يسمعن سرّي وسرّك ثالثٌ * ألا كلُّ سر جاوز اثنين شائع

وقال آخر وهو مسكين الدارميّ

وفتيان صدق لست مطّلع بعضهم * على سرّ بعض غير اني جماعها

يظلّون في الارض الفضاء وسرهم * الى صخرة أعيا الرجال انصداعها

(لكل امرئٍ شعب من القلب فارغ * وموضع نجوى لا يرام اطلاعها)

وقال آخر

سأكتم سرّي وأحفظ سرّه * ولا غرّني أنّي عليه كريم

حليم فينسى أو جهول يضيعه * وما الناس الا جاهل وحليم

وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره ولم يبده لصديقه فيوشك أن يصير عدوّا فيذيعه وقال آخر

ولي صاحب سري المكتم عنده * مخارق [illegible] لما تمتت

عطفت على أسراره فكسوتها * ثيابا من الكتمان لا تتمزق

فمن تكن الاسرار تطمو بصدره * فأسراره مدري الاحاديث مخبرة

فلا تودعن الدهر سرّك أحمقا * فانك ان أودعته منه أحمق

وحسبك في ستر الاحاديث واعظا * من القول ما قال الاديب موفق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال كعب بن سعد الغنوي

ولستُ بِعَبْدٍ للرجال سَريرتي * وما أنا عن أسرارهم بسؤول

(ولا أنا بوما الحديث سمعتُه * الى هٰهنا مِنْ هٰهنا بنَقول)

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطّلب رحمه الله لابنه عبد الله ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثا لا يجرّبنّ عليك كذبا ولا تُفشينّ له سرًّا ولا تغتبنّ عنده أحدا فقيل لابن عباس كلٌّ واحدة منهن خيرٌ من ألف دينار فقال كل واحدة منهنّ خير من عشرة آلاف وقال بعض المحدثين

لي حيلة فيمن ينمّ وليس في الكذّاب حيله
مَنْ كان يَخلُقُ ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

وقال آخر (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرّد)

انّ النموم أغطّي دونه خبري * وليس لي حيلة في مُفتري الكذب

وقال بعض المحدثين

كتمتُ الهوى حتّى اذا نطقتْ به * بوادرُ من دمعٍ تَسيلُ على خدّي
وشاع الذي أضمرتُ من غير منطقٍ * كأنّ ضمير القلب يرشح من جلدي

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذريّ

اذا جاوز الاثنين سرٌّ فانه * بنثٍّ وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أي قريب من ذلك هذه حقيقته يقال قمنٌ وقمين في معنى قال الحرث بن خالد المخزومي

من كان يسأل عنا اين منزلنا * فالاقحوانة منا منزلٌ قَمِنُ

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال [illegible] فقمن

فذلك مال قلّ الا يبارك فيه وقال الرقاشى

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا باعيننا سرا

فنقضى ولم يعلم بنا كل حاجة * ولم نكشف النجوى ولم نهتك الستر

وقال معاوية لعيّاش بن صُحارا العبدى ما أقرب الاختصار قال لمحة دالة وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن اكثاره وقيل النمام سهم قاتل وقال بعض المحدثين

لا أكتم الاسرار لكن أنمها * ولا أدع الاسرار تغلى على قلبى

وان أحق الناس بالسخف لامرؤ * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وامنع جارتى من كل خير * وامشى بالنميمة بين صحبى

ويقال للنمام القتات وفى الحديث لا يراح القتات رائحة الجنة وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقيل يارسول الله ومن المثلث فقال الذى يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقال معاوية للاحنف بن قيس فى شئ بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان الثقة لا يبلغ وقال أحد الماضين (وهو طريح بن اسمعيل الثقفى)

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا * شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

وقال المهلب بن أبى صفرة أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ويقال للنكاح السر على غير وجهه رأس هذا من الباب الذى كنا فيه ولكن يذكر الشئ بالشئ وهذا حرف يغلط فيه لان قوما يجعلون السر الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى ولكن لا تواعدوهن

سرا الا ان تقولوا قولا معروفا فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرم سر جارتهم عليهم * ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال الاعشى لسلامة ذى فائش الحميرى

وقومك ان تضمنوا جارة * وكانوا بموضع انضادها

فلن يطلبوا سرها للغنى * ولن يسلموها لازهادها

فى هذا قولان أحدهما انهم لا يطلبون اجترارها اليهم على رغم أوليائها من أجل مالها غصبا للجوار ولا يسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر انهم لا يرغبون فى ذوات الاموال وانما رغبتهم فى ذوات الاحساب اختيارا للاولاد وصيانة للاصهار ان يطمع فيهم من لا حسب له وقول الحطيئة * ويأكل جارهم أنف القصاع انما يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شئ يقال روضة أنف اذا لم ترع وكأس أنف اذا لم يشرب منها شئ قبل قال لقيط بن زرارة

ان الشواء والنشيل والرغف * والقينة الحسناء والكأس الأنف

* للطاعنين الخيل والخيل خنف *

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا ان نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع عن مستمعه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى قال بكر بن النطاح فى كلمة له يمدح بها مالك بن على الخزاعى

عرضت عليها ما أرادت من المنى * لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

فلو أننى أصبحت فى جود مالك * وعزته ما نال ذلك مطلبى

فتى شقيت أمواله بسماحه * كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقال اشجع في كلمة له يمدح بها عاصما الغساني

أقول ونفسي بين شوق وحسرة * وقد شخصت عيني ودمعي على خدي
أريحي بقتل من تركت فؤاده * بلحظته بين التأسف والجهد
[illegible] في الهوى قبل ميتة * [illegible]
[illegible] للعود فطنة [illegible] * [illegible]
سأشكرك في الاشعار غير مقصر * الى عاصم ذي المكرمات وذي المجد
[illegible] فتى غسان يجمع بيننا * [illegible]

وقال اسمعيل بن القاسم

ان السلام وان البشر من رجل * في مثل ما انت فيه ليس يكفيني
هذا زمان ألح الناس فيه على * زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله صالحة * عني وزادك خيرا يا ابن يقطين
أني [illegible] للدنيا وعاجلها * ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبي في كلمة يمدح بها اسحق بن ابراهيم

ان أكن مهديا لك الشعر اني * لابن بيت تهدى له الاشعار
غير أني أراك من أهل بيت * ما على القرآن يسوده عار

وقال ايضا في كلمة أخرى

[illegible] فكل شيء نافع * واذا [illegible] شيء ضائر
[illegible] في الوغى * [illegible]

[illegible]

[illegible] وجوه الخوارج قال أبو [illegible] الحسين الطبطبي [illegible] عبد الله

ابن خازم السلمي قالوا الا فقتل عبد الله بن الزبير فقال

فقلت لها عيثي جعار وجرري * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

جعار اسم من أسماء الضبع وهي صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا في بابه كفساق ولكاع وحلاق للمنية وقد فسرنا هذا الباب مستقصى على وجوهه الاربعة ويروى ان ابنة جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوما

أهمام بن مرة حن قلبي * الى اللائي يكن مع الرجال

فقال يا فساق أردت [illegible] [illegible] قالت

أهمام بن مرة حن قلبي * الى صلعاء مشرفة [illegible]

فقال يا فجار [illegible] [illegible]

أهمام بن مرة حن قلبي * [illegible]

[illegible] وهو داود بن [illegible]

[illegible] زياد و يحيى بن [illegible] الحكم [illegible]

[illegible] [illegible] وما [illegible]

[illegible]

وقدم سعيد بن [illegible] الباهلي

[illegible] * جوادا الى المكارم [illegible]

ما يبالي أتاه ضيف [illegible] * ام أتاه يا جوج من خلف [illegible]

فانتهينا الى سعيد بن سلم * فاذا ضيفه من الجوع رمد

واذا خبزه عليه سكيف * سكهم الله ما بدا ضوء نجم

واذا خاتم النبي سليما * ن بن داود قد علاه بختم

فارتحلنا من عند هذا بحمد * وارتحلنا من عند هذا بذم

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي سعيد بن سلم

كم صغير جبرته بعد يتم * وفقير نعشته بعد عدم

كلما عضت الحوادث نادى * رضي الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم عرض لي اعرابي فمدحني فبلغ فقال

الا قل لساري الليل لا تخش ضلة * سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا سيد اربى على كل سيد * جواد حثا في وجه كل جواد

قال فتأخرت عن بره قليلا فهجاني فبلغ فقال

لكل أخي مدح ثواب يعده * وليس لمدح الباهلي ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهزة * فكان كصفوان عليه تراب

وقال أبو الشمقمق

قال لي الناس زر سعيد بن سلم * قلت للناس لا أزور سعيدا

وأميري فتى خزاعة بالبصرة * ثمّ سماحا وجودا

ولنعم الفتى سعيد ولكن * مالك أكرم البرية عودا

فقال سعيد لوددت انه لم يكن ذكرني مع مالك وانه أخذ مني أدية وقال أبو الشمقمق أيضا

هيهات تضرب في حديد بارد * ان كنت تطمع في نوال سعيد

والله لو ملك البحار بأسرها * وأتاه سلم في زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره * لأبى وقال تيمّمن بصعيد

(ومثله قول الآخر

لو ان قصرك يا ابن يوسف كله * ابر يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يونس يستعير إثارة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقال مسلم بن الوليد

ديونك لا يقضى الزمان غريمها * وبخلك بخل الباهلي سعيد

سعيد بن سلم الأم الناس كلهم * وما قومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا * تداركه منا مجده بيزيد

خزيمة لا بأس به غير انه * لمطبخه قفل وباب حديد

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي عمرو بن سعيد بن سلم وكان عمرو هلك بعد سعيد بيسير

رزينا أبا عمرو فقلنا لنا عمرو * سيكفيك ضوء البدر غيبوبة البدر

وكان أبو عمرو بعار الحياته * بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوما لسعيد بن سلم يا سعيد من بيت قيس في الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة قال فمن بيتهم في الاسلام قال يا أمير المؤمنين من شرفتموه قال صدقت أنت وقومك حدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي قال حدثني رجل من أهل مكة قال رأيت في منامي سعيد بن سلم في حياته وفي نعمته وكثرة عدد ولده وحسن مذهبه وكمال مروته قال فقلت في نفسي ما أجل ما أعطيه سعيد بن سلم فقال لي قائل وما ذخره الله له في الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم اذا استقبل السنة التي يستأنف فيها عدد سنيه أعتق نسمة وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل لمديني ان سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال اذا لا يبيعه وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد بن سلم

أبني سعيد انكم من معشر * لا يعرفون كرامة الأضياف

قوم لباهلة بن يعصر ان هم * نسبوا حسبتهم لعبد مناف

قرنوا الغداء الى العشاء وقربوا * زادا لعمر أبيك ليس بكاف

وكأنّي لما حططتُ إليهمُ * رحلي نزلتُ بأبرقِ العزّاف

بينا كذلك أتاهم كبراؤهم * يلحون في التبذيرِ والإسراف

وأنشدني المازني

سَلِ اللهَ ذا المنِّ من فضلهِ * ولا تسألنَّ أبا وائلَه

فسائلِ اللهَ عبدَ له * فخاب [illegible] لو كان من [illegible]

(قال أبو الحسن وزادني بعض أصحابنا

ترى [illegible] على خبزه * [illegible])

وأنشد أبو العباس لرجل من [illegible]

أباهلَ [illegible] كلبكم * وأسعد [illegible] كلاب العرب

[illegible]

وحدثني علي بن [illegible] قال حدثني أبو قلابة الجرمي قال حججت مع أبي جزء [illegible]

[illegible] فجلسنا في المسجد الحرام الى أقوام من بني الحرث

ابن كعب [illegible] أبي جزء [illegible] فقال له [illegible] من

[illegible] قال لا ولكن رجل من العرب قال من الرجل قال رجل من مضر قال

[illegible] قال رجل من قيس قال أين يراد بك صر الى فصيلتك

التي تؤويك قال رجل من بني سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها عافاك الله قال رجل من

بني [illegible] من أيها قال رجل من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فاقبلت على الحارثي

فقلت أتعرف هذا قال ذكر انه باهلي فقلت هذا أميرا ابن أميرا ابن أميرا ابن أميرا ابن أمير قال

حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو جزء أميرا ابن عمرو وكان أميرا ابن سعيد وكان أميرا ابن سلم

وكان أميرا ابن قتيبة وكان أميرا فقال الحارثي الامير أعظم أم الخليفة فقلت بل الخليفة

قال أفالخليفة أعظم أم النبي قلت بل النبي قال والله لو عددت له في النبوة أضعاف
ما عددت له في الامارة ثم كان باهليا ما عبأ الله به شيأ قال فكادت نفس أبي جزء تخرج
فقلت انهض بنا فان هؤلاء أسوأ الناس أدبا (قال أبو الحسن يقال للرجل اذا سئل عن شيء
فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبس أي أبدى غير ما يراد منه) [illegible] رجلا
من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلي قال أعيذك بالله من ذلك قال اي والله أنا مع ذلك
مولى لهم فأقبل الاعرابي يقبل يديه ويتمسح به [illegible] قال لأني أثق
بان الله عز وجل لم يبتلك بهذا في الدنيا الا وأنت من أهل [illegible] أن قتيبة
ابن مسلم [illegible] أفضى الى [illegible] الناس
عظيم [illegible]
قد ورزق بالسلام واذا بالحضين بن المنذر بن الحرث [illegible]
جلوس [illegible]
[illegible]
وكان قد تسور [illegible]
ساسان قال أبي [illegible]
ألا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عجلان ولو كان رأى [illegible]
شبعان [illegible] عجلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغي من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب على غني * وباهلة بن يعصر والركاب

(يريد يا خيبة من يخيب) قال أفتعرف الذي يقول

كأن فقاح الازد حول ابن مسمع * وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذى يقول

قوم قتيبة أمهم وأبوهم * لولا قتيبة أصبحوا فى مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيأ قال أقرأ منه الاكثر الاطيب هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال فاغضبه فقال والله لقد بلغنى أن امرأة الحضين حملت اليه وهى حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشى فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك هذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الحضين من امراء على بن أبى طالب رحمه الله على ربيعة وله يقول القائل

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما

والحرث بن وعلة يقول الاعشى وكان قصده فلم يحمده وخرج عنه الى هوذة بن على ذى التاج وهوذة من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحرث بن وعلة من بنى رقاش وهى امرأة وأبوهم مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل فقال الاعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذة بن على

أتيت حريثا زائرا عن جنابة * فكان حريث عن عطائى جامدا

اذا ما رأى ذا حاجة فكأنما * يرى أسدا فى بيته وأساودا

لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى * شمائله ولا أباه مجالدا

وان امرأ قد زرته قبل هذه * بجو لخير منك نفسا ووالدا

تضيفته يوما فقرب مجلسى * وأسندنى على الزمانة قائدا

وأمتعنى على العشا بوليدة * فأبت بخير منك يا هوذ حامدا

فتى لو يبارى الشمس ألقت قناعها * أو القمر السارى لألقى المقالدا

يرى جمع مادون الثلاثين قصرة * ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهى كلمة قوله أتيت حريثا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حويرث وهذا التصغير الآخر يقال له تصغير الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغره على حروفه الاصلية فتقول فى تصغير أحمد حميد لانه من الحمد وفى الحرث حريث لانه من الحرث وفى [illegible] غضيب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربع تقول فى تصغير قنديل على لفظه قنيديل فان صغرته مرخما حذفت الياء فقلت قنيدل [illegible]

وقوله عن جنابة يقول عن غربة وبعد يقال هم نعم الحى لجارهم [illegible] يقال رجل جنب ورجل جانب أى غريب قال الله جل وعز [illegible]

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا * فى آل لأى بن شماس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة * فانى امرؤ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جنب قال للجميع أجناب كقولك عنق وأعناق وطنب [illegible] للواحد جانب قال للجميع جناب كقولك راكب وركاب وضارب وضراب [illegible]

أبكى أخاك لايتام وأرملة * وابكى أخاك اذا جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التى تصيب الرجل قلت رجل جنب ورجلان جنب [illegible] المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جنبان واسرأة جنبة وقوم أجناب وهو يرى أسدا فى بيته وأساود اريد جمع أسود سالخ وأسود ههنا نعت ولكنه ناب فاذلك جرى ههنا مجرى الاسماء لانه يدل على الحية وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فعل نحو أحمر وحمر وأسود وسود واذا كان نعتا فاجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا

أردت القيد لانه نعت غالب يجرى مجرى الاسماء وان أردت أدهم الذى هو نعت محض قلت دُهْم قال الاشهب بن رميلة

أسودُ شرى لاقت أسودَ خفيّةٍ * تساقوا على حَرْدٍ دماءَ الاساود

فاجراه مجرى الاسماء نحو الاصاغر والاكابر والاحامد وقوله لعمرك ما أشبهت [illegible] الندى شمائله [illegible] جعل شمائل بدلا من [illegible] والتقدير ما أشبهت شمائل [illegible] والبدل على أربعة أضرب فواحدها أن يبدل أحد الاسمين من الآخر اذا [illegible] أمنيتين كانا معرفة ونكرة تقول مررت بأخيك زيد لان زيدا هو الاخ و[illegible] مررت برجل [illegible] يبدل [illegible] نحو مررت بزيد [illegible] لما قلت [illegible] فمن الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراط [illegible] الذين أنعمت عليهم وقوله [illegible]

[illegible]

[illegible] منهم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يكون [illegible] الشهر [illegible]

[illegible] * [illegible]

وبدل رابع لا يذكر مثله فى القرآن ولا فى الشعر [illegible] نسى فيذكر فيرجع الى حقيقة ما يقصد له وذلك قولك مررت بالمسجد دار [illegible]

يقول مررت بدار زيد فانسيها واتمليا فاتدرك فوضع الذى قصد له فى موضع الذى قام فيه ...ا يجوز فهى قصبة الهامة وترك غير ... اغماهو تفعله من الضيانة يقال ضفت لرجل اى نزلت به واضفته اى انزلته وقوله اصفادى قول اصطانى وهو الاصفاد ... الاسم والاصفاد المصدر قال ابن ... * ثم اعرضن ابيت اللعن بالصفد * ويقال ... الرجل فهو مصفود من القيد ... فى القيد ... ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفد قال الله جل و... مقرنين فى الاصفاد كقولك ... واجمال وصنم واصنام وقوله فتى او يباري الشمس يقول يعارض يقال انبرى لى فلان اى اعترض لى فى هذا المعنى وفلان يباري الريح من هذا اى يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فاما بارأت الكرى فهو مهموز لانه من ابرأني وابرأته ويقال برأ فلان من مرضه وبرئ يا فتى والمصدر منهما البرء فاعلم وبريت القلم غير مهموز والله البارئ المصور ويقال ما برأ الله مثل فلان مهموز وقولك البرية أصله من الهمز ويختار فيه تخفيف الهمز لفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يختار فى النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال فى جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وصي وأوصياء وتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ومن همز الواحد قال فى الجميع نبآء لانه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السلمي

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداكا

وقوله أو السمر الساري لالقى المقالدا فأسكن الياء ضرورة واعلم ان ذلك لان هذه الياء تسكن فى الرفع والخفض فاذا احتاج الشاعر الى اسكانها فى النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالالف التى فى مثنى التى ... على هيئة ... جميع الاعراب قال النابغة

رُدَّتْ عليه أقاصيه ولَبَّدَهُ * ضَرْبُ الوَليدةِ بالمِسحاةِ في الثَّأَدِ

فأسكن الياء في أقاصيه وقال رُؤْبةُ

كَأَنَّ أيديهنَّ بالقاعِ القَرِقْ * (أيْدي جوارٍ يتعاطَينَ الوَرِقْ)

وقال * سَوَّى مَساحيهنَّ تَقْطيطُ الحُقَقْ * (ويروى تقطيط بالنصب وهو أجود لان بعده * تَقْليلُ ما قارَعْنَ من سُمْرِ الطُّرَقْ * والطُّرَقُ جمع طُرْقة) وقال آخر

كَفَى بالنَّأْيِ من أسماءَ كافِ * وليس لِحُبِّها ما عشتُ شافِ

وأما قوله وأمتعني على العشا بوليدة * فابت بخير منك يا هوذ حامدا

فانه كان يتحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبةَ والعرب تترك مخاطبةَ الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبةَ الشاهد الى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفُلْكِ وجرَيْنَ بهم بريحٍ طيِّبةٍ كانت المخاطبة للأُمَّة ثم انصرفت الى النبي صلى الله عليه وسلم إخباراً عنهم وقال عَنْتَرةُ

شَطَّتْ مَزارُ العاشقين فأصبحتْ * عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

وتَرَى العواذلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامتي * فاذا أرَدْنَ سوى هَواكِ عُصينا

وقال الآخر

فِدًى لكِ والدي وسَراةُ قومي * ومالي انَّهُ منه أتاني

وهذا كثير جدا وقوله يرى جمع ما دون الثلاثين قُصْرةً أي قليلا من الاقتصار ويروى ويَغْدو ويَعْدو جميعا وكان هَوْذَةُ بن علي ذا قَدْرٍ عالٍ وكانت له خَرَزاتٌ تُنْظَمُ فتجعل على رأسه تشبها بالملوك وحدثني التَّوَّزيُّ عن أبي عبيدة قال ما تتوَّج مَعَدِّيٌّ قطُّ انما كانت التيجان لليمن قال فسألته عن قول الاعشى

من بر هوذة يسجد غير متئب * اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

قال انما كانت خرزات تنظم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك وكانت بنو حنيفة بن لجيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهى صحراء فاختطها فجعل يركض حواليها ويخط برمحه فى الارض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا لصعود النخل فاقبلوا يجدونه حتى فكروا فاعدوا له السلالم فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العزيز منهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هنالك كانت لطسم وجديس والخبر فى ذلك مشهور بزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الاعشى فى قوله

(ما نظرت ذات أشفار كنظرتها * حقا كما نطق الذئبى اذ سجعا)

قالت أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل لهفى أية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل غسان يزجى الموت والشرعا

وحدثنى التوزى عن أبى عبيدة والاصمعى عن أبى عمرو قال قال لى رجل من أهل القريتين أصبت ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس نخفت السلطان فاخفيتها وقد ذكر ذلك زهير فى قوله

عهدى بها يوم باب القريتين وقد * زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارا يمانية * ترعى الخريف فادنى دارها ظلم

وقال جرير يهجو بنى حنيفة

هجانى الناس مل أحياء كلهم * حتى حنيفة تفسو فى مناحيها

(تعير بنو حنيفة بالفسولان بلادهم بلاد نخل فيأكلونه ويحدث فى أجوافهم الرياح

والقوافير)

أصحاب نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها

ذلت وأعطت يد السلم صاغرة * من بعدما كاد سيف الله يفنيها

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم * أضحوا عبيدا وثلث من مواليها

قوله مساحيها المخاصمة الساقية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في وقعته بمسيلمة الكذاب وللنسابين بعد هذا قول منكر وقال جرير

أبني حنيفة نهنهوا سفهاءكم * اني أخاف عليكم أن أغضبا

أبني حنيفة انني ان أهجكم * أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقال عمارة بن عقيل

بل أيها الراكب الماضي لطيته * بلغ حنيفة وانشر فيهم الخبرا

أكان مسلمة الكذاب قال لكم * لن تدركوا المجد حتى تغضبوا مضرا

مهلا حنيفة ان الحرب ان طرحت * عليكم بركها أمرعتم الضجرا

البرك الصدر اذا فتحت الباء ذكرت وان أردت التأنيث كسرت الباء قلت بركة قال الجعدي

ولو حاذراعين في بركة * الى جؤجؤ رهل المنكب

وزعم الاصمعي أن زيادا كان يقال له أشعر بركا لانه كان أشعر الصدر وغير الاصمعي يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وذكروا أن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوما ألا تعجبون لهذا أشعر بركا يولى مثل هذا المصر والله ما يحسن أن يقضي في تمرتين فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر أنشد الله رجلا سماني أشعر بركا الا قام فقام عدي بن حاتم فقال أيها الامير ان الذي يقوم فيقول أنا سميتك أشعر بركا لجريء

فقال اجلس يا أبا طريف فقد برّأك الله منها فجلس وهو يقول والله ما برأني الله منها وكانت أمُّ الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمهما الله وهي أروى بنت كريز ابن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمُّها البيضاء بنت عبد المطلب ابن هاشم ومن ثمّ قال الوليد لعلي بن أبي طالب رحمه الله أنا ألق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمي من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال للبيضاء بنت عبد المطلب قبّةُ الديباج واسمها أمُّ حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أروى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبني هاشم لهذا السبب حين قتلَ عثمانُ رحمه الله .

بني هاشم رُدُّوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوا مالا تحلُّ مناهبه

بني هاشم كيف الهوادةُ بيننا ... وعند عليّ دِرْعه ونجائبه

هُمُ قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدَرَت يوما بِكسرى مرازُبه

وهذا القول باطل وكان عُروة بن الزبير إذا ذكر مَقتل عثمان يقول كان عليّ أتق لله من أن يُعين في قتل عثمان وكان عثمان أتق لله من أن يعين في قتل علي وقال الوليد بن عقبة .

ألا إن خير الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيل التجوبيّ الذي جاء من مصر

ومالي لا أبكي وتبكي أقاربي ... وقد حُجبت عنا فضولُ أبي عمرو

وقال ليلى الأخيَليةُ أنشدنيه الرياشي عن الأصمعي .

أبعد عثمان ترجو الخيرَ أمته ... وكان آمَنَ مَن يمشي على ساقِ

خليفةُ الله أعطاهم وخولهم ... ما كان من ذهب حمّ وأوراق

فلا تُكذِّب بوعد الله وارضَ به ... ولا توكل على شيء بإشفاق

ولا تقولن لشيء سوف أفعَلهُ ... قد قدرَ اللهُ ما كل امرئ لاق

وقال آخر :

ألا قُل لقوم شاربي كأس عَلقمٍ ... بقتلِ إمام بالمدينة مُحرِمِ

قتلتم أمين الله فى غير ردة * ولا احداحصان ولاقتل مسلم

تعالوا افقادونا فان كان قتله * لواحدة منها فحل لكم دمى

والا فاعظم بالذى قد أتيتم * ومن يأت مالم يرضه الله يظلم

فلا يهنئن الشامتين مصابه * فحظهم من قتله حرب جرهم

وأنشدنى الرياشى عن الاصمعى (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريرة الضبى)

لعمر أبيك فلا تذهلن * لقد ذهب الخير الا قليلا

وقد فتن الناس فى دينهم * وخلى ابن عفان شرا طويلا

ومثله قول الراعى

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ودعا فلم أر مثله مخذولا

فتفرقت من بعد ذاك عصاهم * شققا وأصبح سيفهم مفلولا

قوله محرما يريد فى الشهر الحرام وكان قتل فى أيام التشريق رحمه الله وقال أيمن بن خريم بن فاتك الاسدى وكانت له صحبة

تفاقد الذابحو عثمان ضاحية * أى قتيل حرام ذبحوا ذبحوا

ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم * يخشوا على مطمح الكف الذى طمحوا

فاى سنة جور سن أولهم * وباب جور على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضل الله سعيهم * من سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا

فاستوردتهم سيوف المسلمين على * غمام ظمء كما يستورد النضح

ان الذين تولوا قتله سفها * لاقوا أثاما وخسرانا فما ربحوا

الظمء ما بين الشربتين وقوله ضحوا بعثمان انما أصله فعل فى الضحى قال زهير

ضحوا قليلا على كثبان أسنمة * ومنهم بالقسوميات معترك

أي نزلوه ضحى و يقال بيّتوا ذالك أي فعلوه ليلا قال الله جل وعز اذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وأنشد أبو عبيدة

أتوني فلم أرض ما بيّتوا * وكانوا أتوني بأمر نكر

لأنكح أيّمهم منذرا * وهل ينكح العبد حرٌّ لحر

وقوله في سفح ذالك الدم الزاكي الذي سفحوا أي في صب ذالك الدم يقال سفحت دمه وسفكت دمه قال الله تبارك وتعالى الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وقوله على غمام ظمء فهذا مثل وأصل الظمء أن تشرب الابل يوما ثم تغب يوما لا ترد الماء فما بين الشربتين ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الربع كما يقال في الحمى لانهم يعتدون بيومي شربها والخمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنضح الحوض والآثام الهلاك قال الله عز ذكره ومن يفعل ذلك يلق أثاما ثم فسر فقال يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فجزم يضاعف لانه بدل من قوله يلق أثاما اذ كان اياه في المعنى وأنشدني أبو عبيدة

جزى الله ابن عروة اذ لحقنا * عقوقا والعقوق من الأثام

وقوله على مطمح الكف يقول على رفعها وابعادها يقال طمح بصره اذا ارتفع فأبعد النظر قال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا

٤٧ - باب

قال أبو العباس وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فاحسن ذلك ما جاء باجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأن قلوب الطير رطباً و يابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلا فصل فقال كانه رطباً العناب وكأنه يابساً الحشف قيل له العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوما ويرى مابعد ذلك من التكرير عياً قال الله جل وعز وله المثل الأعلى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله علماً بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

ومن ذلك قوله

اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ

ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله خطاطيف حجن في حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

وقوله فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن عجيب التشبيه قول ذي الرمة

وردت اعتسافاً والثريا كأنها * على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقوله فجاءت بنسج العنكبوت كأنه * على عصويها سابري مشبرق

ونأويل هذا أنه يصف ماء قديماً لا عهد له بالواردة فقد اصفر واسود فقال

وماء قديم العهد بالانس آجن * كأن الدبى ماء الغضا فيه تبصق

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل في وصف الماء الآجن حيث يقول

إذا وردت ماء كأن جمامه * من الأجن حناء معا وصبيب

فقال ذو الرمة في وصف هذا الماء فقرن بتغيره بعد مطلبه

فأدلى غلامي دلوه يبتغي بها * شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

يريد أن الفجر قد نجم فيه فجاءت يعني الدلو بنسج العنكبوت كأنه على عضويها سابري مشبرق والسابري الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق الممزق وأنشد أبو زيد

لهونا بسربال الشباب ملاوة * فأصبح سربال الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قول ذي الرمة في صفة الظليم

شخت الجزارة مثل البيت سائره * من المسوح خدب شوقب خشب

الشخت الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعني إذا مد جناحيه وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه * بيت أطافت به خرقاء مهجوم

الصعل الصغير الرأس والخرقاء التي لا تحسن شيأ فهي تفسد ما عرضت له قال الحطيئة

هم صنعوا لجارهم وليست * يد الخرقاء مثل يد الصناع

والمهجوم المهدوم وفي الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت في بكر بن وائل الا هجم أي هدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذي ليس بلين على من نزل به ومن التشبيه المصيب قوله في صفة روضة

قرحاء حواء أشراطية وكفت * فيها الذهاب وحفتها البراعيم

قرحاء يريد الأنوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون في قول الله جل وعز مدهامتان تضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما وريهما وقوله أشراطية ليس مما قصد ناله ولكنه مما يجري فيفسر ومعناه أنها مطرت

بنو الشرطين وحدثني الزيادي قال سمعت الاصمعي وسئل بحضرتي أو سألته عن قوله أشراطيه فقال بأسنمه واستعز به وذلك أن الاصمعي كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الانواء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت النجوم فأمسكوا لان الخبر في هذا بعينه مطرنا بنوء كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيأ من القرآن هكذا يقول أصحابه وسئل عن قول الشماخ

طوى ظمأها في بيضة الصيف بعدما * جرى في عنان الشعريين الاماعز

فابى أن يفسر في عنان الشعريين وأما قوله الذهاب فهي الامطار اللينة الدائمة ويقال انها أنجع المطر في النبت وكذلك العهاد وأنشد الاصمعي

أمير عم بالنعماء حتى * كأن الارض جللها العهاد

والبراعيم واحدتها برعومة وهي أكمة الروض قبل أن تتفتق يقال لواحدها كم وكمام فمن قال كمام فجمعه أكمة مثل صمام وأصمة وزمام وأزمة ومن قال كم فالجماع أكمام قال الله عز وجل والنخل ذات الاكمام ومن ذلك قول الآخر أحسبه توبة بن الحمير (قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بني عامر وهو الصواب)

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت * تعالجه وقد علق الجناح

(لها فرخان قد غلقا بوكر * فعشهما تصفقه الرياح

فلا بالليل نالت ما ترجى * ولا بالصبح كان لها براح)

ويروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبلهم وبعدهم فلم يبلغوا هذا المقدار وقال الشيباني للحجاج

هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر

فهذا يجوز أن يكون فى الخفقان وفى الذهاب البتّة ومن التشبيه المحمود قول الشاعر

طليق الله لم يَمْنُنْ عليه * أبو داود وابنُ أبى كثير

ولا الحجّاج عينَى بنت ماء * تُقلّب طرفها حذر الصُّقور

وهذا غاية فى صفة الجبان ونَصَبَ عينَى بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءنى عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ فليس يقول الا وقد عرفه بالخُبْث والفسق فنصبه بأعنى وما أشبهه من الافعال نحو أَذْكُرُ وهذا أبلغ فى الذم أن يقيم الصفة مُقامَ الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمُقيمينَ الصلاةَ بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم انما هو على هذا ومَنْ زعم أنه أراد ومن المقيمين الصلاةَ فمخطئ فى قول البصريين لانهم لا يَعْطفون الظاهرَ على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قُبْح كالضرورة والقرآنُ انما يُحْمَلُ على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذى تَسَّاءلون به والأرحام وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يُضْطَرَّ اليه شاعرٌ كما قال

فاليومَ قَرَّبْتَ تهجونا وتشتُمنا * فاذهب فما بكَ والايامِ من عجب

وقرأ عيسى بن عمر وامرأتُه حمّالةَ الحطب أراد وامرأتُه فى جيدها حبلٌ من مَسَد فنصب حمّالةَ على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سَيَصْلى نارا ذات لَهَب فهو يجوز وليس بالوجه أن يُعطَفَ المُظْهَرُ المرفوع على المضمر حتى يُؤَكَّد نحو اذهَب أنتَ وربُّكَ فقاتلا واسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنةَ فأما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤُنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعنى ذهبتُ وزيدٌ وأذهبُ وعمرٌو وقال جرير

ورجا الأُخيطلُ من سفاهة رأيه * ما لم يكن وأبٌ له لينالا

وقال ابن أبى ربيعة

قلتُ اذ أقبلتْ وزُهْرٌ تَهادى * كنعاج المَلا تعسّفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ * لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأَقارعُ

أَقارعُ عَوْفٍ لا أُحاوِلُ غيرها * وُجوهَ قُرودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُخادِعُ

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ

سَقَوْنِي الخمرَ ثم تَكَنَّفُونِي * عُداةَ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

والعرب تُنْشِدُ قول حاتم الطائي رفعا ونصبا

إن كُنْتِ كارهةً معيشتَنا * هاتا فَحُلِّي في بني بَدْرِ

الضاربين لَدَى أَعِنَّتِهِمْ * والطاعنين وخيلُهم تَجْرِي

وانما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء وكذلك قول الخِرْنِقِ بنت

هَفَّانَ القَيْسِيَّةِ من بني قيس بن ثعلبة

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ * سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ

النازلين بكل مُعْتَرَكٍ * والطَّيِّبِينَ مَعاقِدَ الأُزُرِ

وكلُّ ما كان من هذا فعلى هذا أكثر انشاده وان لم يُرِدْ مَدْحًا ولا ذَمًّا فقد اسْتَقَرَّ له فوجهه النعت

وقرأ بعض القراء فتبارَكَ اللهُ أحسنَ الخالقين وأكثر ما تنشد العرب بيتَ ذي الرُّمَّةِ نصبا

لانه لما ذكر ما يَحِنُّ اليه ويَصْبُو الى قربه أشاد بذكر ما قد كان يَبْغِي فقال

ديارَ مَيَّةَ اذ مَيٌّ تُساعِفُنا * ولا يَرَى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بيضاءُ في دَعَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ * كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

وفيها من التشبيه المصيب

تَشْكُو الخَشاشَ ومَجْرَى النَّسْعَتَيْنِ كما * أَنَّ المريضُ الى عُوّادِهِ الوَصِبُ

الخشاش ما كان فى عظم الانف وما كان فى المارن فهو برة يقال أبريت الناقة فهى مُبراة قال الشماخ وهذا من التشبيه العجيب

فقربت مبراة تخال ضلوعها * من الماسخيات القسىّ الموترا

وماسخة من بنى نصر من الازد واليهم نسبت القسىّ الماسخية وأحسن ماقيل فى صفة الضلوع واشباكها قول الراعى

وكانما انتطحت على أثباجها * قدر بشابة قد تممن وعولا

الفادر المسن من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدى

اذا ماقمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأن ابريقهم ظبى على شرف * مفدم بسبا الكتان ملثوم

فهذا حسن جدا وقال أبو الهندى وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى الرياحى من بنى رياح بن يربوع وكان شبث سيد بنى يربوع بالكوفة

مفدمة قزا كأن رقابها * رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

وكان أبو الهندى قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أسرته حتى كاد يبطله وكان عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يعرف ببرزين المناقير وكان أبوه صلب فى خرابة والخرابة عندهم سرق الابل خاصة فأقبل يعرض لابى الهندى بالشراب فلما أكثر عليه قال أبو الهندى أحدهم يرى القذاة فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى است أبيه وفى الخرابة يقول الراجز

والخارب اللص يحب الخاربا * وتلك قربى مثل أن تناسبا

* أن تشبه الضرائب الضرائبا *

وقال الآخر

أثبت الطريق واجتنب أرماما * إنَّ بها أكتلَ أو رزاما

* خويربين ينقفان الهاما *

(زاد أبو الحسن * لم يتركا لمسلمٍ طعاما *) نصب خويربين على أعني لا يكون غير ذلك لانه انما أثبت أحدهما بقوله أو ومر نصر بن سيار الليثى بأبي الهندى وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندى لولم أفسد شرفي لم تكن أنت والى خراسان وحج به نصر بن سيار مرة فلما ورد الحرم قال له نصر انك بفناء بيت الله ومحل وفوده فدع لى الشراب حتى ينفر الناس واحتكم على ففعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكى ويقول

رضيع مدام فارق الراح روحه * فظل عليها مستهل المدامع

أديرا على الكاس انى فقدتها * كما فقد المفطوم در المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكنانى وكان أبو الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندى

قل للسرى أبي قيس أتوعدنا * ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت * فيك الشمول لما حرمتها أبدا

ولا نسيت حمياها ولذتها * ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع الى التشبيه وربما عرض الشئ والمقصود غيره فيذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد الى أصل الباب قال أبو العباس وقال عروة بن حزام العذرى

كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان

ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فآية ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة النظر

عنه كأنما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبة له لا تُقلِع عن النظر اليه واذا نهض نظرت من ورائه الى شخصه حتى يزول عنها فقال رجل أردتُ أن أعلم كيف حالي عند امرأتي فالتفتُّ وقد نهضتُ من بين يديها فاذا هي تُكلِّئ في قفاي وقال الفرزدق في هذا المعنى والنَّوارُ تُخاصِمُهُ عند عبد الله بن الزُّبَير

قد ونكهايا ابن الزُّبَير فانها * مُولَعةٌ يُوهِي الحجارةَ قيلُها

اذا جلست عند الامام كأنها * تَرَى رُفقةً من خلفها تستَخيلها

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ههنا ومرة ههنا وقوله ترى رفقة يقال رِفقةٌ ورُفقةٌ ومعنى تستخيلها تتبين حالاتها قال حميد بن ثَور

مُرَوَّعةٌ تستَخيل الشُّخوص * من الخوف تسمَع ما لا ترَى

(قوله مروعة يقول كل شيء يُدنيني من الظفر بها يروعها وينفرها)

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يُكنَى عن ذكره

ترَى الصبيان عاكفةً عليها * كعَنفَقةِ الفَرَزدَق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين أُنشدَ النصفَ الاولَ ضرب بيده الى عَنفَقَته توقُّعاً للعجُز البيت ومن التشبيه الحسَن قول جرير في صفة الخيل

يَشتَفنَ للنظر البعيد كأنما * ارنانُها ببَوائن الأشطان

قوله يشتفن ويتشوّفن في معنى واحد وقوله كأنما ارنانها ببوائن الأشطان أراد شدة صهيلها يقول كأنما يصهلن في آبار واسعة تبينُ أشطانُها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدي

ويَصهَلُ في مثل جوف الطَّوِيِّ * صَهيلاً يُبيِّنُ للمُعرِب

المعرب العالم بالخيل العراب ومن حسَنِ التشبيه قول عنترة

غادرتُ نصلةً في معركٍ * يجرّ الاسنّة كالمحتطب

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظلّ يجرّها كأنه حامل حطب ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء

وان صخراً لتأتمّ الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فجعلت المهتدي يأتم به وجعلته كنار في رأس علم والعلم الجبل قال جرير

* اذا قطعن علماً بدا علم * وقال الله جل ثناؤه وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج * تقضّي البازي اذا البازي كسر * والتقضي الانقضاض وانما أراد سرعتها والعرب تبدل كثيرا الياء من أحد التضعيفين فيقولون تظنّيت والاصل تظنّنت لانه تفعلت من الظن وكذلك تقضّيت من الانقضاض أى تقضّضت وكذلك تسرّيت ومثل هذا كثير ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار

كأن فؤاده كرة تنزّى * حذار البين ان نفع الحذار

يروّعه السرار بكل أمر * مخافة أن يكون به السرار

وفى هذه القصيدة

جفت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

أقول وليلتي تزداد طولاً * أما لليل بعدهم نهار

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر

فاذا ما لمستها فهباء * تمنع اللمس ما تبيح العيونا

درس الدهر ما تجسّم منها * وتبقّى لبابها المكنونا

فهي بكر كأنها كل شئ * يتمنّى مخيّر أن يكونا

فى كؤوس كأنهن نجوم * جاريات بروجها أيدينا

طالعاتٌ مع السُقاة علينا * فاذا ماغربن يغربن فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على سُخف كلام المحدثين وقال الحنفى وهو اسحق بن خلف فى صفة السيف

ألقى بجانب خصره * أمضى من الاجَل المُتاح

فكأنما ذرّ الهبا * ءعليه أنفاسُ الرياح

وقال مُسلِمُ بن الوليد الانصارى فى مدحه يزيد بن مزيد

تمضى المَنايا كما تمضى أسنّتهُ * كأنّ فى سرجه بدْرًا وضرغاما

وقال دعبل بن على فى صفة مصلوب

لم أرصفًّا مثل صفّ الزطّ * تسعينَ منهم صُلبوا فى خطّ

من كل عالٍ جذعُهُ بالشطّ * كانه فى جذعه المُشتطّ

أخو نُعاسٍ جدّ فى التمطّى * قد خامرَ النومَ ولم يَغطّ

(وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيدُ المُهلّبىّ

قام ولمّا يستعن بساقه * آلف مثواهُ على فراقه

* كانما يضحك فى أشداقه *

أراد بياض الشريط فى فيه) وقال أعرابى فى صفة مصلوب (وهو الاخطل قال أبو الحسن الاخطل الذى يعنى رجل مُحْدَثٌ من أهل البصرة و يعرف بالاُخَيْطِل و يُلقّبُ ببرقوقا وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يدلّس به)

كانه عاشق قد مدّ صفحته * يومَ الفراق الى توديع مرتحل

أو قائمٌ من نعاسٍ فيه لوثته * مواصلٌ لتمطيه من الكسل

(وقال مسلم بن الوليد

وضعته حيث ترتاب الرياح به * ويحسد الطير فيه أضبع البلد)

وقال حبيب بن أوس (قال أبو الحسن يعنى به اسحق بن ابراهيم الطاهرى)

قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

وقال أيضا فى رجل ينسبه الى الدعوة (وهو اسحق بن ابراهيم الطاهرى)

وتنقل من معشر فى معشر * فكأن أمك أو أباك الزئبق

يقال زئبق وزئبر مهموزان ودرهم قز أبق وثوب خز أبر ومن افراط التشبيه قول أبى خراش الهذلى يصف سرعة ابنه فى العدو

كأنهم يسعون فى اثر طائر * خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابذ * يحث الجناح بالتبسط والقبض

وقال أوس بن حجر (قال أبو الحسن أهل الكوفة يرونها لعبيد بن الأبرص)

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت * من ماء أدكن فى الحانوت نضاح

أو من معتقة ورهاء نشوتها * أو من أنابيب رمان وتفاح

وقال ابن عبدل يهجو رجلا بالبخر

نكهت على نكهة أخدرى * شتيم شابك الأنياب ورد

وفى هذا الشعر

فما يدنو الى فيه ذباب * ولو طليت مشافره بقند

يرين حلاوة ويخفن موتا * وشيكا ان هممن له بورد

الذباب الواحد من الذبان وأدنى العدد فيه أذبة والكثير الذبان ولكنه ذكر واحدا ثم خبر عن سائر الجنس والاسد أنتن السباع فما كما أن الصقر أنتن الطير فما قال بعض المحدثين فى رجل يهجوه والمهجو داود بن بكر وكان ولى الأهواز وفارس والشعر لابى الشمقمق

وله لِحيةُ تيسٍ ... وله مِنقارُ نسر
وله نكهةُ ليث ... خالطت نكهة صقر

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن ابن عائشة :

من يكن ابطه كآباط ذا الخلقِ فإبطايَ في عِداد الفقاحِ
ليَ إبطانِ يرميان جليسي ... بشبيه السلاحِ أو بالسلاح
فكأني من نتن هذا وهذا ... جالسٌ بين مُصعب وصباح

يعنى مُصعبَ بن عبد الله الزبيري وصباح بن خاقان المنقري وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان ُحدِّثتُ أن أحمد ابن هشام لقيهما يوما فقال أما سمعتما ما قال فيكما هذا يعنى إسحق بن الموصلي فقالا ما قال فينا إلا خيراً قال قال :

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصباح ... فعصينا مُصعباً وصباحا
وأبينا غير سعي إليها ... فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ما قال إلا خيراً والمكروه ما قال فيك إذ يقول :

وصافية تعشى العيون رقيقة ... رهينة عامٍ في الدنان وعام
أدرنا بها الكأسَ الرويةَ موهنا ... من الليل حتى انجابَ كل ظلام
فما ذرّ قرنُ الشمس حتى كأننا ... من العِى نحكى أحمد بن هشام

واعلم أن للتشبيه حداً فالأشياء تشابه من وجوه وتباينُ من وجوه فإنما يُنظرَ إلى التشبيه من حيث وقعَ فإذا شُبه الوجهُ بالشمس فإنما يراد الضياءُ والرونقُ ولا يراد العِظم والإحراق قال الله عز وجل كأنهن بيض مكنون والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاءه ونعمة لونه قال الراعي .

كأن بيضَ نعام في ملاحِفها ... إذا اجتلاهن قيظٌ ليلهُ ومِدُ

وقيل للاوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أى منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدى بن زيد

كدمى العاج فى المحاريب أو كالبيض فى الروض زهره مستنير

وقال الآخر

كالبيض فى الأدحى يلمع بالضحى * فالحسن حسن والنعيم نعيم

وقال جرير

ما استوصف الناس عن شئ يروقهم * الا رأوا أم نوح فوق ما وصفوا

كأنها مزنة غراء رائحة * أو درة لا يوارى لونها الصدف

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مزن قال الله جل وعز أأنتم أنزلتموه من المزن فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها قال الأعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

الريث الابطاء فهذا ما تلحقه العين منها فأما الخفة فهى كاسرع ما روان خفى ذلك على البصر قال الله جل وعز وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرة والبيضة وانما تقصد من كل شئ الى شئ قال ذو الرمة

ومية أحسن الثقلين جيدا * وسالفة وأحسنهم قذالا

فلم أر مثلها نظرا وعينا * ولا أم الغزال ولا الغزالا

هى الشبه أعطافا وجيدا ومقلة * وكالشمس أفتى ثم زالا

أصاب خصاصة فبدا كليلا * كلا وانغل سائره انغلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية العنق والقذالان ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتى ثم

زالا يقال أفتق السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فرجة يسيرة بين السحابتين تقول العرب دام علينا الغيم ثم أفتقنا واذا نظر الى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن مايكون وأشده استنارة وقوله كلا بريد في سرعة ما بدا ثم غاب وقال الله عز وجل كأنهن الياقوت والمرجان وقال تبارك وتعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون والمكنون المصون يقال كننت الشئ اذا صنته وأكننته اذا أخفيته فهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى أو أكننتم في أنفسكم وقد يقال كننته أخفيته وقد قال جرير في يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان

الحزم والجود والايمان قد نزلوا * على يزيد أمين الله فاحتلفوا

ضخم الدسيعة والايمان غرته * كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

وقال ذو الرمة

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت أم أم سالم

وقال ابن أبي ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها * يمشين بين المقام والحجر

يرفلن في الريط والمروط كما * تمشي الهوينا سواكن البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العطوي

قد رأينا الغزال والغصن والنجـ * ـمين شمس الضحى وبدر الظلام

فوحق البيان يعضده البر * هان في مأقط ألد الخصام

ما رأينا سوى المليحة شيأ * جمع الحسن كله في نظام

فهي تجري مجرى الأصالة في الرأ * ي ومجرى الأرواح في الأجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أي حجتكم والمأقط موضع

الحرب فضرب به مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والألد الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى لتنذر به قوما لدا وقال وهو ألد الخصام وقالت ليلى الأخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يقدع الخصم الألد ويملأ الـ * شيزى إذا ما يوم نكباء صرصر

السديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين لأن الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي ثمان في المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وإنما تأتي الجنوب من قبل اليمن قال جرير

وحبذا نفحات من يمانية * تأتيك من قبل الريان أحيانا

وإذا هبت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

وإذا أتت من قبل الشام فهي شمال قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

وهي تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وإذا جاءت من دبر البيت الحرام فهي الدبور وهي تهب بشدة والعرب تسميها محوة عن أبي زيد لأنها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فأما الأصمعي فزعم أن محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

الرجاج هاشية الإبل وضعافها وقال الأعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام فى العربية لان بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها أسماء وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك فى عقب هذا الباب ان شاء الله يقال جنبت الريح جنوبا وشملت شمولا ودبرت دبورا وصبت صبوا وسمت سموما وحرت حرورا مضمومات الاوائل فاذا أردت الاسماء فتحت أوائلها فقلت جنوب وشمول وسموم ودبور وحرور ولم يأت من المصادر شئ مفتوح الاول الا أشياء يسيرة قالوا توضأت وضوءا حسنا وتطهرت طهورا وأولعت بالشئ ولوعا وان عليه لقبولا ووقدت النار وقودا وأكثرهم يجعل الوقود الحطب والوقود المصدر ويقال الشمال على لغات ست يقال شمال وشأمل وشمأل وشمل وشمل وشامل غير مهموز ويقال للشمال الجربياء قال ابن أحمر

بهجوٍ من قساً ذفر الخزامى * تداعى الجربياء به الحنينا

ويقال للجنوب الأزيب ويقال للصبا القبول وبعضهم يجعله للجنوب وهو فى الصبا أشهر بل هو القول الصحيح والأير والهير والأير والهير قال الشاعر

* مطاعيم أيسار اذا الهير هبت * فهذا يدل على أنه الصبا وذلك أنهم انما يمدحون بالاطعام فى المشتاة وشدة الزمان كما قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر

الجفلى العامة والنقرى الخاصة والآدب صاحب المأدبة يقال مأدبة ومأدبة للدعوة وفى الحديث ان القرآن مأدبة الله قال أهل العلم معناه مدعاة الله وليس من الأدب وأكثر المفسرين قالوا القول الاول وكلاهما فى العربية جائز ويدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا الجفنة الغراء أى التى يجتمع الناس عليها ويدعون اليها ويقال فى الدعوة أدبه يأدبه أدبا اذا دعاه قال الشاعر

وما أصبح الضحاك الا كثالبٍ * عصانا فأرسلنا المنية تأدبه

وقولنا فى الرياح انها تكون أسماء ونعوتا نفسره ان شاء الله يقول أكثر العرب هذه ريح جنوب وريح شمال وريح دبور فتجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

وقال زهير

مكلل باصول النبت تنسجه * ريح شمال لضاحى مائه حبك

وقال جرير * ريح خريق شمال أو يمانية * فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضعه بيمانية ولا تكون اليمانية الا نعتا لانها منسوبة فاما الخريق فهى الشديدة من كل ريح قال حميد بن ثور

يمشى حرام والمطى كانه * قنا مسند هبت لهن خريق

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بنى مجاشع بخذلانهم الزبير بن العوام فى كلمة يقول فيها

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو بأعلى الايكتين هديلا

يالهف نفسى اذ يغرك حبلهم * هلا اتخذت على القيون كفيلا

قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا

أفبعد متركم خليل محمد * ترجو القيون مع الرسول سبيلا

أفتى الندى وفتى الطعان غررتم * وأخا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصارى وكان يخل اذا هبت الصبا طلع من أطمه فنظر الى ناحيتها هبوبها ثم يقول لها هبى هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد على منها ثلاثا أى لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين وكان لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب شريفا فى الجاهلية والاسلام قد

نذر أن لا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضي فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة ابن عبد شمس وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب فخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها

أرى الجزار تشحذ مديتاه * اذا هبت رياح أبي عقيل
طويل الباع أبيض جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بما لديه * على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الله الامير خيرا قد عرف الامير أني لا أقول شعرا ولكن اخرجي يا بنيتي فخرجت خماسية فقال لها أجيبي الامير فأقبلت وأدبرت) وبعث الناس فقضى نذره ففي ذلك تقول ابنة لبيد

اذا هبت رياح أبي عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا
(طويل الباع أبيض عبشميا * أعان على مروته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظني يا ابن أروى ان تعودا

قال لها لبيد أحسنت يا بنيتي لولا أنك سألت فقالت ان الملوك لا يستحى من مسألتهم فقال لها يا بنيتي وأنت في هذا أشعر) ومن جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها اذا سمى بشئ منها رجل لانك اذا سميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدا لا علامة للتأنيث

فيه لم تصرفه فى المعرفة وصرفته فى النكرة نحو عَناق وأَتان وعقرب وان كان نعتا انصرف لانك اذا سميت رجلا مذكرا بنعت مؤنث لا علامة فيه صرفته لانه مذكر نَعَتَّ به المؤنث نحو حائض وطالق ومُتْئِم ومُرْضِع واذا ذكرنا من الباب شيأ فالم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه قال الشاعر فجعل ما وصفنا أسماء

حالت وحيل بها وغير آيها * طول البلى تجرى به الريحان

ريح الشمال مع الجنوب وتارة * رِهَمُ الربيع وصائب التهتان

وقد أنشدوا بيت زهير * ريح الجنوب لضاحى مائه حُبُكُ * وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لان ذلك انما يكون على ضربين فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف فى معرفة ولا نكرة لمذكر كان او مؤنث فالمقصور نحو حبلى وسَكْرى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فان كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف اذا كان لمذكر فى المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالاصلى نحو سقاء وغذاء وحذاء ورداء والزائدة نحو علباء وحرباء وقوباء يافتى ومن قال قُوَباء يافتى أنّث ولم يصرف لان الاولى مُلْحَقة وهذه للتأنيث فأما الالف المقصورة التى لغير التأنيث فان كانت أصلية انصرفت فى المذكر نحو مَلْهَى ومَغْزَى ومُشْتَرَى وان كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت فى النكرة ولم تنصرف فى المعرفة نحو أرطى وعلقى فمن جعل الواحدة [illegible] فاما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف فى النكرة وغير منصرف فى المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فاما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه فى الكتاب المقتضب وتقول فى أكثر الكلام هبّت جنوبا وهبت شمالا فتستغنى عن ذكر الريح وهذا مما يؤكد أنها نعوت لان الحال انما بابها أن تقع فيما يكون نعتا قال جرير

هبت شمالا فذكرى ما ذكرتكم * عند الصفاة التي شرقي حورانا

وقال الآخر

فأى حى اذا هبت شآمية * واستدفأ الكلب بالمأسور ذى الذئب

المأسور يعنى قتبا وانما الاسر الشد بالقد حتى يحكم وانما قيل الاسير من ذا لانه كان يشد بالقد ثم قالت العرب لكل محكم شديد الاسر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وقوله ذى الذئب يعنى الفضول التى بوسعته وأسعته يقال غبيط مذأب أى ذو ذئب أى متسع والغبيط مركب من مراكب النساء وقال أوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كلدة الاسدى

والحافظ الناس فى قحوط اذا * لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وكانت الكاعب المنعمة الحسناء فى زاد أهلها سبعا

تحوط وقحوط وكحل وجحرة أسماء للسنة المجدبة والعائذ الحديثة النتاج فتنحر أولادها فى السنة المجدبة ابقاء على ألبانها وشحومها والربع الذى ينتج فى الربيع والهبع الذى ينتج فى الصيف يقال ماله هبع ولا ربع وانما سمى هبعا لان الربع أسن منه فيمشى مع أمهاتها ولا يلحق بها الهبع الا باجتهاد فيستعين بعنقه فى المشى يقال اذا فعل ذلك هبع يهبع ويقال للريح الشمال نسع ومسع قال الهذلى

قد حال دون دريسيه مأوبة * نسع لها بعضاه الارض تهزيز

الدريسان ثوبان خلقان ومأوبة مفعلة من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه قال أبو عبيدة هو سير النهار والاسآد سير الليل لا تعريس فيه وأنشد لسلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

وانما يعنى ريحا وقوله نسع أى شمال والعضاة شجرة ضخمة فبعض العرب يقول للواحدة عضاهة وللجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول للواحدة عضة فيقول فى الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزم المآزما * وعضوات تقطع اللهازما

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب والواو فى قول بعضهم تقول فى جمعها سنوات وسانيت الرجل وبعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف فى القرآن يقرأ على ضروب فمن قرأ لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التى هى سنيهة ومن جعله من الواو وقال فى الوصل لم يتسن وانظر فاذا وقف قال لم يتسنه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء فى قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله جل وعز فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال أسن فى هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته استدرته وفى الحديث ماهبت الريح الجنوب الا أسال الله بها واديا وقال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت أخلاقه مطمئنة * له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتى بالمطر والندى والعرب تكره الدبور وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لأنها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب الا أقل ذلك الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتى على الزروع وقال رجل يهجو رجلا

لو كنتَ ريحاً كانت الدَّبورا * أو كنتَ غيماً لم تكن مطيرا

أو كنتَ ماءً لم تكن طَهورا * أو كنتَ مُخّاً كنتَ مُخّاً ريرا

* أو كنتَ بَرْداً كنتَ زَمْهَريرا *

الرير المخ الرقيق يقال مخ رير ورار في معنى واحد وقال السُلَيْكُ

* يَصيدُكَ قافلاً والمخُّ رارُ * والشيء يذكر بالشيء وقال آخر

لو كنتَ ماءً لم تكن بعَذْبِ * أو كنتَ سيفاً كنتَ غيرَ عَضْبِ

أو كنتَ لحماً كنتَ لحمَ كلبِ * أو كنتَ عَيْراً كنتَ غيرَ نَدْبِ

فأما قول السُلَيْكُ فانه يرثي فرسه وكان يقال له النَّحّامُ فقال

كأنَّ قوائمَ النَّحّامِ لمّا * تَحَمَّلَ صُحْبتي أُصُلاً مَحارُ

على قَرْماءَ عاليةً شَواهُ * كأنَّ بياضَ غُرَّتهِ خِمارُ

وما يُدْريكَ ما فَقْري اليهِ * اذا ما القومُ وَلَّوا أو أغاروا

ويَحْضُرُ فوقَ جُهْدِ الحُضْرِ نَصّاً * يَصيدُكَ قافلاً والمخُّ رارُ

قوله كأن قوائم النحام محار المحارة الصدفة يريد الملاسة وانه قد ارتفعت قوائمه للموت والاصل جمع أصيل والاصيل العشي يقال أصيل وأُصُلٌ مثل قضيب وقُضُب وجمع أُصُل آصال وهو جمع الجمع وتقديره عنق وأعناق وطُنُب وأطناب ويقال في جمع أصيلة أصائل مثل خليفة وخلائف قال الاعشى * ولا بأحسنَ منها اذ دنا الأُصُلُ * وقال أبو ذؤيب

لَعَمْري لأنتَ البيتُ أُكرمُ أهلَهُ * وأقعدُ في أفيائهِ بالأصائلِ

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواه قوائمه وقد فسرناه قبل هذا وقوله ولوا أو أغاروا اذا طَلَبوا أو هربوا وقوله يصيدك أي يصيد لك يقال صدتك ظبياً قال الله عز وجل واذا كالوهم أو

وزنوهم يُخْسِرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كِلتُكَ ووزنتُكَ لانه قد قال تعالى أَلَا اذا اكتالوا على الناس يستوفون فأما ما جاء في الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فان العرب تقول لا تُلقِحُ السحابُ الا من رياح وتصديق ذلك قول الله عز وجل الله الذي يُرسِلُ الرياحَ فتُثيرُ سحابا وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا انشأت بحرية ثم تشاءمت قال الشاعر * تسحُّ اذا تناوحت الرياحُ * يقول اذا تقابلت [illegible] تناوحت الرياح وتناوحت أي تقابلت وتناوح الشجرُ اذا قابل بعضه بعضا [illegible] النائحة نائحة لانها تُقابِلُ صاحبتها فاذا اختلفت الريحُ عندهم [illegible] فهي من [illegible] واذا [illegible] شمالا [illegible] فهي من آيات الجدب ومن ثم تقول العرب فلان [illegible] قال أوس بن حجر * وعزّت الشمأل الرياحَ * [illegible] اذ كانت أقوى منها فلم تدع لها موضعا وقوله تعالى وعزّني في الخطاب أي غلبني في [illegible] المخاصمة ومن أمثال العرب من عزَّ بزَّ وتأويله من غلب سلب قالت الخنساءُ

كأنْ لم يكونوا حمًى يُتّقى * اذ الناسُ اذ ذاك من عزَّ بزّا

قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلا من غَنِيٍّ يفاخر رجلا من بني فزارة ثم أحد بني بدر بن عمرو وكان الغنويُّ متمكنا من لسانه وكان الفزاريُّ بَكِيًّا فقال الغنوي [illegible] الرقم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رشاءً وأعذبُ منهم ماءً لنا ريفُ السهول ومعاقلُ الجبال وأرضهم سبخةٌ ومياههم أملاحٌ وأرشيتهم طوالٌ والعرب اذ ذاك من عزَّ بزَّ فبعزّنا ما تخيّرنا عليهم وبذُلِّهم ما رضوا عنا بالضيم قوله كان الفزاري بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك في الحلب يقال ناقة غزيرة وناقة بكيٌّ وهي ضد الغزيرة أي قليلة اللبن ودهين وصمرد في معنى يقال بكأت الشاةُ والناقة وبكُؤت قال الشاعر

فاذا ما حاردت أو بكُؤت * فُضَّ عن خاتم أخرى طينُها

وقال سلامة بن جندل الطهوى

يقول محبسها أدنى لمرتعها * وان تداعى ببكء كل محلوب

يقول ان تحبس الابل على ضر وتغافل عنها فهو أدنى بأن تعزف فترتع فيما تستقبل وان ذهبت ألبانها الآن ان طردناها وهو بنا طمع فينا واستذلنا ويقال في الكلام رجل عيي بكي قال أبو العباس وهذا التفسير اذا تأوله تأويله آل بدر فقد أعظم الفرية وبلغ في البهت وأشمت العدو بجمهورة قيس وصار بهم الى ما قال الأخطل

وقد سرني من قيس عيلان أنني * رأيت بني العجلان سادوا بني بدر

وكان زياد يقول وهو الغاية في السياسة أوصيكم بثلاثة بالعالم والشريف والشيخ فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفاً أو بشاب وثب على شيخ أو جاهل امتهن عالماً الا عاقبته وبالغت وقال عمارة لبني أسد بن خزيمة

يا أيها السائل عمّا لا أخبره * بذات نفسي وأيدي القوم ترفدني

ان تستقم أسد ترشد وان شغبت * فلا يلم لائم الا بني أسد

ان رأيتم يعصى كبيركم * وتنكرون ذوي قدر لكم

فباعد الله كل البعد داركم * ولا شفاكم من الأضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وآذنه على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا والوضيع يتطلب الى الشريف لا يرى مطاولته فخرا والاجتراء عليه ربحا لأن مطاولة الشريف للئيم ذل وضعة وقال الشاعر

اذا أنت قاولت اللئيم فانما * يكون عليك الذنب حين تقاوله

ولست كمن يرضى بما غيره الرضا * ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

وسنشبع في هذا المعنى ان شاء الله وفي هذا الشعر بيت يقدم في باب الغلط وهو

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله

(وقل للفؤاد ان نزى بك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطله)

الصريمة العزيمة وقد امتنع قوم من الجواب تنبلا ومواضعهم تنبئ عن ذلك وامتنع قوم عيا بلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السفه وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسب سيد قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته في الذحول قال الراجز

ان بجيلا كلما هجاني * ملت على الاغطش او أبان

أو طلحة الخير فتى الفتيان * أولاك قوم شأنهم كشاني

ما نلت من أعراضهم كفاني * وان سكت عرفوا احساني

وقال أحد المحدثين

اني اذا هر كلب الحي قلت له * اسلم وربك مخنوق على الجرر

قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

ولا يبادر في الشتاء وليدها * القدر ينزلها بغير جعال

الجعال الذي يوضع فيه البرمة وربما وقيت به حرارتها قال الراجز

لا نسب اليوم ولا خلة * اتسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب وفي مثل اختيار النبيل لتتكافأ الاعراض قول الاخطل

شفى النفس قتلى من سليم وعامر * ولم يشفها قتلى غني ولا جسر

ولا جشم شر القبائل انها * كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر

ولو ببني ذبيان بلت رماحنا * لقرت بهم عيني وباء بهم وتري

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان اللاحقي

أليس من الكبائر أن وغدا * لآل معدّل يهجو سدوسا

هجاء عرضا لهم غضا جديدا * وأهدف عرض والده اللبيسا

وقال آخر

اللؤم أكرم من وبر ووالده * واللؤم أكرم من وبر وما ولدا

قوم اذا جر جاني قومهم أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

اللؤم داء لوبر يقتلون به * لا يقتلون بداء غيره أبدا

وقال أحد المحدثين (هو دعبل)

أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت عتيق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

وقال آخر

نبئت كلبا هاب رميي له * ينبحني من موضع نائي

لو كنت من شيء هجوناك أو * لو نلت للشابع والرائي

فعد عن شتمي فاني امرؤ * حلمني قلة أكفائي

وقال آخر (هو دعبل)

فلو أني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان

صبرت على عداوته ولكن * تعالي فانظري بمن ابتلاني

ووقف رجل عليه مقطعات على الاحنف بن قيس يسبه وكان عمرو بن الاهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سبا يغضب والاحنف مطرق صامت فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض ابهاميه ويقول يا سوأتاه والله ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه وفعل ذلك آخر فأمسك عنه الاحنف فأكثر الرجل الى أن أراد الاحنف القيام

للغداء فاقبل على الرجل فقال له يا هـذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليـه ان شئت فانك مذ اليوم تحـدو بجمل ثقال والثقال من الابل البطيء الثقيل الذى لا يكاد ينبعث وعـدّت على الاحنف سقطة فى هـذا الباب وهو أن عمرو بن الاهتم دسّ اليه رجلا ليسفهه فقال له أبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان من أوسطهم لم يسُدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليـه ثانية ففطن الاحنف أنه من قبل عمرو فقال ما كان مال أبيك فقال كانت له صرمة يمنح منها ويقري ولم يك أهتم سلاحا وجعل لرجـل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه ولم تكن فى موضع مرضي فأتاه الرجـل وهو بمصر أمير عليها فقال أردت أن أعرف أم الامير فقال نعم كانت من عنزة ثم من بنى جلان تسمى ليلى وتلقب النابغة اذهب وخذ ما جعل لك وقال له مرة المنذر بن الجارود أى رجل أنت لولا أمك قال فانى أحمد الله اليك انى فكرت فى هذا البارحة فأقبلت أنقلها فى قبائل العرب فـما خطرت لى عبـد القيس على بال ودخـل عمرو مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم فى شئ من ذكرى قالوا أجل كنا نميل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمى من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه منى وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلى واستشهد وبقيت وقد أكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه وانما نذكر من الشئ وجوهه ونوادره قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيرى عنـه ثم دار كلام فسب الزبيرى على بن الحسين فأعرض عنه فقال له الزبيرى ما يمنعك من جوابى فقال على ما منعك من جواب الرجـل وقـد روى قول القائل لو قلت واحـدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة وقال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فأجوز ثم أقول لا يعنينى

وقال رجل لرجـل وسبه فلم يلتفت اليـه اياك أعنى فقال له الرجل وعنـك أعرض فأما قول

الشعبي للرجل ما قال فمن غير هذا الباب وانما مخرجه الديانة وذلك أن رجلا سب الشعبي بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال أبو العباس قال رجل لأبي بكر الصديق رحمه الله لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معي (و يحدث ابن عائشة عن أبيه أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أفره مركبا منه فسألت عنه فقيل لي الحسن بن علي بن أبي طالب فامتلأت له بغضا فصرت اليه فقلت أأنت ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة ومالا نواسي منه فانطلقت وما أجد على وجه الارض أحب الي منه) و يتصل بهذا الباب ذكر من رغب برجل عن ارث رجل لا يشاكله وولاية رجل لا يشابهه قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت * هلال بن قعقاع ببشر بن غالب
وماهي الا كالعروس تنقلت * على رغمها من هاشم في محارب

وقال الفرزدق حين ولي العراق عمر بن هبيرة الفزاري بعقب مسلمة بن عبد الملك

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعي فزارة لا هناك المرتع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت * أن سوف يطمع في الامارة أشجع
فأرى الامور تنكرت أعلامها * حتى أمية عن فزارة تنزع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة قال رجل من بني أسد يجيب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى * عنها أمية بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجبا وأحدث بعده * أمر تضج له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها * فاليوم من قسر تذوب وتجزع

وملوك خندف أسلمونا للعدى * لله در ملوكنا ما تصنع

كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع

قال أبو العباس وكان الفرزدق هجّاء لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفي ذلك يقول ليزيد ابن عبد الملك بن مروان

أمير المؤمنين وأنت برٌّ * أمينٌ لست بالطبع الحريص

أأطعمت العراق ورافديه * فزاريّاً أحذّ يد القميص

تفهّق بالعراق أبو المثنّى * وعلّم قومه أكل الخبيص

ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلوص

قوله لست بالطبع الحريص فالطَّبِع الشديد الطمع الذي لا يفهم لشدة طمعه وإنما أُخذ هذا من طَبَع السيف يقال طَبِع السيف يا فتى وهو سيف طَبِع إذا ركبه الصدأ حتى يغطّي عليه والمَثَل من هذا في الذي طُبِع على قلبه إنما هو تغطيته وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طَبَع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألّف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما غين على قلبه فهي غشاوة تعتريه والغَيْنة القطعة من الشجر الملتف تغطّي ما تحتها قال الشاعر

كأني بين خافيتي عقاب * أصاب حمامة في يوم غين

وقال بعضهم أراد في التفاف من الظلمة وقال آخرون أراد في يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون في الغنة كما يقال للحية أيم وأين واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون في القوافي لما ذكرت لك من اجتماعهما في الغنة قال الراجز

بَنِي ان البرشِيِّ هَيِّنٌ * المَنطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ

وقال آخر

ما تَنقِمُ الحربُ العَوانُ مني * بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنِّي

* لمثلِ هذا ولدَتني أُمي *

والعراقان البصرة والكوفة والرافدان دجلةُ والفُراتُ وقوله أحذَّ يدِ القميص الاحذّ

الخفيف قال طَرَفة * وأتلع نَهّاض أحذّ مُلَمْلَم * وانما نسبه بالخفة في يده الى السرق

وقوله تفهق أي امتلاءً ماء يقال بئر تَفْهَقُ وغَديرٌ يَفْهَقُ اذا امتلأ ماء قال الراجز

لا ذنبَ لي قد قلتُ للقوم استقوا * والقومُ في عُرْضِ غديرٍ يَفْهَقُ

وقال الاعشى في مدحه المُحَلَّقَ بن حَنْتَم أحد بني أبي بكر بن كلاب

نفى الذمَّ عن رهطِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ * كجابيةِ الشيخِ العراقيِّ تَفْهَقُ

هكذا رواية أبي عبيدة وقوله

ولم يكُ قبلها راعي مَخاضٍ * ليأمَنَهُ على وَرِكَي قَلوصِ

كانت بنو فزارة تُرمى بغشيان الابل ولذلك قال ابن دارة

لا تأمننَّ فزاريًّا خلوتَ به * على قَلوصِكَ واكتُبْها بأسيارِ

فلما عُزِلَ ابن هُبَيْرَة وحبسه خالد بن عبد الله القَسْريُّ قال الفرزدق

لعمري لئن نابت فَزارةَ نَوْبَةٌ * لَمِن حَدَثِ الايامِ تحسبها قَسْرُ

لقد حَبَسَ القسريُّ في سجن واسطٍ * فتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

فتًى لم تُرَبِّبْهُ النصارى ولم يكن * غِذاءً له لحمُ الخنازيرِ والخمرُ

الشيظميُّ الطويل قال ذو الرمة

اذا مار مينا رمية في مفازة * عراقيبها بالشيظمي المواشك

يريد حاديا يسوقها وقوله مايهنهه الزجر يقول ما يحركه وقوله فتى لم تربه النصارى يثنيه به على أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها في يوم عيد للروم فاولدها خالدا وأسدا ولذلك يقول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت امه * تدين بان الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد

وقال

عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهر الله خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لامه * وتهدم من بغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى الانصار وهو

ليتني في المؤذنين حياتي * انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فحطها عن دور الناس وروى عنه فيما روى من عتوه أنه استعفى من بيعة بناها لامه فقال لملا من المسلمين قبح الله دينهم ان كان شرا من دينكم وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نقب له السجن وهرب وسار تحت الارض هو وابنه حتى نفذا

لما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حيث أدلجا
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة * سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا قوله حيث أدلجا

تقول أدلجت اذا سرت من أول الليل وادّلجت اذا سرت من آخره في السحر قال زهير

بكرن بكورا وادّلجن بسحرة * فهن لوادي الرس كاليد للفم

وأعوج فرس كان لغني وقالوا كان لبني كلاب ولا ينكر هذا لان حبيبة بنت رياح الغنوية

ولدت بني جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار الى بني جعفر بن كلاب من غني والعرب

تنسب الخيل الجياد الى أعوج والى الوجيه ولاحق والغراب والمحموم وما أشبه هذه الخيل

من المتقدمات قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجا وسلمى * تخب نزائعا خبب الذئاب

جلبنا كل طرف أعوجي * وسلهبة تكافئه العقاب

ثم رجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس في طول الليل

كأن الثريا علقت في مصامها * بأمراس كتان الى صم جندل

فهذا في ثبات الليل واقامته والمصام المقام وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك

ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فدعها وسل الهم عنك بجسرة * ذمول اذا صام النهار وهجرا

وقال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والأمراس جمع مرس وهو الحبل قال أبو زبيد في غلامه وتعرض للحرب فقتل

اما تعلق بك الرماح فلا * أبكيك الا للدلو والمرس

وقال في ثبات الليل

فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

المغار الشديد الفتل يقال أغرت الحبل اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه وقال أيضا

كأنّ أباناً في أفانين ودقه * كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزمَّلِ

أبانٌ جبل وهما أبانان أبان الاسود وأبان الابيض قال مُهلهلٌ وكان نزل في آخر حربهم حرب البسوس في جنب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك وهو مذحج وجنب حي من أحيائهم وضيع فخطبت ابنته ومهرت أدماً فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أنكحها فقدُها الاراقم في * جنبٍ وكان الحباءُ من أدمِ

لو بأبانين جاء يخطبها * ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقوله في أفانين ودقه يريد ضروباً من ودقه والودْق المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائي

فلا مزنةٌ ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وقوله كبير أناس في بجاد مزمل يريد مزملاً بثيابه قال الله تبارك وتعالى يا أيها المُزَّمِّلُ قم الليل الا قليلاً وهو المتزمل والتاء مدغمة في الزاي وانما وصف امرؤ القيس الغيث فقال قوم أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطر من خضرة النبت وكلاهما حسنٌ . ذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله وقال الراجز يصف غيثاً

أقبل في المستنّ من ربابه * أسنمة الآبال في سحابه

أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الابل فتصير شحومها في أسنمتها والرباب سحاب دُوَيْنَ المعظم من السحاب قال المازني

كأنّ الرباب دُوَيْنَ السحاب * نعامٌ يعلّق بالأرجلِ

وقوله جل وعز اني أراني أعصر خمراً أي أعصر عنباً فيصير الى هذه الحال وقال زهير

كأنّ فتات العهن في كل منزل * نزلن به حبُّ الفنا لم يحطم

القنا شجر بعينه يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق فى هيئة التبن الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما يسقط من أنماطهن اذا نزلن والعهن الصوف الملون فى قول أكثر أهل اللغة وأما الاصمعى فقال كل صوف عهن وكذلك قال أهل اللغة الحنتم الخزف الاخضر وقال الاصمعى كل خزف حنتم قال القرشى

من مبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم

وقال جرير

ان الفرزدق يا مقام ديار تغلب مسجد * وبها كنائس حنتم ودنان

والتشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد قال الله عز وجل وله المثل الاعلى الزجاجة كأنها كوكب درى وقال طلعها كأنه رؤس الشياطين وقد اعترض معترض من الملحدين فى هذه الآية فقال انما يمثل الغائب بالحاضر ورؤس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جل وعز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهذه الآية قد جاء تفسيرها فى ضربين أحدهما أن شجرا يقال له الاستن منكر الصورة يقال لثمره رؤس الشياطين وهو الذى ذكر النابغة فى قوله * تحيد من أستن سود أسافله * وزعم الاصمعى أن هذا الشجر يسمى الصوم والقول الآخر وهو الذى يسبق الى القلب أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين فى قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس وحدثت فى اسناد متصل أن أبا النجم العجلى أنشد هشام بن عبد الملك * والشمس قد صارت كعين الاحول * لما ذهب به الروى عن الفكر فى عين هشام فأغضبه فأمر بطرده فأمل أبو النجم رجعته وكان يأوى المساجد فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه ابغنى رجلا عربيا فصيحا يحادثنى وينشدنى فطلب له ما طلب فوقع على أبى النجم فأتى فلما دخل به اليه قال أين تكون منذ

أقصيناك قال بحيث ألقتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلين كلبيا وتغلبيا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له ما لك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت أحداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها * وجددي الحلف به عليها
* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال أفما أوصيتها بغير هذا قال نعم قلت

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا * والحي عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

فقال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بنتي كولده قال فما حال الاخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان
* فهي التي يذعر منها الشيطان *

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها قال ها هي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين أفلا تراه قال * فهي التي يذعر منها الشيطان * وان لم يره لما قرر في القلوب من نكارته وشناعته وقال آخر

وفى البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وأن قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله جل وعز شياطين الانس والجن قال الراجز

أبصرتها تلتهم الثعبانا * شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها ثم نرجع الى تفسير قول أبى النجم قوله سبي الحماة وابهتى عليها انما يريد ابهتيها فوضع لبهتى فى موضع اكذبى فمن ثم وصلها بعلى والذى يستعمل فى صلة الفعل اللام لانها لام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى عمرا أكرمت فانما تقديره اكرامى لعمرو وضربى لزيد فأجرى الفعل مجرى المصدر وأحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل انما يجيء وقد عملت اللام كما قال الله جل وعز ان كنتم للرؤيا تعبرون وان أخر المفعول فعربى حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز وأمرت لان أكون أول المسلمين والنحويون يقولون فى قوله جل ثناؤه قل عسى أن يكون ردف لكم انما هو ردفكم وقال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع قال الله جل ذكره ولاصلبنكم فى جذوع النخل أى على ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت فى لانها للوعاء يقال فلان فى النخل أى قد أحاط به قال الشاعر

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال الله جل وعز أم لهم سلم يستمعون فيه أى عليه وقال تبارك وتعالى له معقبات من بين

يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله وقال ابن الطثرية

غَدَتْ مِنْ عليه تَنفُضُ الطَّلَّ بعدما * رأت حاجبَ الشمس استوى فترفعا

وقال الآخر

غَدَتْ من عليه بعدما تَمَّ خِمْسُها * تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بِزِيزاءَ مَجْهَلِ

أي من عنده وقال العامري

اذا رضيتْ عليَّ بنو قُشَيرٍ * لَعَمْرُ الله أعجبني رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان أبت فازدلفي اليها بقول تقرّبي ومن ذا سميت المُزْدَلِفَةُ قال العجّاجُ

ناجٍ طَواهُ الأَيْنُ مما وَجَفا * طَيَّ الليالي زُلَفاً فزُلَفا

* سَماوةَ الهلالِ حتى احقَوقَفا *

تقول زُلْفَةٌ وزُلَفٌ كما تقول غُرْفَةٌ وغُرَفٌ وقوله بالكاتب خيرا يا جماعة شرا كلام معيب عند

النحويين بعضهم لا يجيزه وذلك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومَنْ قال هذا قال

ضربتُ زيداً في الدار والحُجْرةِ عمرا وكان أبو الحسن الاخفش يراه ويقرأ واختلافِ الليل

والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريفِ الرياح آياتٌ

فعطف على انَّ وعلى في وقال عَدِيّ بن زيد

أَكُلَّ أمرئٍ تَحْسَبينَ امرأً * ونارٍ توَقَّدُ بالليل نارا

فعطف على كلّ وعلى الفعل وأما قوله غدت مِنْ عليه بعد ما تم خِمسها فالخِمْسُ ظِمْءٌ من

أظمائها وهو أن تَرِدَ ثم تَغِبَّ ثلاثا ثم تَرِدُ فيعتدُّ بيومي وِرْدِها مع ظِمْئها فيقال خِمْسٌ والرِّبْعُ

كالحُمَّى الرِّبْع وقوله تَصِلُّ أي تسمع لاجوافها صليلا من يبس العطش يقال المسمار يَصِلُّ في

الباب اذا أُكرِهَ فيه قال جرير يخاطب الزُّبَير بمرثيته في هجائه الفرزدق

لو كنتَ حين غُرِرْتَ بين بيوتنا * لَسَمِعْتَ من وَقْعِ الحديد صليلا

ويقال للحمار المُصَلْصِلُ اذا أخرج صوته من جوفه حادًّا خفيا قال الأعشى

عنتريس تعدو اذا حُرِّكَ السو * ط كعدو المصلصلِ الجوّال

وقال المفسرون في قول الله عز وجل من صلصالٍ من حمأ مسنون قالوا هو الطين الذي قد جفّ فاذا قرعه شيء كان له صليلٌ وتفسير ذلك عند العرب التِّفِنُ الذي يذهب عنه الماء في الغُدْران فيتشقق ثم ييبس والقَيْضُ قشر البيضة الاعلى والذي يلبس البيضة فيكون ما بينها وبين قشرها الأعلى يقال له الغِرْقِئُ يقال ثوب كأنه غِرْقِئُ بيض والزيزاء ما ارتفع من الارض وهو ممدود منصرف في المعرفة والنكرة اذا كان لمذكر كالعلباء والحرباء وسنذكر هذا في غير هذا الموضع مفسّرًا ان شاء الله تعالى على أنا قد استقصيناه في الكتاب المُقْتَضَب والمَجْهَلُ الصحراء التي يُجْهَلُ فيها فلا يُهْتَدى لسبيلها ويقال للشيء اذا غبّ وتغيرت رائحته صلّ وأصلّ فهو صالّ ومُصِلٌّ ويقال نتن وأنتن ويقال خمّ وأخمّ وذلك اذا كان مستورا حتى يفسد ويقال اذا اعتُقَ اللحم فتغير خنز وخزن وبيت طرفة أحسن ما ينشد عليه

ثم لا يخنز فينا لحمها * انما يخنز لحم المدّخر

ويقال لربّ البيت وربّة البيت اللذين ينزل بهما الضيفُ هي أم مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أم مثوى كريم قد نزلتُ بها * انّ الكريم على علاته يسعُ

وفي كتاب الله جل وعز أكرمي مثواه معناه عند العرب اضافته ومن التشبيه المطّرد على ألسنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها قال الراجز

كأنها ليلة غبّ الأزرقِ * وقد مددنا باعها للسُّوقِ

* خرقاءُ بين السلمين ترتقي *

قوله ليلة غب الازرق انما يعني موضعا وأحسبه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهي الصافية

قال زهير

فلما وردنا الماء زرقا جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقال آخر

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مددنا باعها للمسوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعت اذا
مدت باعها [illegible] يا ابن السابين ترتقي يقول لكثرة حركة الحرباء وقلة حذقها بالصعود

وقال الآخر

كأنها نائحة تفجع * تبكي لشجو وسواها الموجع

وقال الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيد السباب حاولت أن تعذرا
من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا
بها شرق من زعفران وعنبر * أطارت من الحسن الرداء المحبرا
تقول وقد بل الدموع خمارها * أبى عفتي ومنصبي أن أعيرا
كأن يديها اذ فراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا
كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدي مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها
الذي به تدل ومنصبها المتصل بمن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا يقول هي
مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيأ عن الناظر لانها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها وقد كشف
هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تَبَالَهنَ بالعرفان لما عرفنني * وقُلنَ امروٌ باغٍ أكلَّ فأوضعا

وقَرَّبنَ أسباب الهوى لمُقتَّلٍ * يَقيسُ ذراعا كلما قِسنَ اصبعا

(فقلتُ لمطريهنَّ ويحكَ انما * ضررتَ فهل تَسطيعُ نفعا فتنفعا)

قوله كأن بذفراها مناديل فارقت * أكُفَّ رجالٍ يعصرونَ الصنوبرا

يقول لسواد الذفرى وهذا من كرمها قال أوسُ بن حجر

كأنَّ كُحيلاً مُعقَداً أو عَنِيَّةً * على رَجعِ ذِفراها من الليتِ واكفُ

(الكحيل القطرانُ والعنية ضرب منه) وهذا معنى يسئل عنه لان الليتين صفحتا العنق والذفرى فى أعلى القفا فكيف يكفُ على الذفرى من الليت والمعنى انما هو كأنَّ كُحيلاً معقدا أو عنيةً واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك كموضع دجلة من بَغداد انما هو للحد بينهما لا أنه وَكَفَ من شئ على شئ وأما قوله

كأنَّ ابن آوى موثَقٌ تحت غَرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفَّرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يخلبها بظفره فهى لا تستقر وقال أوس بن حجر

كأن هِرًّا جَنيبا تحت غُرضَتها * والتفَّ دِيكٌ بحقوَيها وخنزيرُ

والغَرضُ والغُرضةُ واحد وهو حزام الرَّحلِ وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بَذِيَّةٍ * مُفَجَّعةٍ لاقت خلائلَ عن عُفرِ

سمعنَ لها واستفرغت فى حديثها * فلا شئ يَفرى باليدين كما تَفرى

(قال أبو العباس أنشدنيهما عبد الصمد بن المُعَذَّل وأنشدنيهما سعيد بن سَلم) ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بعيدا وصفها بأنها بذية وقد فُجعت بما أُسمعت ونيل منها ولقيت خلائلها بعد زمان وتلك الشكوى كامنة فيها وأصغين اليها يُسمعنَ والفرى

الشق يقال فرى أوداجه أى قطع وفريت الاديم واذا قلت أفريت فمعناه أصلحت وقول الحجاج انى والله ما أهمّ الا أمضيت ولا أخلق الا أفريت يقول اذا قدرت قطعت يقال فريت القربة والمزادة فهما مفريتان قال ذو الرمة * كأنه من كلى مفرية سرب * وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها * اذا نجلته رجلها خذف أعسرا
كأن صليل المرو حين تشذه * صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

قوله خذف أعسر يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزيف شديد الصوت صافيه وقال آخر

كأن يديها يدا ماتح * أتى يوم ورد لغب زرودا
يخاف العقاب وفى نفسه * اذا هو أنهل الا يعودا

يقول هذا الساقى يخاف العقاب ان قصر ولا عودة اليه ثانية فهى تمتح تمتحة واحدة ومما يجرى هذا من الافراط فى الصفة قول ذى الرمة

كأنه كوكب فى اثر عفرية * مسوم فى سواد الليل منقضب

يقال عفريت وعفرية فى معنى واحد والتاء فى عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل يقال فلان (عفرية زبنية والزبنية المنكر وجمعه زبانية وأصله من الحركة يقال زبنه اذا دفعه ويقال) عفرية نفرية فى التوكيد (وعفريت نفريت ويقال عفارية لم يتبع نفارية) ومن الافراط قول الحطيئة

وان نظرت يوما بمؤخر عينها * الى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الافراط قوله

بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه * بها راكب موف على ظهر قردد

ومن ذلك قوله

وكادت على الأطواء أطواء ضارج * تساقطني والرحل من صوت هدهد

وقال آخر

مروح برجليها اذا هي هجرت * ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ

مروح تغتلي في البيد حرف * تكاد تطير من رأي القطيع

وكذلك الاعرابي الذي يقول * لو ترسل الريح لجئنا قبلها * وقد مضى خبره وأملح

ماقيل في هذا المعنى وأجوده قول امرئ القيس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فجعله للوحش كالقيد وحدثت أن رجلا نظر الى ظبية ترود فقال له أعرابي أتحب أن تكون

لك قال نعم قال فأعطني أربعة دراهم حتى أردها اليك ففعل فخرج يمحص في اثرها فجدت

وجد حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول

وهي على البعد تلوي خدها * تريغ شدي وأريغ شدها

* كيف ترى عدو غلام ردها *

قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذي الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

الحندس اشتداد الظلمة وهو توكيد لها يقال ليل حندس وليل أليل مظلم وقال الشماخ

في صفة الفرس

مفج الحوامي عن نسور كأنها * نوى القسب ترت عن جريم ملجلج

قوله مفج الحوامي يريد مفرق الحوامي فالحوامي نواحي الحافر والنسور واحدها نسر وهي

نكتة في داخل الحافر ويحمد الفرس اذا صلب ذلك منه ولذلك شبه بنوى القسب وترث سقطت والحريم المصروم والملجلج الذي قد لجلج مضغا في الفم ثم قذف لصلابته وقوله مفج ليس يريد الذي هو شديد التفرقه ولكن الانفصال عن التمر فانه ان اتسع واستوى اسفله فذلك الرح وهو مذموم في الخيل وكذلك ان ضاق وصغر قيل له مصطر وكان عيبا قبيحا قال حميد الارقط

لا رح فيها ولا اضطرار * ولم يقلم ارضها البيطار

(* ولا لحبليه بها حبار *

الحبار الاثر) ويروى ولم يقلب وتاويل ذلك ان حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شيء بعد شيء فحفها رقال علقمة بن عبدة

لا في شظاها ولا ارساغها عنت * ولا السنابك افناهن تقليم

ويحمد الحافر المقعب وهو الذي هيئته كهيئة القعب وان كان كذلك قيل حافر وأب قال ابن الطرع

لها حافر مثل قعب الوليـ * ـد يتخذ الفار فيه مغارا

يريد لو دخل الفار فيه لصلح كقول القائل فاتى بجفنة يقعد عليها عشرة أي لو قعد عليها عشرة لصلح وقال الزاجر * وأب حمت نسوره الاوقارا * (يقال حافر موقور وهو ان يصيبه داء يشبه الرهصة) وفي كل حافر حاميتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومقدمه السنبك ومؤخره الدابرة ومثل قوله عن بحريم ملجلج قول علقمة بن عبدة

سلاءة كعصا النهدي غل بها * ذو فيئة من نوى قران معجوم

شبهها بالشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يحمد منها ان يدق صدرها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والحمام يحمد منهن ان يعرض الصدر ثم ينخرط الى ذنبه ضمور انبة ال في

صفقته كأنه جَلَمٌ وقوله كعصا النهدي يريد في الصلابة كما قال * وكلُّ كُمَيْتٍ كالهراوة صلدم *
وقوله ذو قبئة من نوى قران يقول ذو رَجْعة يقول مضغته الابل فلم تكسره ثم بعرته صحاحا
ومعجوم ممضوغ يقال عجمته أعجمه اذا مضغته فالعجم المضغ ويقال للنوى من كل شئ العجم
متحرك العين قال الاعشى * وجذعانها كلقيط العجم * وقال النابغة

وظلَّ يعجم أعلى الروق منقبضا * في حالك اللون صدق غير ذي أود

ومثل البيت الاول قول عقبة بن سابق العنبري

له بين حواميه * نسور كنوى القسب

فهذا تشبيه مقارب جدا ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (هو الشمّاخ)

كأنّ المتن والشرخين منه * خلاف النصل سيط به مشيج

يريد سهما رُمِيَ به فأنفذ الرمية وقد اتصل به دمها والمتن متن السهم وشرخ كل شئ حدّه فأراد
شرخي الفوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

وقال الله جل وعزمن نطفة أمشاج نبتليه وفي الحديث اقتلوا مسانّ المشركين واستبقوا
شرخهم أي الشباب لان الشرخ الحدّ قال حسّان

انّ شرخ الشباب والشعر الاسـ ـود مالم يعاص كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شعبة قال أنشدنا سماك بن حرب في هذا الحديث

ان شرخ الشباب تألفه البيـ ـض وشيب القذال شئ زهيد

فأما قول الشنفرى

كأنّ لها في الارض نسيا تقصه * على أمها وان تحدثك تبلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيأ في الارض والنسي على

ضرب بين أحدهما ما تقادم عهده حتى ينسى والآخر ما أضله أهله فيطلب ويطمع فيه وتقصه تتبعه قال الله جل وعز وقالت لأخته قصيه أي اتبعي أثره والأمّ القصد وقوله وان تحدثك تبلت تقطع الحديث لاستحيائها وأنشد بشار بن برد الأعمى قول كثير

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالأكف تلين

قال فقال لله أبو صخر جعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا ألا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها قطع الجنان

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى ويقال للمردي خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتمد عليه قال النابغة

يظل من خوفه الملاح معتصما * بالخيزرانة بعد الأين والنجد

الأين الاعياء والنجد العرق وقد عاب بعض الناس قول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بمنخرق من بطن واد كأنما * تلاقت به عطارة وتجارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت لكثير فقالت أأنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم ترأني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قوله جثجاثها وعرارها الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل قال جرير يهجو

قال عيينة العبدي

كم عمة لك يا خليد وخالة * خضر نواجذها من الكراث

نبتت بمنبته فطاب لريحها * ونأت عن القيصوم والجثجاث

[illegible] بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة

يسمونه الركل والركل قال أحد العبديين

ألا [illegible] الاحسا وطيب ترابها * وركلها غاد علينا ورائح

[illegible] طيب الريح قال الاعشى

[illegible] كالاراره

[illegible] دخولنا في

[illegible] أبو زيد

[illegible] في الندي * [illegible] ملامتي وعتابي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

زيادة ها للتنبيه قال جرير

هذي التي جدعت تيماً معاطسها * ثم اقعدي بعدها يا تيم أو قومي

وقال عمران بن حطان

وليس لعيشنا هذا مهاهٌ * وليست دارنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء في الوصل فيقولون مهاهٌ وتقديره فعالٌ ومعناه اللمع
والبهاء يقال وجه له مهاه يا فتى والاصمعي يقول مهاة تقديرها حصاة يجعل الهاء زائدة
وتقديرها في قوله فعلة والمهاة البلورة والمهاة البقرة الوحشية وجمعها المها (حكى يعقوب بن
السكيت مهاة من أسماء الشمس وأنشد

ثم يجلو الظلام ربٌّ رحيمٌ * بمهاة ضياؤها منشور).

فاذا صغرت ذه قلت تيّا كأنك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها لانك اذا صغرت ذا قلت ذيّا
فلو صغرت ذي فقلت ذيّا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكر
وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء وسنذكر ذلك في باب نفرده له ان شاء الله
تعالى ۞ عاد القول الى التشبيه أنشدتني أم الهيثم في صفة جمل

كأن صوت نابه بنابه * صرير خطاف على كلابه

أرادت الصريف وهو أن يحك أحد نابيه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف
ما تدور عليه البكرة والكلاب ما وليه وقد قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

القعو ما تدور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على
حبل فذلك الحبل يسمى الدركة وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذي قد ركب
بعضه بعضا والنحض اللحم و بازلها نابها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب

قال ذو الرمة

كأنّ على أنيابها كلّ سُدْفة * صياحَ البوازي من صريف اللوائك

يقول ممّا تلوكه ويقال في الغضب تركت فلانا يصرف نابه عليك ويحرق ويحرّق ورأيته يعضّ عليك الأرّم قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة (بن بدر الفزاري)

أبى الضيمَ والنعمانُ يحرق نابه * عليه فأفضى والسيوفُ معاقلُه

وقال آخر

نُبّئت أحماء سلمى أنّما * ظلّوا غضابا يعلكون الأرّما

وقال بعض النحويين يعني الشفاه وقال بعضهم يعني الاصابع فأما قولهم عضّ على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما انه قال قد احتنك وبلغ والآخران يكون للاطراق والتشدد وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضّوا على النواجذ فان ذلك ينبي السيوف عن الهام ۞ ثم نعود الى التشبيه قال الراجز (وهو أبو النجم)

كأنّها حين تناهى الباس * جنيّةٌ في رأسها أمراس

بها سكون وبها شماس * يخرج منها الحجر الكبّاس

يمرّ لا يحبسه حبّاس * لا نافذ الطعن ولا ترّاس

يصف المنجنيق والامراس الحبال الواحد مرسة والكبّاس الضخم يقال هامة كبساء يافتى ورأس أكبس والحبّاس الذي من شأنه ان يحبس يقال رجل ضارب للذى يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضرّاب وقتّال فانما يكثر الفعل ولا يكون للقليل قال الراجز

أخضر من معدن ذى قساس * كأنه في الحيد ذى الاضراس

* يرمى به في البلد الدهاس *

يصف سيوفاً [illegible] قساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بني أسد والحيد ما أشرف
من الجبل أو غير ذلك يقال للطنف حيد وهو الذي يسميه أهل الحضر الإفريز يقال طنف
حائطك ويقال للناتئ وسط الكتف حيد وغير وكذا الناتئ في القدم وقوله ذي الاضراس
يريد الموضع [illegible] الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعول لحدته يقع في الخشونة فيهدمها كما
[illegible] من الرمل قال دريد بن الصمة في يوم حنين اين مجتلد
القوم [illegible] فقال نعم فقال الخيل لا خزن ضرب [illegible] وقال [illegible]
يصف حمارا

[illegible] فيه اذا ما [illegible] * عودا دوين اللهوات مولجا

[illegible] حتى اذا أمن تراه لا يشتد [illegible] وكأنه [illegible]

[illegible] النعشير [illegible] * [illegible] بنا [illegible] من [illegible]

[illegible] يقول عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

[illegible] انه يخرج منها كأنه صوت فانما شبهه بالزمير وأراد
القصب الذي [illegible] قال الاصمعي هو الذي يقال له بالفارسية ناي قال الراعي يصف الحادي

[illegible] كان في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

المقنع الرافع [illegible] في هذا الموضع ويقال في غيره الذي يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل
وعز [illegible] من قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا انه ينظر [illegible] ثم يطأطئ
رأسه [illegible] الى الاغضاء والانكسار والعجول [illegible] الحنين اي الآلفة اذا أخذ
من [illegible] وانما [illegible] عند الفقد قال الشاعر

(وتفرقوا بعد الجميع لنية * لا بد أن يتفرق الجيران)

لا تصبر الابل ابدا اذا تفرقت * بعد الجمع ويصبر الانسان

وقال آخر

وهل ريبة في أن تحن نجيبة * الى الفها أو أن يحن نجيب

واذا رجعت الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولالتياح البروق وقال عوف بن محلم وسمع نوح حمامة

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح
أفق لا تنح من غير شيء فانني * بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكي والفؤاد قريح

وكل مطوقة عند العرب حمامة كالدبسي والقمري والورشان وما أشبه ذلك قال حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما
اذا شئت غنتني بأجزاع بيشة * أو النخل من تثليث أو بيلملما
مطوقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما
محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة في شجوها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميلة * تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة

(ومما شجاني أنني كنت نائما * أعلل من برد الكرى بالتنسم
الى أن بكت ورقاء في غصن أيكة * تردد مبكاها بحسن الترنم)

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

اما قول حميد دعت ساق حر فانما حكى صوتها و يقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحمام والحمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كانت أنثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بطة وهذه بطة ويقال بقرة للذكر والانثى ودجاجة لهما واذا قلت ثورا وديك بينت الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير و يقال للحمامة تغنت وناحت وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم فيشبه مرة بهذا ومرة بهذا قال قيس بن معاذ

ولولم يشقني الظاعنون لشاقني * حمائم ورق في الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى * نوائح ما تجرى لهن دموع

وقوله وانجال الربيع يقال انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم عنا وان قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشق يقال المجوب للحديدة التي يثقب بها العيب ويقال جبت البلاد أى دخلتها وطوفتها وفي القرآن وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أى شقوه وقوله لم يكن من عجمة التميمة المعاذة وقد مضى هذا وقوله ولم تفغر بمنطقها فما يقول لم تفتح يقال فغرفاه اذا فتحه (حكى ثعلب فغر فاه وفغر نفسه وكذلك شحا فاه وشحا نفسه) وقوله ولا عربيا شاقه صوت أعجما يقول لم أفهم ما قالت ولكني استحسنت صوتها واستحزنته لحننته اهـ وروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى ما تقول فيبكيه ذلك ويرققه ويذكر به غير ما قصدت له وحدثت أن بعض المحدثين سمع غناء بخراسان بالفارسية فلم يدر ما هو غير أنه شوقه لشجاه وحسنه فقال في ذلك

حمدت لليلة شرفت وطابت * أقام سهادها ومضى كراها

سمعت بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسي من غناها

الغناء الاول المدود من الصوت والذي ذكره بعد في القافية من المال مقصور

ومُسْمِعَةٍ يَحارُ السمعُ فيها * ولا تُصْمِمْه لا يَصْمَمْ صَداها

مَرَتْ أوتارَها فشفَتْ وشاقَتْ * فلو يَسْطيعُ حاسِدُها فَداها

ولم أفهــــم معانيها ولكن * وَرَتْ كَبِدي فلم أجهلْ شَجاها

فكنتُ كأنني أعمى مُعَنًّى * بحب الغانيات وما يراها

(وقال عَبْدُ بني الحسحاس

وراهُنَّ ربي مثلَ ما قد وَرَيْنَني * وأحمى على أكبادهنَّ المَكاويا)

قال أبو العباس والشيء يذكر بالشيء وان كان دونه فنجري لاحتواء الباب والمعنى عليهما وفي شعر حُمَيْدٍ هذا ما هو أحكمُ مما ذكرنا وأوعظُ وأحرى ان يتمثل به الاشراف وتُسوَّد به الصحف وهو قوله

أرى بَصَري قد رابني بعد صحة * وحسبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَما

ولا يَلْبَثُ العَصْران يومٌ وليلة * اذا طلبا أن يُدرِكا ما تَيَمَّما

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كَفَى بالسلامة داءً ثم نرجع الى التشبيه والعرب تُشَبِّهُ على أربعة أضرب فتشبيه مُفْرِطٌ وتشبيه مُصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشنُ الكلام فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخيِّ هو كالبحر وللشجاع هو كالاسد وللشريف سما حتى بلغَ النجمَ ثم زادوا فوق ذلك فمن ذلك قولُ بعضهم (وهو بكر بن النطاح يقوله لابي دُلَفَ القاسم بن عيسى)

له هِمَمٌ لا مُنْتَهى لكبارها * وهِمَّتُه الصُّغْرى أجلُّ من الدهر

له راحةٌ لو أنَّ مِعْشارَ جُودِها * على البَرِّ صار البَرُّ أندى من البحر

ولو أنَّ خَلْقَ الله في مَسْكِ فارسٍ * وبارزَه كان الخَلِيَّ من العُمْر

وقد قيل أن امرأة عمران بن حطان قالت له أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط قال أو فعلت قالت أنت القائل

فهناك مجزأة بن ثو * ر كان أشجع من أسامة

أفيكون رجل أشجع من الأسد قال فقال أنا رأيت مجزأة فتح مدينة والأسد لا يفتح مدينة ومن عجيب التشبيه في افراط غير أنه خرج في كلام جيد وعني به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جعل جودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن قول النابغة يعني حصن بن حذيفة (بن بدر بن عمرو الفزاري)

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والأديم صحيح
فعما قليل ثم جاء نعيه * فظل ندي الحي وهو ينوح

ومن تشبيههم المجاوز لما بيناه الذي ذكرناه قول أبي الطمحان

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وروي عن الأصمعي أنه رأى رجلا يختال في أزيرق في يوم قر ويمشي مشيته فقال له ممن أنت يا مقرور فقال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلى ويدفئني حسبي فقيل للآخر في هذا المثال أما يوجعك البرد فقال بلى والله ولكني أذكر حسبي فأدفأ وأصوب منهما قول العريان الذي سئل في يوم قر ما يجد فقال ما علي منه كبير مؤنة قيل وكيف فقال دام بي العري فاعتاده بدني ما [illegible] وجوهكم ومن التشبيه الفاسد الصحيح قول النابغة

وعيد أبي قابوس في غير كنهه * أتاني ودوني راكس فالضواجع
فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد من نوم العشاء سليمها * لحلي النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها * تطلقه طورا وطورا تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تبيت الهموم الطارقات يعدنني * كما تعتري الأوصاب رأس المطلق

[illegible] * تطلقه طورا وطورا تراجع * [illegible]

المهموش [illegible] تارة [illegible]

من الهمات [illegible] الخائف لا ينام [illegible] ذلك

شبيهه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لكل شي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الواضح كمثل الحمار يحمل أسفارا والسفر الكتاب [illegible] الذين حملوا التوراة ثم لم

يحملوها كمثل الحمار في أنهم قد تعاموا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا

كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة قوما

من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته فقال

زوامل للاشعار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا * بأوساقه أوراح ما في الغرائر

والتشبيه كاد كريا من أكثر كلام الناس وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية والانف بحد السيف والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بابريق فضة والساق بالجمار فهذا كلام جار على الألسن وقد قال سراقة بن مالك بن جعشم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان في غرزه كأنهما جمارتان فاردته فوقعت في مقنب من خيل الانصار فقرعوني بالرماح وقالوا أين تريد وقال كعب بن مالك الانصاري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر تبلج وجهه فصار كأنه البدر وعين الانسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنثور وشعرهم المنظوم من جاري ما تكلمت به العرب وكثر في أشعارها قال

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

(وقال ذو الرمة

أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى * مشابه جنبت اعتلاق الحبائل
فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولونك الا انها غير عاطل)

وقال الآخر

فلم تر عيني مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف
طلعن بأعناق الظباء وأعين الـ * ـجآذر وامتدت بهن الروادف

ويقال للخطيب كأن لسانه مبرد فهذا الجاري في الكلام كما يقال للطويل كأنه رمح ويقال للمهتز للكرم كأنه غصن تحت بارح ومن مليح التشبيه قول القائل

لعينيك يوم البين أسرع واكفا * من الفنن الممطور وهو مروح

وذالك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن فاذا هبت به الريح لم تلبثه ان تقطره ۞ ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين وملاحاتهم فقد شرطناه في أول الباب ان شاء الله قال أبو العباس ومن أكثرهم تشبيها لاتساعه في القول وكثرة تفننه واتساع مذاهبه الحسن بن هانئ قال في مديحه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك

وكنا اذا ما الحائن الجد غره * سنى برق غاو او ضجيج رعاد

تردى له الفضل بن يحيى بن خالد * بماضي الظبي أزهاه طول نجاد

أمام خميس أرجوان كأنه * قميص محوك من قنا وجياد

فما هو الا الدهر يأتي بصرفه * على كل من يشقى به ويعادي

قوله الحائن الجد يقال حان الرجل اذا دنا موته ويقال رجل حائن والمصدر الحين والجد الحظ والجد والجدة مفتوحان فاذا أردت المصدر من جددت في الامر قلت أجد جدا مكسور الجيم ويقال جددت النخل أجده جدا اذا صرمته ويقال جذذته جذا وتركت الشئ جذاذا اذا قطعته قطعا ويروى هذا البيت لجرير على وجهين

آل المهلب جد الله دابرهم * أضحوا رمادا فلا أصل ولا طرف

ويروى جذ وقرأ بعض القراء عطاء غير مجذوذ فأما قوله فجعلهم جذاذا فلم يقرأ بغيره ويقال كم جداد نخلك أي كم تصرم منها ويروى في قول الله جل وعز وأنه تعالى جد ربنا عن أنس بن مالك غنى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جد ربنا ولو قرأ قارئ جد ربنا على معنى جد ربنا لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط وهذا الشعر ينشد بالكسر

أجدك لم تغتمض ليلة * فترقدها مع رقادها

ومثله (قول الاعشى)

أجدك لم تسمع وصاة محمد * رسول الاله حين أوصى وأشهدا

لان معناه أجدّا اسنك على التوقيف وتقديره فى النصب أتجدّ جدّا ويقال امرأة جدّاء اذا
كانت لاثدى لها فكأنه قُطِع منها لان أصل الجدّ القطع ويقال بلدة جدّاء اذا لم تكن بها مياه
قال الشاعر

[illegible]

ومن [illegible] كُتّب وكلاب وكعب وكعاب وقوله
[illegible] ذلك حدّ طرفه وقوله أرداه
طول [illegible] والرجل يمدح بالطول فلذلك يذكر طول
حمائله [illegible] ابن أبى حفصة يمدح [illegible]

قصرت حمائله عليه فقلّصت * ولقد تأنّق قينها فأطالها

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمدا الامين

سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

وقال جرير للفرزدق

[illegible] فى الحكم مقنع * الى الغر من أهل البطاح الاكارم

[illegible] عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

[illegible]

لما التقى الصفان واختلف القنا * نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لى أن القماءة ذلة * وأن أشداء الرجال طوالها

[illegible] هو الابيض وكذلك قال زيد [illegible] لما أطل [illegible]

[illegible] عليهم حمدوا الخميس أى الجيش وكان [illegible]

وأى خميس لا أفأنا نهابه * وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

[illegible] الا زعوا زرهم الاحمر قال الشاعر

[illegible] أرجوان

[illegible] فى القرآن [illegible] عليه [illegible] فى

[illegible] الذى [illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن [illegible] أبى نواس الحسن بن هانئ

فكأنى بما أزين منها * قعدى يزين التحكيما

وكان [illegible] هذا الشعر ان الخليفة تشدد عليه فى شرب [illegible]

طول الاقتتال

أيها الرائحان باللوم لوما ❋ لا أذوق المدام الا شميما
نالني بالملام فيها امام ❋ لا أرى لي خلافه مستقيما
فاصرفاها الى سواي فاني ❋ لست الا على الحديث نديما
كبر حظي منها اذا هي دارت ❋ أن أراها وأن أشم النسيما
فكأني بما أزين منها ❋ قعدي يزين التحكيما
لم يطق حمله السلاح الى الحر ❋ ب فأوصى المطيق الا يقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد قال وحدثت ان العماني الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس

كأن أذنيه اذا تشوفا ❋ قادمة أو قلما محرفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لاصلاح البيت الا الرشيد فانه قال له قل ❋ تخال أذنيه اذا تشوفا ❋ والراجز وان كان لحن فقد أحسن التشبيه وروى أن جريرا دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المسامح الوليد سماحة ❋ وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية ❋ تزجي أغن كأن ابرة روقه ❋ قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال ❋ قلم أصاب من الدواة مدادها ❋ قال فما قدرت حسداله أن أقيم حتى انصرفت

ومن تشبيهه الحسن الذي نستطرفه قوله

تعاطيكها كف كأن بنانها ❋ اذا اعترضتها العين صف مداري

ومن التشبيه المليح قوله

وكأن سعدى اذ تودعنا ❋ وقد اشرأب الدمع أن يكفا
رشأ تواصين القيان به ❋ حتى عقدن بأذنه شنفا

(يقال اشرأبّ لان يكلمني اذا انتهيأ للكلام واشرأبّ الدمع اذا انتهيأ للوكف) وفي هذا الشعر من التشبيه

خَبِّرْ فؤادَكَ أو سَخِّرْهُ * قسماً لتنتهينّ أو حلفا

الحبُّ ظهرٌ أنت راكبُهُ * فاذا صرفتَ عنانَهُ انصرفا

ومن التشبيه الجيد قوله

اليكَ رمتْ بالقوم خوصٌ كأنما * جماجمها فوق الحجاجِ قبور

وله أيضا

سأرحلُ من قودِ المهاري شِملّةً * مسفّرةً ما تُسْتحثُّ بحادي

مع الريح ما راحتْ فان هي أعصفتْ * تَهُوز برأس كالعلاةِ وهادي

العلاة السندان قال جرير

أيفخر بالمحمّم قين ليلى * وبالكير المرقّع والعلاةِ

وقال الحسن بن هانئ في صفة السفينة

بُنيتْ على قدرٍ ولاءَمَ بينها * طبقانِ من قيرٍ ومن ألواحِ

فكأنها والماءُ ينطحُ صدرَها * والخيزرانةُ في يد الملاحِ

جونٌ من العقبان يبتدرُ الدجى * يهوي بصوتٍ واصطفاقِ جناحِ

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقّتها وضياءها واشراقها

اذا عبّ فيها شاربُ القومِ خلتَه * يقبّل في داجٍ من الليل كوكبا

فأما قوله

بنينا على كسرى سماءَ مدامةٍ * جوانبُها محفوفةٌ بنجوم

فلو ردَّ في كسرى بن ساسان روحَه * اذًا لاصطفاني دون كلّ نديم

فانما كانت صورة كسرى فى الاناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد ماتطوق به من الزبد وقد قال فى أخرى (أول الشعر من غير الأم

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويابس

حبست بها صحبى فأللفت شملهم * وانى على أمثال تلك لحابس)

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس

فللخمر مازرت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب وقال المثقب العبدى

قالت ألا لا تشترى ذاكم * الا بما شئنا ولم يوجد

الا بمذرى ذهب خالص * كل صباح آخر المسند

من مال من يجبى ويجبى له * سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تدريها أى تختلها يقال دريت الصيد اذا ختلته قال الاخطل

وان كنت قد أقصدتنى اذ رميتنى * بسهميك فالرامى يصيد وما يدرى

وقال الحسن بن هانئ

ما حطك الواشون من رتبة * عندى ولا ضرك مااغتابوا

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندى بالذى عابوا

وهذا المعنى ماخوذ من قول النعمان بن المنذر لمحلم بن نضلة وقد ذكر معاوية بن شكل فقال أبيت اللعن انه لقعو الاليتين مقبل النعلين خج الفخذين مشاء بأقراء تباع اماء قال

ظباء فقال النعمان أردت أن تذيمه فدهته قوله مقبل النعلين يقول لنعله قبال ينسبه الى الترفه وتباع اماء وقال ظباء من ذلك والقعو ما تدور فيه البكرة اذا كان من خشب وقوله تذيمه معناه تذمه يقال ذمه يذمه ذما وذامه يذيمه ذيما وذأمه يذأمه ذأما والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى اخرج منها مذؤما مدحورا وقال الحرث بن خالد المخزومى لعبد الملك

صحبتك اذ عينى عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها

وقوله فدهته يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم كذلك تقول ونحوه ومن قاربها قال رؤبة

لله در الغانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهى

يريد المدح وفى هذه الأرجوزة * براق أصلاد الجبين الأجله * يريد الاجلح والعرب تقول جلح الرجل يجلح جلحا وجله يجله جلها وجلى يجلى جلى والمعنى واحد قال العجاج

* مع الجلا ولائح القتير * ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب

كأن محرشا فى بيت سعدى * يعل بعيبها عندى شفيع

وفى قصيدة الحسن هذه

ان جئت لم تأت وان لم أجئ * جئت فهذا منك لى دأب

كأنما أنت وان كنت لا * تكذب فى الميعاد كذاب

وهذا كلام طريف ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار

وكأن تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع ونظيره فى جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لك من قول مسلم بن الوليد

* كأنه فى سرجه بدر وضرغاما * ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس

ابن الاحنف

أُحرمُ منكم بما أقولُ وقد * نال به العاشقون من عشقوا
صِرتُ كأني ذُبالةٌ نُصبت * تضيءُ للناس وهي تحترقُ

فهذا حسن في هذا جداً ومن حسن ما قالوا في التشبيه قول اسمعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد

أمين الله أمنكَ خيرُ أمنٍ * عليك من التُقى فيه لباسُ
تُساسُ من السماء بكلّ فضلٍ * وأنت به تَسوسُ كما تُساسُ
كأنّ الخلقَ رُكّبَ فيه روحٌ * له جسدٌ وأنتَ عليه راسُ

وقد أخذ هذا المعنى علي بن جبلة فقال في مدحه حميد بن عبد الحميد وزاد في الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق أعداؤه * وليس يأسو فتقه آسي
فالناس جسمٌ وامامُ الهدى * رأسٌ وأنتَ العينُ في الراس

والعرب تختصر في التشبيه وربما أومأت به ايماءً قال أحد الرُّجاز

بتنا بحسّان ومعزاه تئط * مازلتُ أسعى بينهم وألتبط
حتى اذا كان الظلام يختلط * جاؤا بمذقٍ هل رأيتَ الذئبَ قط

يقول في لون الذئب واللبنُ اذا جهد وخلطَ بالماء ضربَ الى الغبرة وأنشد الاصمعي

وتشربه محضاً وتسقي عيالها * سجاجاً كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقُربان الجنبان والواحد قُربٌ من ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور في رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يا رسول الله أرى أن تُوجع قُرَيبَه فقال القوم يا رسول الله

انك لن تشتد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له قل يا محمد القول قول عمر شد الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل والاورق لون بين الخضرة والسواد يقال جمل أورق بين الورقة وهو ألأم ألوان الابل عند العرب وأطيبها لحما ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذل فى صفة العقرب

تبرز كالقرنين حين تطلعه * ترحله مرا ومرا ترجعه

فى مثل صدر السبت خلق تقطعه * أعصل خطار تلوح شنعه

أسود كالسبجة فيه مبضعه * لا تصنع الرقشاء ما لا يصنعه

وفى هذه الارجوزة أيضا

بات بها حين حبيش يتبعه * وبات جذلان وثيرا مضجعه

داسنه آمن ما يروعه * حتى دنت منه لحتف ترمعه

فاطت تجم سمها وتجمعه * يا بؤس للمودعه ما يودعه

فشرعت أم الحمام اصبعه * أنحت عليه كالشهاب تلذعه

عطت سربال حرير تخلعه * فكل خل ظاهر تقجعه

يزداد من بغت الحمام جزعه * واليأس من تيسيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة (أو العرجى قال أبو الحسن شك أبو العباس فى أنه لاحدهما أعنى هذا البيت)

ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة * وأفظع شئ حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه ومليحه قول رجل يهجو رجلا رثاثة الحال

يا تيسا فى جبة مخرقة * أطول أعمار مثلها يوم

وطيلسان كالآل بلبسه * على قبص كأنه غيم

والتشبيه كثير وهو باب كانه لا آخر له وانما ذكرنا منه شيئا لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء

من المعاني ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ في غير

هذا الباب ان شاء الله قال طُفَيل

تقريبه المَرَطى والجَوزُ معتدلٌ * كأنه سُبَدٌ بالماء مغسولُ

السُبَدُ طائر بعينه وقد قالوا الخصفةُ التي توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وانما أراد العَرَق

في هذا الوقت وخيرُ الخيل ما لم يُسرع عرقُه ولم يُبطئ فاذا جاء في وقته شَمِلَهُ قال الراجز

كأنه والطرْفُ منه سام * مشتملٌ جاء من الحمّام

وقال الأعشى

يُعادي الخموصَ ومِسْحَلَها * وعفوَهما قبل أن يَسْتَحِمْ

الخموص جماعها خُمُصٌ وهي التي لم تحمل في عامها والمسحل العير والعفو الولد وجمعه عفاء فأعلم

وهو أسمن له اذا لم يكن لعامه ويستحم يعرق وفي حديث أم زرع مَضْجَعُهُ كمَسَلِّ الشطبة

وتكفيه ذراعُ الجَفْرة ومعناه أنه خميص البطن وهذا تَمَدَّحُ به العربُ وتستحسنه فأما قول

مُتَمِّم بن نُوَيْرة * فتى غير مبطان العشيات أروعا * فانما أراد انه لا يستعجل بالعشاء

لانتظاره الضيف كما قال

وضيف اذا أرغى طروقا بعيره * وعان ثناه الوفد حتى تكنّعا

وقالوا في قول الخنساء

يُذَكّرني طلوعُ الشمس صخرا * وأذكُرُهُ لكل غروب شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقت الغارة وبغروب الشمس وقت الاضياف وقال رجل لابن له

والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال رجل من بني أسد

لرجل من قيس والله ما قُبِضَتْ فتى السادة ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفرسان فهذه كلها نعوت قد

عرفت لقوم حتى كأنها سمات لهم ينبغى للفارس أن يكون مهفهف الخصرين متوقد العينين خش الذراعين وأنشد الاصمعى * كأنما ساعداه ساعدا ذيب * قالوا ومن نعت السيد ان يكون ضخما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا نؤمل ملأ العين لان حقه أن يكون فى صدر مجلس او ذروة منبر أو منفردا فى موكب وكانوا يقولون فى نعت السيد ملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو على دعبل فى رجل نسبه الى السودد يقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميرى وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا جالسته صدرته * وتنحيت له فى الحاشيه

واذا سايرته قدمته * وتأخرت مع المستأنيه

واذا ياسرته صادفته * سلس الخلق سليم الناحيه

واذا عاسرته صادفته * شرس الرأى أبيا داهيه

فاحمد الله على صحبته * واسأل الرحمن منه العافيه

وهذا المعنى قد أجله جرير فى قوله

بشر أبو مروان ان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

٤٨- باب

تجمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الامثال ومأثور الاخبار ان شاء الله * كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه ولزياد يقول ابن قيس الرقيات فى معاتبته المهلب بن أبى صفرة

أبلغا جاري المهلب عني * كل جار مفارق لا محاله

أو جارات اللواتي بنكر بشت لتنبيذ رحلهن مقاله

لو تعلقن من زياد بن عمرو * بحبال لما ذممن حباله

غلبت أمه أباه عليه * فهو كالكابي أشبه خاله

ولقد غالني يزيد وكانت * في يزيد خيانة ومغاله

عتكي كأنه ضوء بدر * يحمد الناس قوله وفعاله

وقال أسماء بن خارجة الفزاري لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فإنما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشتري عرضي منه وقال سهل بن هرون يجب على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكان يقول عند التعزية التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وأراد رجل أن [illegible] أبا [illegible] بن الحجاج يودعه فقال له شعبة أما إنك إن لم تر الحلم فلا تراه [illegible] أنفا [illegible] وقال أبو [illegible] إن الله لم تترك عند مسلم درهما وقال دعبل بن علي الخزاعي يذم رجلا

رأيت أبا عمران يبذل عرضه * وخبز أبي عمران في أحرز الخير

يحن إلى جاراته بعد شبعه * وجاراته غرثى تحن إلى الكبد

وقال آخر

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار

لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار

(أظن تمامه

حتى إذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولي على النار

قامت بأحرها تسدي مشافره * كأنه زنة في كف جزار)

وقال رجل من طيء وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بني أسد يقال له زيد ثم أقيد به بعد

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم * بأبيض مصقول العرار يمان

فان تقتلوا زيدا بزيد فانما * أقادكم السلطان بعد زمان

(قال أبو الحسن وأنشدنا غيره

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بأبيض من ماء الحديد يمان)

قال ثمامة شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز فخدش وهشم فقال شمعل

أمن [illegible] رجلي مني تباشرت * عداني فلا عيب علي ولا سخر

فان أمير المؤمنين وسيفه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

و[illegible] الحجاج [illegible] من البرص على الجسد وقال زياد كني بالبخيل عارا ان اسمه [illegible] في حمد قط و[illegible] ان [illegible] لم يقع في ذم قط وقال آخر

ألا [illegible] قطعتني عدلا * ما دام من [illegible] في البخل [illegible] البشود

لا [illegible] المال [illegible] أهله * ان [illegible] الا واما حسن مردود

الآيكن ورق يوما أراح به * للخابطين فاني لين العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس مانع ذي قربى ولا رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفي يده عصا فقال الضيف يا راعي الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجراء من سلم فقال الرجل اني ضيف فقال الحطيئة للضيفان

أعدد تها وقال دعبل

وابن عمران يبتغي عربيا * ليس يرضى البنات للاكفاء
ان بدت حاجة له ذكر الضيف ويساه عند وقت الغداء

وقال أيضا

أضياف سالم في خفض وفي دعة * وفي شراب ولحم غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال دعبل

ما يرحل الضيف عني بعد تكرمة * الا برفد وتشييع ومعذرة

وقال أيضا

لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا * وصبرنا على رحى الاسنان
صوت مضغ الضيوف أحسن عندي * من غناء القيان بالعيدان

وقال القرشي من بني أمية

اذا ما وترنا لم ننم عن تراتنا * ولم نك أوغالا نقيم البواكيا
ولكننا نغضي الجياد شوازبا * فنرمي بها نحو التراب المراميا

وقال جرير

ان الذي حرم الخلافة تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كابينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الي قطينا
ان الفرزدق اذ تحنف كارها * أضحى لتغلب والصليب خدينا
ولقد جزعت الى النصارى بعدما * لقي الصليب من العذاب مهينا

هَلْ تَشْهَدُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ مَشْعَرًا * أَوْ تَسْمَعُونَ مِنَ الْأَذَانِ أَذِينَا

قال أبو العباس حدثني عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لما بلغ الوليد قوله

هذا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةٌ * لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إِلَيَّ قَطِينَا

قال الوليد أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذلك به ولكنه قال لو شئتُ فجعلني شُرْطِيًّا له

وروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحية يتمثل قول الأخطل على غير معرفة

وَابْنُ الْمَرَاغَةِ حَابِسٌ أَعْيَارَهُ * مَرْمَى الْقَصِيَّةِ مَا يَذُقْنَ بِلَالَا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أعد إنشادك فغمزه بعض الجلساء فقال الرجل انى والله ما أدرى مَنْ قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أجل هو أيسر من ذلك هَلُمَّا فَاخْتَجَّا

وقال جرير

مَرَرْتُ عَلَى الدِّيَارِ فَمَا أَبِنَّا * كَدَارٍ بَيْنَ تَلْعَةَ وَالنَّظِيمِ

عَرَفْتُ الْمُنْتَأَى وَعَرَفْتُ مِنْهَا * مَطَايَا الْقِدْرِ كَالْحِدَإِ الْجُثُومِ

وقال آخر

لَقَدْ تَبِلَتْ فُؤَادَكَ إِذْ تَوَلَّتْ * وَلَمْ تَخْشَ الْعُقُوبَةَ فِي التَّوَلِّي

عَرَفْتُ الدَّارَ يَوْمَ وَقَفْتُ فِيهَا * بِرِيحِ الْمِسْكِ تَنْفَحُ فِي الْمَحَلِّ

٤٩ ﴿باب من أخبار الخوارج﴾

قال أبو العباس ذكر أهل العلم من الصُّفْرِيَّة أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وَهْب الراسبي من الأزد تَكَرَّهَ ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استَبِيتُوا الرأى أى دعوه يَغِبّ وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدَّبَرِيّ قوله استبيتوا الرأى

يقول دعوا رأيكم تأت عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيّت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفي القرآن اذ يبيتون ما لا يرضى من القول أي اداروا ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

أتوني فلم أرض ما بيتوا * وكانوا أتوني بأمر نكر

لأنكح أيمهم منذرا * وهل ينكح العبد حر لحر

والرأي الدبري الذي يعرض من بعد وقوع الشيء كما قال جرير

ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر الا تدبرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة وانما لجؤا اليه وخلعوا معدان الايادي لقول معدان

سلام على من بايع الله شاريا * وليس على الحزب المقيم سلام

وكانت منهم الصفرية وقالوا خالفت لانك برئت من القعد قال أبو العباس والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة وحدثت ان واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة فأحسوا الخوارج فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني واياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن وذكر أهل العلم من غير وجه ان عليا رضي الله تعالى عنه لما وجه اليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم قال لهم ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم في دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره

بالكفر تعدله فقال ابن عباس لا ينبغى لمؤمن لم يشب ايمانه شكٌّ ان يقر على نفسه بالكفر قالوا
انه قد حَكَّمَ قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل
منكم فكيف فى امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حُكِمَ عليه فلم يرض فقال ان
الحكومة كالامامة ومتى فَسَقَ الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نُبِذَتْ
أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين
قال الله عز وجل فيهم بل هم قوم خصمون وقال عز وجل وتُنْذِرَ به قوما لُدًّا والشئ يذكر بالشئ
وجاء فى الحديث ان رجلا اعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انى أصبت ظبيا
وأنا مُحْرِمٌ فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يُهْدِى شاة فقال
عمر أهْدِ شاة فقال الاعرابى والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره فخفقه عمر
رضوان الله عليه بالدرة وقال أتقتل فى الحرم وتَغْمِصُ الفُتْيا يقول الله عز وجل يحكم به
ذوا عدل منكم فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف وفى هذا الحديث ضروب من
الفقه منها انه ذكر ان عبد الرحمن بن عوف قد حكم معه وترك ما فى الظبى من الفداء لانه
رأى ان الشاة مثل الظبية فقال الله عز وجل فجزاء مثل ما قتل من النعم ومنها انه اسقط عنه الصوم
قتله ثم عمدا او جعل الامرين واحدا ومنها انه لم يسأله أقتلت صيدا قبله وانت محرم لان قوما
يقولون اذا أصاب ثانية لم يُحْكَمْ عليه ولكنا نقول اذهب فينتقم الله منك لقول الله تبارك وتعالى
ومن عاد فينتقم الله منه قال أبو العباس ومن طريف أخبار الشراة قول قطرى بن الفجاءة
المازنى لابى خالد القنانى وكان من قعد الخوارج

أبا خالد يا انفر فلست بخالد * وما جعل الرحمن عذرًا لقاعد

أتزعم ان الخارجى على الهدى * وأنت مقيم بين لص وجاحد

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدى * وأن يشربن رنقا بعد صاف
وان يعرين ان كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهرى * وفى الرحمن للضعفاء كاف
(أبانا من لنا ان غبت عنا * وصار الحى بعدك فى اختلاف)

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم قال لما قتل أبو بلال وهو مرداس ابن أدية وهى جدته وأبوه حدير وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان

لقد زاد الحياة الى بغضا * وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشى * وأرجو الموت تحت ذرا العوالى
ولو أنى علمت بأن حتفى * كحتف أبى بلال لم أبال
فمن يك همه الدنيا فانى * لها والله رب البيت قال

وفيه يقول أيضا

ياعين بكى لمرداس ومصرعه * يارب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما أبكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك ماقد كنت أعرفه * ماالناس بعدك يامرداس بالناس
اماشربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بانفاس ورد بعد انفاس

قال أبو العباس وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى

عن محمد بن سلام انه لما أطرده الحجاج كان ينتقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه فى ذلك يقول

نزلنا فى بنى سعد بن زيد * وفى عك وعامر عوبثان
وفى لخم وفى أدد بن عمرو * وفى بكر وحى بنى العدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الاضياف وكان مسامر العبد الملك بن مروان أسيرا عنده فانتمى له من الازد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكر روحا فقال من أعطى مثل ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام رجع الحديث وكان روح بن زنباع لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الازد ما اسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال خبرنى ببعض أخباره فخبره وأنشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لاحسبه عمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

ياضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره حينا فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

(قلبه الفقيه الطبرى فقال

ياضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم من ذى العرش بنيانا
انى لاذكره يوما فألعنه * ايها وألعن عمران بن حطانا

قال محمد بن أحمد الطبيب يرد على عمران بن حطان

ياضربة من غدور صار ضاربها * أشقى البرية عند الله انسانا
اذا تفكرت فيه ظلت ألعنه * وألعن الكلب عمران بن حطانا

فلم يدر عبد الملك لمن هو فرجع روح الى عمران بن حطان فسأله عنه فقال عمران هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال له عبد الملك ضيفك عمران بن حطان اذهب فجئنى به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردت أن أسألك ذلك فاستحييت منك فامض فانى بالاثر فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال عبد الملك أما انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلف رقعة فيها

يا روح كم من أخى مثوى نزلت به * قد ظن ظنك من لخم وغسان

حتى اذا خفته فارقت منزله * من بعد ما قيل عمران بن حطان

قد كنت جارك حولا ما تروعنى * فيه روائع من انس ومن جان

حتى أردت بى العظمى فأدركنى * ما أدرك الناس من خوف ابن مروان

فاعذر أخاك ابن زنباع فان له * فى النائبات خطوبا ذات ألوان

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * كنت المقدم فى سرى واعلانى

لكن أبت لى آيات مطهرة * عند الولاية فى طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحرث الكلابى أحد بنى عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا وكان عمران يطيل الصلاة وكان غلمان من بنى عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زفر فقال من هذا فقال رجل من الازد رأيته ضيفا لروح بن زنباع فقال له زفر يا هذا أزديا مرة وأوزاعيا مرة ان كنت خائفا آمناك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلف فى منزله رقعة فيها

ان التى أصبحت يعيى بها زفر * أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشي * أعيا عياها على روح بن زنباع * وأنكره كما أنكرناه لأنه قصر الممدود وذلك في الشعر جائز ولا يجوز مد المقصور

مازال يسألني حولا لأخبره * والناس من بين مخدوع وخداع

حتى إذا انقطعت عني وسائله * كف السؤال ولم يولع بإهلاع

فاكفف كما كف عني إنني رجل * إما صميم وإما فقعة القاع

واكفف لسانك عن لومي ومسئلتي * ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع

أما الصلاة فإني غير تاركها * كل امرئ للذي يعنى به ساع

أكرم بروح بن زنباع وأسرته * قوم دعا أوليهم للعلى داع

جاورتهم سنة فيما أسر به * عرضي صحيح ونومي غير تهجاع

فاعمل فإنك منعي بواحدة * حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال ويظهرونه فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات وفي نزوله بهم يقول

نزلنا بحمد الله في خير منزل * نسر بما فيه من الأنس والخفر

نزلنا بقوم يجمع الله شملهم * وليس لهم عود سوى المجد يعتصر

من الأزد إن الأزد أكرم معشر * يمانية طابوا إذا نسب البشر

فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر * أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر

أم الحي قحطان فتلكم سفاهة * كما قال لي روح وصاحبه زفر

وما منهما إلا يسر بنسبة * تقربني منه وإن كان ذا نفر

فنحن بنو الإسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

قوله يا روح كم من أخي مثوى نزلت به قدم تفسيره يقال هذا أبو مثواي وللانثى هذه أم مثواي ومنزل الضيافة وما أشبهها المثوى وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل أكرمي مثواه أي اضافته و يقال من هذا ثوى يثوي ثويا كقولك مضى يمضي مضيا و يقال ثواء ومضاء كما قال

طال الثواء على رسم بيمؤود * أودى وكل جديد مرة مودي

وقوله فيه روائع من انس ومن جان الواحدة رائعة يقال راعني يروعني روعا أي أفزعني قال الله تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الاصل فيهما واحدا أنه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنى برقه يذهب بالابصار للافراط في ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة ساكنة تقول قال يقول و باع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين في الفعل صحت في اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيد داء يأخذ في الرأس والعينين والشؤن وانما صحت في عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب المقتضب وقوله

يوما عان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني

يريد أنا يوما عان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى أنتقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفي الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله

أفي الولائم أولادا لواحدة * وفي المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثاني أي يختلفون و يتحولون في هذه الحالات ومن كلام العرب أتميما مرة وقيسيا أخرى وكذلك ان لم نستفهم وأخبرت قلت تميما مرة علم الله وقيسيا أخرى أي تنتقل ومن ثم قال له زفر بن الحرث أزديا مرة وأوزاعيا أخرى والرفع على أنت جيد بالغ وقوله

* لوكنت مستغفرا يوما لطاغية * يكون على وجهين لنفس طاغية والآخر للمذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية وعلامة ونسابة وكلا هما وجه و يقال جاءت طاغية الروم أراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولي وفي القرآن العظيم مالكم من ولايتهم من شيء والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهي الولاية واصله من الاصلاح يقال آله يؤوله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد ألنا وايل علينا أو بل ذلك قد ولينا وولي علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد ولينا فعلمنا ما يصلح الوالي وولي علينا فعلمنا ما يصلح الرعية وقوله * حتى اذا ما انقضت مني وسائله * الوسائل واحدها وسيلة وهي الذريعة والسبب يقال قد توسلت الى فلان قال رؤبة بن العجاج

والناس ان فصلتهم فصائلا * كل الينا يبتغي الوسائلا

وقوله ولم يولع باهلاعي أي بافزاعي وترويعي والهلع من أجبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهلع و يقال رجل هلوع اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولي قلب سقيم ليس يصحو * ونفس ما تفيق من الهلاع

وقوله * اما صميم واما فقعة القاع * الصميم الخالص من كل شيء يقال فلان من صميم

قومه أى من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك

وَتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيث تَلْقَى * شُؤُونَ الرأس مُجْتَمَعَ الصميم

وقوله واما فقعة القاع يقال لمن لا أصل له هو فَقْعَةٌ بقاع وذلك لان الفقعة لا عروق لها ولا أغصان والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمام فقيع لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قومٌ اذا نُسِبوا يكون أبوهُمُ * عند المَناسب فَقْعَةً فى قرقر

وقال بعض القرشيين

اذا ما كنتَ متخذاً خليلا * فلا تجعل خليلَك من تميم

بَلَوْتُ صميمَهُمْ والعبدَ منهم * فما أَدْنَى العبيدَ من الصَميم

وقوله نُسَّرٌ عبافيه من الأُنْسِ والخَفَرِ فاصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خَفِرةٌ اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن نُمَيْرٍ الثقفى

تَضَوَّعَ مِسكاً بطنُ نَعمانَ أن مَشَتْ * به زينبُ فى نسوة خَفِرات

وقوله ان الازد أكرم أسرة يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أى أُسْرةٍ أنت وأصل هذا من الاجتماع يقال للقَتَب مأسورٌ وقد مضى تفسيره وينشد *عمانية قَرْبُوا اذا نُسِبَ البَشَر* يريد قَرُبوا وهذا جائز فى كل شئ مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول فى الاسماء فى فَخِذ فَخْذ وفى عَضُد عَضْدٌ وتقول فى الافعال كَرْمَ عبدُ الله أى كَرُم وقد عَلْمَ الله أى عَلِم الله وقال الاخطل

وان أَهْجُه يضجر كما ضجر بازلٌ * من الابل دبرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر

عَجِبْتُ لمولود وليس له أبٌ * وذى وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أبوان

ولا يجوز فى ضَرَبَ ولا فى جَمَل ان يسكن لخفة الفتحة وقوله أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر

يقول أمن ربيعة أم من مُضَر ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام لان أم التي جاءت بعدها تدل عليها قال ابن أبي ربيعة

لعَمرُكَ ما أدري وان كنتُ داريا * بسبعٍ رَمَينَ الجمرَ أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمي

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * شُعَيثُ بن سَهمٍ أم شُعَيثُ بن مِنقَر

الرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحيّ قحطانَ يريد أذا أم ذا والاصلح في الرواية من ربيعة أو مضر أم الحيّ قحطان لان ربيعة أخو مضر فاراد من أحد هذين أم الحيّ قحطانَ لانه اذا قال أزيدٌ عندك أم عمرو فالجواب نَعَم أو لا لان أحد هذين عندك ومعنى الاول أيُّهما عندك ويروى وحدثنيه المازنيّ أن صَفيّةَ بنت عبد المطّلب أتاها رجل فقال لها أين الزُّبيرُ قالت وما تريد اليه قال أريد أن أُباطِشَه فقالت هاهو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فقربها مَغلولاً فقالت صفية

كيف رأيتَ زَبرا * أأقِطاً أو تَمرا * أم قُرَشيّاً صقرا

لم تشكّكْ بين الاقط والتمر فتقول أيُّهما هو ولكنها أرادت أرأيتَهُ طعاماً أم قرشياً صقرا أي أأحَدَ هذين رأيتَهُ أم صَقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه وقوله وما منهما الأيُسرُّ بِنُسبة معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جلّ اسمه وان من أهل الكتاب الا ليُؤمِنَنَّ به قبل موته أي وان أحد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهرُ الا تارتان فمنهما * أموتُ وأخرى أبتغي العيشَ أكدَحُ

يريد فمنهما تارة وقوله

فنحن بنو الاسلام والله واحدٌ * وأولى عباد الله بالله مَن شَكَر

يقول انقطعت الوَلايةَ الا وَلايةَ الاسلام لان وَلايةَ الاسلام قد قاربتْ بين الغُرَباء وقال الله

عز وجل انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل فيما عقد به بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة اليشكري

دعي القوم ينصر مدعيه * ليلحقه بذي الحسب الصميم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

و يقال فيما يروى من الاخبار أن أول من حكم عروة ابن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة ابن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة وقال قوم بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولم يختلفوا في اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وأنه امتنع عليهم وأومأ الى غيره فلم يقنعوا الا به فكان امام القوم وكان يوصف بالرأي فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة ابن أدية وذلك انه أقبل على الاشعث فقال ماهذه الدنية يا أشعث وماهذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والاشعث مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جل أصحاب علي صلوات الله عليه فلما رأى ذلك الاحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكي بن أعبد وشبث بن ربعي الرياحي الى الاشعث فسألوه الصفح ففعل وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النهروان فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية ثم أتي به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله فقال ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي تراب علي بن أبي طالب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل في أمر علي مثل ذلك الى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك ثم أمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لي أموره فقال أأطنب أم أختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط وكان سبب تسميتهم الحرورية أن

عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وانهم لو قصدوا الى حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد أكره لذلك مني قالوا اللهم نعم قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل فان خالفاه فانا وأنتم من ذلك براء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني قالوا اللهم نعم وفيهم في ذلك الوقت ابن الكواء وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب وانما ذبحوه في الفرقة الثالثة فقالوا حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بانا قد كنا كفرنا ولكنا الآن تائبون فأقر بمثل ما أقررنا به وتب ننهض معك الى الشام فقال أما تعلمون أن الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأته فقال فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وفي صيد أصيب في الحرم كأرنب يساوي ربع درهم فقال يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا له فان عمرا لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله علي أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت علي بن أبي طالب فقد خلعت نفسك فقال لي برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا ما كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك ولكني أقدمك لفضلك فاكتب محمد بن عبد الله فقال لي يا علي امح رسول الله فقلت يا رسول الله لا تسخو نفسي بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام فقفني عليه فمحاه بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الي فقال يا علي أما انك ستسام مثلها فتعطي فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم علي صلوات الله عليه ما نسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء والنسب الى مثل حروراء حروراوي فاعلم وكذلك كل ما كان في آخره ألف التأنيث الممدودة ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحروري

وقال الصلتان العبدي في كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها * وقد زيد في سوطها الاصبحي

بنجدية وحرورية * وأزرق يدعو الى أزرقي

فملتنا أننا المسلمون * على دين صديقنا والنبي

وفي هذا الشعر مما يستحسن قوله

أشاب الصغير وأفنى الكبير * مرور الليالي وكر العشي

اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتي

نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقي

قوله وقد زيد في سوطها الاصبحي فانه تسمى هذه السياط التي يعاقب بها السلطان الاصبحية وتنسب الى ذي أصبح الحميري وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك ابن أنس الفقيه رضي الله عنه والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفي وكان رأسا ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج وقد بقي من أهلها قوم كثير وكان نجدة يصلي بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير في جمعه في كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم وقال الراعي يخاطب عبد الملك

اني حلفت على يمين برة * لا أكذب اليوم الخليفة قيلا

ما ان أتيت أبا خبيب وافدا * يوما أريد لبيعتي تبديلا

ولا أتيت نجيدة بن عويمر * أبغي الهدى فيزيدني تضليلا

من نعمة الرحمن لا من حيلتي * أني أعد له علي فضولا

وفي هذه القصيدة

أخذوا العريف فقطّعوا حيزومه * بالأصبحية قائماً مغلولا

قوله وأزرق يدعو الى أزرقي يريد من كان من أصحاب نافع بن الازرق الحنفي وكان نافع شجاعا مقدّما في فقه الخوارج وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب ان شاء الله وقوله على دين صديقنا والنبي فالعرب تفعل هذا وهو في الواو جائز أن تبدأ بالشيء وغيره المقدّم قال الله عزّ اسمه هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال واسجدي واركعي مع الراكعين وقال حسّان بن ثابت

بهاليل منهم جعفر وابن أمّه * عليّ ومنهم أحمد المتخيّر

يعني بني هاشم ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع ابن الازرق هم ذووا الحدّ والجدّ وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحّل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلّد المهلّب حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم أخرجهم الى كرمان وفي ذلك يقول شاعر منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثي البلد ويذكر المنقبة التي كانت لهم (قال الاخفش أنشدنيه يزيد المهلّبي لنفسه)

سقى الله مصراً خفّ أهلوه من مصر * وماذا الذي يبقى على عقب الدهر

ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه * لمتّ كريماً أو صدرت على عذر

أبيح فلم أملك له غير عبرة * تهيب بها أن حاردت لوعة الصدر

ونحن رددنا أهلها اذ ترحّلوا * وقد نظمت خيل الأزارق بالجسر

ومن يخش أطراف المنايا فاننا * لبسنا لهنّ السابغات من الصبر

فان كريه الموت عذب مذاقه * اذا ما مزجناه بطيب من الذكر

وما رزق الانسان مثل منيّة * أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

وفي هذا الشعر

ليشكر بنو العباس نعمى تجددت * فقد وعد الله المزيد على الشكر

لقد جنبتكم أمرة حسد نكم * فسلت على الاسلام سيفا من الكفر

وقد نغصتهم جولة بعد جولة * يبيتون فيها المسلمين على ذعر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

ألا طرقت من أهل بيبة طارقة * على أنها معشوقة الدل عاشقة

تبيت وأرض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الأزارقة

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية أضحت من الدين مارقة

وكان مقدار من أصاب علي صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثماني مائة في أصح الأقاويل وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره ولم يشهد الحرب فخرج منهم رجل بعد ما قال علي رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشرك في دمه ثم حمل منهم رجل على صف علي وقد قال علي لا تبدؤهم فقال فقتل من أصحاب علي ثلاثة وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا * ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج اليه علي صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة فقال عبد الله بن وهب ما أدري أالى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شك فانخزل بجماعة من أصحابه ومال ألف الى ناحية أبي أيوب الانصاري وكان رحمه الله على ميمنة علي وجعل الناس يتسللون وقد قال علي وقيل له انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم خرج اليهم في أصحابه وقد قال

لهم انه والله ما يُقتَل منكم عشرة ولا يفلتُ منهم عشرةٌ فقُتل من أصحابه تسعةٌ وأفلتَ منهم ثمانيةٌ ۞ قال أبو العباس وقيل أولُ من حَكَّمَ ولفظ بالحكومة ولم يشدّ بها رجلٌ من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مُرّ من بني صَريم يقال له الحجّاج بن عبد الله ويُعرَف بالبُرَكْ وهو الذي ضرب معاوية على أليته فانه لما سمع بذكر الحكمين قال أيُحكَّم في دين الله لا حُكْمَ الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ وأولُ من حَكَّمَ بين الصفين رجلٌ من بني يشكُر بن بكر بن وائل فانه كان في أصحاب عليّ فحمل على رجل منهم فقتله غيلةً ثم مرق بين الصفين فحكَّم وحمل على أصحاب معاوية فكثروه فرجع الى ناحية عليّ صلوات الله عليه فحمل على رجل [illegible] فخرج اليه رجل من همْدانَ فقتله فقال شاعر همْدانَ

ما كان أغنى اليشكُريَّ عن التي ۞ تَصَلّى بها [illegible]

غَداةَ يُنادي والرماحُ تَنوشُهُ ۞ خَلَعْتُ عَليّاً [illegible]

وجاء في الحديث أن [illegible] رضي الله عنه تلي بحضرته قل هل ننبئكم بالأخسرين [illegible] الذين ضَلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسَبون أنهم يُحسِنون صُنعا فقال [illegible]
وروى عن عليّ صلوات الله عليه أنه خرج في غداة [illegible] في المسجد [illegible] تحدث فسلَّم وسلَّموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذي [illegible] من هذه وأومأ بيده الى هامته ولحيته ومن شعر عليّ بن أبي طالب الذي لا اختلاف فيه أنه قاله وانه كان يردده أنهم لما ساموه أن يُقرّ بالكفر ويتوب حتى يسيروا [illegible] فقال

أبعدَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقُّهِ في الدين أرجعُ كافرا

يا شاهدَ اللهِ عليَّ فاشهدِ ۞ أني على دين النبي أحمدِ

۞ مَن شكَّ في الله فاني مُهتدي ۞

ويروى ۞ أني توليتُ وليَّ أحمدِ ۞ ويروى أن رجلا أسود شديد بياض الثياب وقف على

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن الا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الاسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى الغضب فى وجهه فقال عمر بن الخطاب ألا أقتله يارسول الله فقال رسول الله انه سيكون لهذا ولاصحابه نبأ وفى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل ثم قال لابى بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته راكعا ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته ساجدا ثم قال لعلى اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله قال أبو العباس وحدثنى ابراهيم بن محمد التيمى قاضى البصرة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها أرباعا فأعطى ربعا الاقرع بن حابس المجاشعى وربعا لزيد الخيل الطائى وربعا لعيينة بن حصن الفزارى وربعا لعلقمة بن علاثة الكلابى فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توردت خداه ثم قال أيأمننى الله عز وجل على أهل الارض ولا تأمنونى فقام اليه عمر فقال ألا أقتله يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلا ترى شيأ وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيأ وتتمارى فى الفوق قوله صلى الله عليه وسلم من ضئضئ هذا أى من جنس هذا يقال فلان من ضئضئ صدق ومن محتد صدق وفى مركب صدق وقال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عامله على البصرة

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم * على قلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم * فى ضنضئ المجد وبحبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها واكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شئ وأقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال امرؤ القيس بن عابس الكندى

وقد أختلس الضربة لا يدمى لها نصلى

فاما ما وضعه الاصمعى فى كتاب الاختيار فعلى غلط وضع وذكر الاصمعى أن الشعر لاسحق ابن سويد الفقيه وهو لاعرابى لا يعرف المقالات التى يميل اليها أهل الاهواء أنشد الاصمعى

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب

ولكنى أحب بكل قلبى * وأعلم أن ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حبا * به أرجو غدا حسن الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعنى واصل بن عطاء وكان يكنى أبا حذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وقال بشار بن برد يهجو واصل ابن عطاء

ماذا منيت بغزال له عنق * كنقنق الدو ان ولى وان مثلا

عنق الزرافة ما بالى وبالكم * تكفرون رجالا أكفروا رجلا

ويروى لا بل كانه لا يشك فيه ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب رأى ابليس لعنه الله فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويروى له

الأرض مُظْلمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ * والنارُ معبودةٌ مذْ كانت النارُ

فهذا ما رويه المتكلمون وقتله المهديُّ على الإلحاد وقد رَوَى قومٌ أن كتبه فُتّشتْ فلم يُصبْ فيها شئٌ مما كان يُرْمى به وأُصيب له كتاب فيه إني أردتُ هجاء آل سُلَيمان بن علي فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكتُ عنهم (إلا أني قلتُ

دينارُ آل سُلَيمان ودرهمهم * كالبابليين حُفّا بالعفاريت

لا يُرجيان ولا يُرْجى نوالهما * كما سمعتَ بهاروت وماروت)

وحدثني المازني قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى أنه ثنويّ قال فقال بشار ليسوا يدرون أن اللحم يدفع عني شرّ هذه الظلمة وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلّص كلامه من الراء ولا يُفطن به لاقتداره وسهولة ألفاظه ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدحه بإطالة الخُطَب واجتنابه الراء على كثرة تردده في الكلام حتى [illegible] فيه

عليمٌ بإبدال الحروف وقامعٌ * لكل خطيبٍ يغلب الحقَّ باطلُه

وقال آخر

ويجعل البُرَّ قمحاً في تصرّفه * وخالف الراء حتى احتال للشِّعر

ولم يُطقْ مطراً والقولُ يُعجلُه * فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

ومما يُحكى عنه قوله وذكر بشاراً أما لهذا الأعمى المُكتني بأبي مُعاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خُلُقٌ من أخلاق الغالية لبعثتُ اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سَدُوسيّاً أو عُقَيليّاً فقال هذا الأعمى ولم يقل بشاراً ولا ابن بُرْد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لأرسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لأن

بشارا كان يتوالى اليهم وذكر بنى سدوس لانه كان نازلا فيهم واجتناب الحروف شديد قال ولما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بها قال وخطب الجمحى وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت لنكاح فرد عليه زيد بن على بن الحسين كلاما جيدا الا انه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها * فله بذاك مزية لا تنكر

المزية الفضيلة واما قوله وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب وكان مولى بنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل البدع والأهواء ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال

ومن قوم اذا ذكروا عليا * أشاروا بالسلام على السحاب

ويروى * يردون السلام على السحاب * ثم رجع الى ذكر الخوارج قال فلما قتل على أهل النهروان وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب وقوم ممن استأمن الى أبى أيوب الانصارى فتجمعوا وأمروا عليهم رجلا من طيئ فوجه اليهم على صلوات الله عليه رجلا وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم فأبوا فعاودهم فأبوا فقتلوا جميعا فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بان يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج فلما انقضى نظرت الخوارج فى أمرها فقالوا ان عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الامر الى حقه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو دونهما وانه لاصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن ملجم انا أقتل عليا فقالوا وكيف لك به قال أغتاله فقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك وأنا

أقتل معاوية وقال زاذويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمرا فأجمع رأيهم على
أن يكون قتلهم في ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان
فخرج كل واحد منهم الى ناحيته فأتى ابن ملجم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها
قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأي الخوارج والاحاديث تختلف وانما يؤثر
صحيحها ويروى في بعض الاحاديث أنها قالت لا أقنع منك الا بصداق أسميه لك وهو ثلاثة
آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت فكيف لي به قالت تروم ذلك
غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك وان أصبت سرت الى الجنة ونعيم
لا يزول فانعم لها وفي ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بني ملجم وأن
أباهم نهاهم فلما عصوه قال استعدوا للموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح
ما ذكرت لك أول مرة فأتاه ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضي لما
قصدت لشد ما أحببت أهلك قال اني قد وعدت صاحبي وقتا بعينه وكان هنالك رجل من
أشجع يقال له شبيب فواطأه عبد الرحمن ويروى أن الأشعث نظر الى عبد الرحمن متقلدا
سيفا في بني كندة فقال يا عبد الرحمن أرني سيفك فأراه فرأى سيفا حديدا فقال ما تقلدك
السيف وليس بأوان حرب فقال اني أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الأشعث بغلته
وأتى عليا صلوات الله عليه فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتكه فقال علي ما قتلني
بعد ويروى أن عليا رضوان الله عليه كان يخطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر
فسمع وهو يقول والله لأريحنهم منك فلما انصرف علي صلوات الله عليه الى بيته أتي به

مُلَبِّساً فأشرف عليهم فقال ما تريدون نُخبِرُوه بما سمعوا فقال ما قتلني بعدُ خَلُّوا عنه ويروى أن عليا كان يتمثل اذا رآه ببيت عمرو بن معدى كَرِب فى قيس بن مكشوح المرادى والمكشوحُ هُبَيْرةُ وانما سمى بذلك لانه ضُرِب على كَشحه

أُرِيدُ حِباءه ويُرِيدُ قتلى * عذيرَك من خليلك من مُراد

فينتهى من ذلك حتى أُكثِرَ عليه فقال له المرادىُّ ان قضى شئٌ كان فقيل لعلى كأنك قد عرفته وعرفتَ ما يريد بك أفلا تقتله فقال كيف أقتل قاتلى فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن مُلْجِم وشَبيبٌ الأشجعىُّ فاعتورا الباب الذى يدخل منه على رضى الله عنه وكان مُغَلِّساً ويُوقظ الناسَ للصلاة فخرج كما كان يفعلُ فضربه شَبيبٌ فأخطأه وأصاب الباب وضربه ابن مُلْجِم على صلعته فقال على فُزْتُ وربِّ الكعبة شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الانصار قال سمعتُ كلمة عَلِىٍّ ورأيت بَريقَ السيف فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المُغيرةُ بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الارض وكان المغيرة أَيِّداً فقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيفَ منه رجلٌ من حضرموتَ وصرعه وقعد على صدره وكثُرَ الناسُ فجعلوا يصيحون عليكم صاحبَ السيف فخاف الحضرمىُّ أن يُكِبُّوا عليه ولا يسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسلَّ شبيبٌ بين الناس فدُخِلَ على علىٍّ رضوان الله عليه فأُمِرَ فيه فاختلف الناس فى جوابه فقال على ان أَعِشْ فالامر الىَّ وان أُصَبْ فالامر لكم فان آثرتم أن تقتصُّوا فضربةٌ بضربة وأن تعفوا أَقربُ للتقوى وقال قوم بل قال وان أصبتُ فاضربوه ضربةً فى مقتله فأقام على يومين فسمع ابن ملجم الرَّنَّةَ من الدار فقال له مَنْ حضره أى عدوَّ الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أَعلى مَنْ تبكى أمُّ كُلثوم أَعَلَىَّ أما والله لقد اشتريتُ سيفى بألف درهم وما زلتُ أُعرِضُه فما يعيبه أحد الا أصلحتُ ذلك العيب ولقد أسقيته السمَّ حتى لفظه ولقد

ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ومات على صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث فدعا به الحسن رضي الله عنه فقال ان لك عندي سرا فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد يريد أن يقرب من وجهي فيعض أذني فيقطعها فقال أما والله لو أمكنني منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنك ضربة تؤديك الى النار فقال لو علمت أن هذا في يديك ما اتخذت الها غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا أبا محمد ادفعه الى أشف نفسي منه فاختلفوا في قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول انك يا ابن أخي لتكحل عمك بملمولين مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه وقال قوم بل قطع رجليه وهو في ذلك يذكر الله عز وجل ثم عمد الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونراك قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت أن لا يزال فمي بذكر الله رطبا ثم قتله ويروى أن عليا رضي الله عنه أتي بابن ملجم وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما فلا نأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال علي رضوان الله عليه

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول

حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به في الوزن ويحذفون من من الوزن علما بان المخاطب يعلم ما يريدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به قال وحدثني أبو عثمان المازني قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وانما الشعر * لعمري لسعد بن الضباب اذا غدا * وأما الحجاج بن عبد الله الحميري

وهو البرك فانه ضرب معاوية مصليا فاصاب ما كنه وكان معاوية عظيم الاوراك فقطع منه عرقا يقال عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد فلما أخذ قال الأمان والبشارة قتل على في هذه الصبيحة فاستوثق به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله فأقام بالبصرة فبلغ زيادا أنه قد ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس وأما اذويه فانه أرصد لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بنى سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاصى فضربه زاذويه فقتله فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أو ما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا والله أراد خارجة وقال أبو زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب صلوات الله عليه

ان الكرام على ما كان من خلق * رهط امرئ خاره للدين مختار
طب بصير باضغان الرجال ولم * يعدل بحبر رسول الله أحبار
وقطرة قطرت اذ حان موعدها * وكل شئ له وقت ومقدار
حتى تنصلها فى مسجد طهر * على امام هدى ان معشر جاروا
حمت ليدخل جنات أبو حسن * وأوجبت بعده للقاتل النار

قوله خاره انما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير باضغان الرجال فهى أسرارها ومخبآتها قال الله تعالى فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم والحبر العالم ويروى أن عليا رضوان الله عليه مر بيهودى يسأل مسلما عن شئ من أمر الدين فقال له على اسألنى ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أى عالم قال على أن نسأل عالما أجدى لك وقوله حتى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت قال الكميت

والوصيُّ الذي أمالَ التجوبيُّ به عرشَ أُمّةٍ لانهدام

قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه * حكماً لا كغابر الحُكّام

الإمامَ الزكيَّ والفارسَ المُعْلَمَ تحت العجاج غيرَ الكهام

راعياً كان مُسجِحاً ففقدنا * وفقدُ المُسيمِ هُلْكُ السَوام

قوله الوصي فهذا شئ كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرُقيّات

نحنُ منا النبيُّ أحمدُ والصدّيقُ منا التقيُّ والحكماء

وعليٌّ وجعفرٌ ذو الجناحين هُناكَ الوصيُّ والشهداء

وقال كُثيرٌ لما حبس عبدُ الله بن الزبير محمدَ بن الحنفيّة في خمسة عشر رجلا من أهله في سجن عارم

تخبّر من لاقيتَ انكَ عائذٌ * بل العائذُ المحبوسُ في سجن عارم

وصيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمّه * وفكّاكُ أعناقٍ وقاضي مغارم

أراد ابنَ وصيِّ النبيِّ والعربُ تُقيمُ المضافَ اليه في هذا الباب مُقامَ المضاف كما قال الآخر

صبّحنَ من كاظمة الخُصَّ الخَرِبْ * يحملنَ عبّاسَ بن عبد المُطّلبْ

يريد ابن عباس رضي الله عنه وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثيابَ المجدِ فهي لبوسكم * عن ابني منافٍ عبدِ شمسٍ وهاشم

يريد ابني عبد مناف وقال أبو الأسود

أُحبُّ محمداً حبا شديداً * وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا

أحبهمُ لحبِّ الله حتى * أجيءَ اذا بُعثتُ على هَوِيّا

هوىً أُعطيتُه مُنذُ استدارتْ * رحى الإسلام لم يَعدِلْ سَوِيّا

(السوي والسواء الذي قد سوّى الله خلقه لا زمانة به ولا داء وفي القرآن بَشَراً سَوِيّاً وتقول

ساويت ذاك بهذا الامر أي جعلته مثلا له)

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر ماتنسى عليا
بنو عم النبي وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشدا أصبه * وليس بمخطئ ان كان غيا

(ويروى ولست) وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاه مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني (قال وكان نقش خاتمه

يا قالبي حسبك من غالب * ارحم علي بن أبي طالب)

وقوله غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا * ه وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذي يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شئ من الماشية فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لامورهم قال ابن الرقيات

أيها المشتهي فناء قريش * بيد الله عمرها والفناء
ان تودع من البلاد قريش * لا يكن بعدهم لحي بقاء
لو تقفي ويترك الناس كانوا * غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميري يعني عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الامن * لزم الطريقة واستقام مسجحا

ولما سمع علي صلوات الله عليه نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة وزوروا أن عليا رضي الله عنه لما أوصى الى الحسن في وقف

أموانه وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لان
وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلم محمد بن هشام في اسناد ذكره آخره
أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الاعاجم قال وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي
فرغب في الاسلام صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما
توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليه السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا
أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه
لامير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته باهالة سنخة فقال علي به فقام الى الربيع وهو
جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيأ ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما
ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها وشرب بهما حسا من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر ان
الاكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده
الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه
عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم
فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله أنها صدقة على بدواة وصحيفة قال
فعجلت بهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين
تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل
ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين
الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لاحد غيرهما قال محمد بن هشام
فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى
أن يبيع وقال انما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء وتحدث
الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة اما بعد فان أمير المؤمنين

أحب أن يرد الألفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبد الله
ابن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان
إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الألفة من صلاح ذات البين
واجتماع الدعوة فقال عبد الله إن خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فأنظرني
إلى أن يقدم وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر
ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل إلى الجارية فقال يا بنية أن ابن عمك القاسم
ابن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات
فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم
وجمع الكلمة فتكلم الحسين فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدرا يا حسين فقال أنت
بدأت خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا
لذلك فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين
إلى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذلك قال اللهم نعم فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني
عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك
له فقال كلا هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فانتزعها من أيديهم وعوضهم
عنها وردها إلى ما كانت عليه ۞ قال أبو العباس رجع الحديث إلى ذكر الخوارج وأمر
علي بن أبي طالب قال يروى أن عليا في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان
العبدي وقد كان وجهه إليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس فقال لصعصعة
بأي القوم رأيتهم أشد إطافة فقال بيزيد بن قيس الأرحبي فركب علي إليهم إلى حروراء فجعل
يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل
على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحدا منكم كان

أ كره للحكومة منى قالوا اللهم لا قال أفعلمتم أنكم أكرهتمونى حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام خالفتمونى ونابذتمونى قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعد لك فقال على انى أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا ان عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبى المال فينهض الى الشام فأتى الاشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب على الناس فقال من زعم انى رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلى انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس فقال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال فى دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله الا ما صدقتم أنفسكم أما علمتم ان الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى ربع درهم تصاد فى الحرم وفى شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذ على على الحكمين أن لا يجورا وان يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعى مثل دعوى على قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا صدقت قال ابن عباس متى جارا لحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قال فاتبعه منهم

ألفان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم شبث

ابن ربعي الرياحي فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي

قال ومضى القوم الى النهروان وكانوا أرادوا المضي الى المدائن (قال الاخفش كذا كان

يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النهروان بالفتح وأنشد للطرماح

*قل في شط نهروان

اغتماضي) قال أبو العباس فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما

ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب

وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك

قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه

فصاحوا به فلفظها تورعا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في

الارض فقال عبد الله بن خباب ما علي منكم بأس اني لمسلم قالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت

أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما

يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول في

أبي بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا فما تقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان ست سنين فأثنى خيرا

قالوا فما تقول في الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على

دينه وأنفذ بصيرة فقالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائهم ثم قربوه الى

شاطئ النهر فذبحوه فامذقر دمه أي جرى مستطيلا على دقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له

فقال هي لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب

ولا تقبلون منا جنى نخلة ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبي سمر ليلة عند زياد

ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فأنحى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو

بلال مرداس ابن أدية فقال له يا غيلان قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من

ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك برمحه فقال غيلان لن يبلغك أني ذكرتهم بعد الليلة ومرداس تنتحله جماعة من أهل الأهواء لقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا الجور السلطان داعيا الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسىء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي ثم خرج فى عقب هذا اليوم والشيع تنتحله وتزعم أنه كتب الى الحسين بن على صلوات الله عليه انى لست أرى رأى الخوارج وما أنا الا على دين أبيك وهذا رأى قد استهوى جماعة من الأشراف يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأى الخوارج وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه وكان عدة من الفقهاء ينسبون اليه منهم عكرمة مولى ابن عباس وكان يقال ذاك فى مالك بن أنس ويروى الزبيريون أن مالك بن أنس المدنى كان يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن البصرى فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن فى مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا ويقول لو لم نلعنهم للعنا ثم يذكر عليا فيقول لم يزل أمير المؤمنين على رحمه الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم فلم تحكم والحق معك الا تمضي قدما لا أبا لك وأنت على الحق ۞ قال أبو العباس وهذه كلمة فيها جفاء والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء وربما استعملها الجفاة من الأعراب عند

المسئلة والطلب فيقول القائل للامير والخليفة انظر فى أمر رعيتك لا أبالك وسمع سليمان ابن عبد الملك رجلا من الاعراب فى سنة جدبية يقول

رب العباد مالنا ومالكا * قد كنت تسقينا فمابدالكا

* أنزل علينا الغيث لا أبالكا *

فأخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد أنه لا أباله ولا ولد ولا صاحبة وأشهد أن الخلق جميعا عباده وقال رجل من بنى عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه

أبنى عقيل لا أبا لابيكم * أبى وأى بنى كلاب أكرم

وقال رجل من طيئ أنشده أبو زيد الانصارى

يا قرط قرط حيى لا أبا لكم * يا قرط انى عليكم خائف حذر

أأن روى مرقش واصطاف أعنزه * من التلاع التى قد جادها المطر

قلتم له اهج تميما لا أبا لكم * فى كف عبدكم عن ذاكم قصر

فان بيت تميم ذو سمعت به * فيه تنمت وأرست عزها مضر

قوله يا قرط قرط حيى نصبهما معا أكثر على ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيى فأقحموا قرطا الثانى توكيدا وكذلك لجرير

يا تيم تيم عدى لا أبا لكم * لا يلقينكم فى سوأة عمر

ومثله لعمر بن لجا

يا زيد زيد اليعملات الذبل * تطاول الليل عليك فانزل

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الاول يا زيد زيد اليعملات ويا تيم تيم عدى كما تقول يا زيد أخا عمرو على النعت ومثل الاول فى التوكيد يا بؤس للحرب أراد يا بؤس الحرب فأقحم اللام توكيدا لانها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبالك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت

الالف فى الاب لانك تقول رأيت أباك فاذا أفردت قلت هـذا أب صالح وانما كانت لا أباك

كما قال الشاعر

أبالموت الذى لابدّ أنى * ملاقٍ لا أباكِ تخوّفينى

وقال آخر

وقد مات شمّاخٌ ومات مزرّدٌ * وأىّ كريم لا أباكَ يخلّدُ

وقوله أأن روى مرقش مرقش رجل وروى استقى لاهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقى لاهله والتى على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهى المثلثة وأصغرها السطيحة وأصغرهن الطبع وقوله واصطاف أعنزه يريد فتملت من الصيف أى أصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الارض فى مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذى وكذلك تفعل طيئ تجعل ذو فى معنى الذى قال زيد الخيل لبنى فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال

* انى أرى فى عامر ذو ترونه * وقال عارق الطائى

فان لم يغير بعض ما قد فعلتم * لانتحين للعظم ذو أنا عارقه

يريد الذى ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتماد الايثار لغة قومه قال الحسن ابن هانئ الحكمى

حبّ المدامة ذو سمعت به * لم يبق فىّ لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائى

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة * فأنا المقيم قيامة العذّال

وقال الحسن بن وهب الحارثى

عللانى بذكرها عللانى * واسقيانى أولا فمن تسقيان

أناذو لم يزل يهون على النفس * مان ان عزجانب الندمان
ويكون العزيز في ساعة الروع * بصدق الطعان يوم الطعان

عاد الحديث الى ذكر الخوارج قال أبو العباس وكان في جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فمنهم الذى طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد وفي حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو الخنيصرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل ساجد الى أن صلى النبي عليه السلام فقال ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يفعل ففعل عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل لكان أول فتنة وآخرها ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر المخدج عند النبي عليه السلام فقال أبو مريم والله ان كان معنا لفي المسجد وكان فقيرا وكان يحضر طعام علي اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنسا لي فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لا نظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعي ورسل علي تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان مني قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحي أريدهم واذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا الى فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم

النهر قال علي اطلبوا المُخْدَج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال علي والله ما كذبتُ ولا كُذِبتُ فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر علي ساجدا وكان اذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سجد وقال لو أعلم شيأ أفضلَ منه لفعلته ثم قال سيماهُ أن يده كالثَّدْي عليها شعرات كشارب السنَّوْر ايتوني بيده المُخْدَجة فأتَوْه بها فنصبها ويروى عن أبي الجَلْد أنه نظر الى نافع بن الازرق الحنفي والى نظره وتَوَغُّله وتعمُّقه فقال اني لاجد لجهنم سبعة أبواب وانّ أشدَّها حَرًّا للخوارج فاحذَرْ أن تكون منهم قال وكان نافع بن الازرق يَنْتَجِع عبدُ الله بن العباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه في تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبت عليه الشقوةُ ونحن ذاكرون منها صدرا ان شاء الله حدّث أبو عبيدة معمَرُ بن المثنّى التَّيْميُّ النسّابة عن أُسامة ابن زيد عن عكرمة قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه والليل وما وَسَقَ فقال ابن عباس وما جَمَع فقال أتعرف ذلك العربُ قال ابن عباس أما سمعتَ قول الراجز

انّ لنا قلائصا حقائقا * مُسْتَوْسِقات لو يَجِدْنَ سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يَقْدَحُ فيه قادح ويَعْرِضُ القولُ فيحتاج المبتدئ الى أن يزداد في التفسير قوله حقائقا انما بنى الحِقّة من الابل وهي التي قد استحقت أن يُحْمَلَ عليها على نعت له مثل حَقيقة ولذلك جمعها على حقائق ويقال اسْتَوْسَقَ القومُ اذا اجتمعوا وروى أبو عبيدة في هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعناه من غير وجه أنه سأله عن قوله عز وجل قد جعل ربك تحتك سريًّا فقال ابن عباس هو الجدْوَل فسأله عن الشاهد فأنشده

سَلْمًا ترى الدالجَ منها أَزْوَرا * اذا يَعُبُّ في السَّرِيّ هَرْهَرا

السَّلْم الدلو التي لها عُرْوةٌ واحدة وهو دلو السّقّائين وهو الذي ذكره طَرَفةُ فقال

لها مرفقان أفتلان كأنما * أمرا بسلمى دالج متشدد

والدالج الذى يمشى بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشدون ترى الدالى منه أزورا وهذا خطأ لا وجه له وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعا سأل ابن عباس عن قوله عتل بعد ذلك زنيم ما الزنيم قال هو الدعى الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد فى عرض الاديم الا كارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التى بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل فى قوم ليس منهم زعنفة (الام زعنفة بالكسر) والجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (قال أبو الحسن الاخفش كذا قال زعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه) ويروى عن غير أبى عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه والتفت الساق بالساق قال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المهلب بن أبى صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازنى ويذكر الوقعة التى كانت لهم عليهم بالهند فى سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه

أقول لها من ليلة ليس طولها * كطول الليالى ليت صبحك نورا

أخاف على نفس ابن أحوز انه * جلا حمما فوق الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذى رويت فى شعر جرير

حذارا على نفس ابن أحوز انه * جلا كل وجه من معد فأسفرا

وقوله عدى يعنى عدى بن أرطاة الفزارى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان

عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله)

جَعَلْتَ لِقَبْرِ الْخِيَارِ وَمَالِكٍ * وَقَبْرِ عَدِيٍّ فِي الْمَقَابِرِ أَقْبُرَا

(و يروى النيار وواسط الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سَبْرَةَ الْمُجَاشِعِيِّ وواسط بها قبر عَدِيِّ بن أَرْطَاةَ الفزارِيِّ)

وَأَطْفَأْتَ نِيرَانَ الْمَزُونِ وَأَهْلِهَا * وَقَدْ حَاوَلُوهَا فِتْنَةً أَنْ تُسَعَّرَا

(الْمَزُونُ عُمَانُ بالفارسية)

فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ رَايَةً يَعْرِفُونَهَا * وَلَمْ تُبْقِ مِنْ آلِ الْمُهَلَّبِ عَسْكَرَا

أَلَا رُبَّ سَامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ * إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

فهذا نظير ذلك والْمَزُونُ عُمَانُ قال الْكُمَيْتُ

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ أَبِي سَعِيدٍ * فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا

وقال آخر يعني الحرب

فَإِنْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا * فَوَيْهًا حُذَيْفُ وَلَا تَسْأَمِ

(تقول وَيْهًا لزيد إذا زجرته عن الشيء فَأَغْرَيْتَهُ به وواهاً له إذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخم) و يروى عن أبي عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوله الله وأعطاه كيف عُنِيَ بالهُدْهُد على قلته وضؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قُنَاءُ الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال ابن الازرق قف يا وَقَّافُ كيف يُبصِرُ ما تحت الارض والفخ يغطى له بمقدار اصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس وَيْحَكَ يا ابن الازرق أَمَا علمت أنه اذا جاء القَدَرُ عَشِيَ البَصَرُ ومما سأله عنه الم ذلك الكتاب فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهدا عن ابن عباس وأنا أحسبه أنه لم يقبله

الا بشاهد وتقديره عند النحويين اذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وعدوا كتابا هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعني بذلك اليهود وقال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فمعناه هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه وبيت خفاف ابن ندبة على ذلك يصح معناه وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخي خنساء مرة وفزارة فعمدا بنا حرملة دريد وهاشم المريان عمد معاوية فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا وكان صميم الخيل فلما تنادوا قتل معاوية قال خفاف ابن ندبة وهي أمه وكانت حبشية وأبوه عمير أحد بني سليم بن منصور قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله فقال خفاف ابن ندبة

ان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

يريد انا ذلك الذي سمعت به عندنا أربي هذا وقوله يأطر متنه أي يثني يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهي مأطورة وعلوى فرسه ومما سأله عنه قوله عز وجل لهم أجر غير ممنون فقال ابن عباس غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كأنه اهباء

قال أبو العباس منين يعني الغبار وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدني التوزي عن أبي زيد

يا ريها ان سلمت يميني * وسلم الساقي الذي يليني

* ولم تخني عقد المنين *

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزى فى كتاب الاضداد أن المنين يكون القوى يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الاول وقال غير ابن عباس لهم أجر غير ممنون لايمن عليهم فيكدر عندهم وروى من غير وجه أن ابن الازرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيأ من شعرك فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر
تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نعم ومثلها * نهى ذا النهى لو يرعوى أو يفكر
اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة * لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه أن أمر ببابها * مسر لى الشحناء والبغض مظهر
ألكنى اليها بالسلام فانه * يشهر المامى بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها * بمدفع أكنان أهذا المشهر
قفى فانظرى يا أسم هل تعرفينه * أهذا المغيرى الذى كان يذكر
أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن * وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لاشك غير لونه * سرى الليل يحيى نصه والتهجر
لان كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

حتى أتمها وهي ثمانون بيتا فقال له ابن الأزرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب إليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتعرِضُ ويأتيك غلام من قريش فينشدُكَ سَفَها فتسمعُه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك .

رأيت رجلا أما إذا الشمسُ عارضت ... فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ما هكذا قال إنما قال فيضحى وأما بالعشى فيخصرُ قال أَوَتحفظ الذى قال قال والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه ولو شئت أن أردها لرددتها قال فارددها فأنشده إياها وروى الزبير بن أن نافعا قال له ما رأيتُ أروَى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عمرَ ولا أعلم من على وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول فى البردَين فاذا ذكر العشى فقد دل على عقيب العشى قال الله تبارك وتعالى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى والضحُ الشمس وليس من ضحيتُ يقال جاء فلان بالضحِّ والريح يراد به الكثرة قال علقمةُ :

أغرُّ أبرزه للضح راقبــــهُ ... مقلدٌ قضبَ الريحان مفغومُ

له نغمة أى رائحة طيبة يعنى ابريقا فيه شراب وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجه إلى تبوك جاء أبو خيثمة وكانت له امرأتان وقد أعدت كلُّ واحدة مهما من طيب ثمر بستانه ومهدت له فى ظل فقال أظل ممدود وثمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير فركب ناقته ومضى فى أثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدُهم فجعل لا يذكر له أحد منهم إلا قال دعوة فان يُرد الله به خيرا يُلحقه بكم وقيل ذات يوم يا رسول الله نرى رجلا يرفعه الآلُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو وإذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الأول وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرته يزيد بن أبي مسلم مولاه وكان يستسرُّ برأى الخوارج

فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبي مسلم الامير ويلك يكلمك فقالت بل
الويل والله لك يا فاسق الردي والردي عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قولهم ويكتمه
وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتي برجل منهم فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه
فرأى ماشاء أربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا
محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال
له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة
ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة
خلقت لهم وأنى أولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى ما ثبت الله على من الحجة وقرر فى قلبى من
الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيب
بالقول والله لاقتلنك ان لم تطع فانا فى ذلك اذ دخل على بابنى مروان (قال أبو العباس) كان
مروان أخا يزيد لامه أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيا عزيز النفس فدخل به فى
هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فاقبل عليه
الخارجي فقال له دعه يبك فانه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى أن
لاتأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك
فقال له متعجبا أما يشغلك ما أنت فيه وبعرضه عن هذا فقال ما ينبغى أن يشغل المؤمن
عن قول الحق شئ فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعد يعتذر اليه لولا أن تفسد
بالفاظك أكثر رعيتى ماحبستك ثم قال عبد الملك من شككنى ووهمنى حتى مالت بى
عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى وكان عبد الملك من الرأى والعلم بموضع وتزعم
الرواة أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له
معاوية أتجد نعتى فى شئ من كتب الله قال اى والله لو كنت فى أمة لوضعت يدى عليك من

بينهم قال فكيف تجدني قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها الغفور رحيم قال معاوية فسرى عنى ثم قال لا تقبل هذا مني ولكن من نفسك فاخبره هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضي الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين مبين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شدما فأراه من بالشام من بني أمية فقال ما أراه ههنا فوجه به الى المدينة مع ثقات من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا في يده طائر فقال للرسل ها هو ذا ثم صاح به الى أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لي قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالي من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمتك أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ما سمعت فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجازيه بها في مخلفيه في وقته وكان عبد الملك من أكثر الناس علما وأبرعهم أدبا وأحسنهم في شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك قال أبو العباس وحدثني ابن عائشة عن حماد بن سلمة في اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري من مرة غطفان يريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله أعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ما قلت شاكا ولا مرتابا

وانی لاَجِدُكَ بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يبدا ولهار هطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خُراسان قال وحُدثتُ عن ابن جُعدُبةَ قال كنت عند أمير المؤمنين المنصور فى اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قال فغمّه ذلك حتى امتنع من الغداء فى وقته وطال عليه فكره فقلتُ يا أمير المؤمنين أُحدثك حديثا كنت مع مَروان بن محمد وقد قصده عبدُ الله بن على فأنا لَكذلك اذ نظر الى الاعلام السود من بُعد فقال ماهذه البُخت المُجَلَّلَة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن على ابن عبد الله بن العباس قال وأيهم عبد الله فقلت الفتى المعروق الطويل الخفيف العارضين الذى رأيته فى وليمة كذا يأكل فيُجيدُ فسألتنى عنه فنسبتُه لك فقلتَ ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته والله لوَددتُ أن على بن أبى طالب مكانهُ قال فقال لى المنصور آلله لسمعت هذا من مروان بن محمد قلتُ والله لقد سمعتُه منه قال يا غلام هات الغداء ۞ قال أبو العباس وكان أهل النُخيلة جماعة بعد أهل النَهروان ممن فارق عبد الله بن وَهب وممن لجأ الى راية أبى أيوب وممن كان أقام بالكوفة فقال لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابَهم فقام منهم قائم يقال له المُستَورِدُ من بنى سعد بن زيد مَناةَ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياتُه معلناً مقالته مُبلّغاً عن ربه ناصحاً لامته حتى قبضه الله مُخيَّراً مُختاراً ثم قام الصديقُ فصَدَقَ عن نبيه وقاتَلَ من ارتدّ عن دين ربه وذكر أن الله عز وجل قرَنَ الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل احداهما طَعنٌ على الاخرى لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله اليه موفوراً ثم قام الفاروقُ ففرَقَ بين الحق والباطل مُسوّياً بين الناس فى اعطائه لا مؤثرا لاقاربه ولا مُحكّماً فى دين ربه وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ والله يقول وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فكلٌّ أجابَ وبايَعَ فوجه اليهم علىّ بن أبى طالب عبدَ الله بن العباس

داعيا فأبوا فسار اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له علي توكلت على الله وحده وعصيت رأي كل متكهن أنت تزعم انك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ثم سار اليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الاشجعي وهم الذين ذكرهم الحسن البصري فقال دعاهم الى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا فسار اليهم أبو حسن فطحنهم طحنا وفيهم يقول عمران بن حطان

انى أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميري يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصي به * يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذي دان يوم النهر دنت به * وشاركت كفه كفي بصفينا

تلك الدماء معا يارب في عنقي * ومثلها فاسقني آمين آمينا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس اذ كان علي على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب في التحكيم فأما قولكم في السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على موضع الحجة ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة ابن شعبة وهو والي الكوفة فوجه اليه معقل بن قيس الرياحي فدعاه المستورد الى المبارزة وقال له علام يقتل الناس بيني وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ما كنت لآبى عليهم فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتا وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصي بها وهي محفوظة عنه كان يقول اذا أفضيت

بسري الى صديقي فأفشاه لم ألمه لاني كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سرا وان
كان مخلصا الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على
حقن دمك وكان يقول أول ما يدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب
وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال في حقه
استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى
أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت قال وخرجت الخوارج واتصل خروجها واغاثة كرمنهم
من كان له خبر طريف واتصلت به حكم من كلام وأشعار فأول من خرج بعد قتل علي عليه
السلام حوثرة الأسدي فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائي يسأله أن يتولى
أمر الخوارج حتى يسير اليه فيجتمعا فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا الى موضع
أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وقد
بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة
فوجه اليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولي لمحاربتهم فقال الحسن والله
لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى
بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لابيه
أبي حوثرة اكفني أمر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له
أي بني أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال يا أبت انا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على
كعوب الرمح أشوق مني الى ابني فرجع الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جدا فلما
نظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه
واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك
في غيري مندوحة ولي في غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكر على هذى الجموع حوثره * فعن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى أثر السجود وقد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا وأنا أحسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذوو العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وقال العباس بن الاحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره

تعتبت تعاتب ما أستحق * به الهجر منك ولا تقدر

وإذا [illegible] من شهرتي * اذا كان سرك لا يشهر

أمني تخاف انتشار الحديث * وحظي في ستره أوفر

ولو لم تكن في بقيا عليك * نظرت لنفسي كما تنظر

وروى من حديث محمد [illegible] القرظي قال [illegible] عمار بن ياسر خرجنا مع [illegible]

[illegible] عليه وسلم في [illegible] خرجت [illegible]

الله عليه [illegible] ننظر الى قوم [illegible] فقمت [illegible]

رسول الله صلى الله عليه و[illegible] الباب [illegible]

فقال خبرني يا رسول الله قال أشقى الناس اثنان أحيمر ثمود الذى عقر الناقة و[illegible]

يخضب هذه ووضع يده على لحيته من هذا ووضع يده على قرنه ويروى عن [illegible]

الخزاعى قال تلقانى على صلوات الله عليه فى الغلس فقال لى من أنت قلت حيان بن [illegible]

الخزاعى فقال ظننتك أشقاها الذى يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته و[illegible]

ويروى أنه كان يقول كثيرا قال أبو العباس أحسبه عند الضجر بأصحابه ما يمنع أشقاها أن

يخضب هذه من هذا ويروى عن رجل من ثقيف انه قال خرج الناس يعلقون دوابهم المدائن

وأراد علي المسير الى الشأم فوجه معقل بن قيس الرياحي ليرجعهم اليه وكان ابن عم لي في آخر من خرج فأتيت الحسن بن علي عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس في الترفيه عن ابن عمي فانه في آخر من خرج فقال تغدو وعلينا والكتاب مختوم ان شاء الله تعالى فبت ليلتي ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به في دار علي عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد فقال يا بني اني صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال ادع الله أن يريحك منهم فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت وحدثت من غير وجه أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه فلما انقضى علي كرم الله وجهه قالت أم الثريا

وكنا قبل مهلكه زمانا * نرى نجوى رسول الله فينا

قتلتم خير من ركب المطايا * وأكرمهم ومن ركب السفينا

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا

وروي أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الاشعث بن قيس بن معدي كرب وأن حجر بن عدي سمع الاشعث يقول له فضحك الصبح فلما قالوا قتل أمير المؤمنين قال حجر بن عدي للاشعث أنت قتلته يا أعور وروي أن الذي سمع ذلك أخو الاشعث عفيف بن قيس

وانه قال لاخيسه عن أمرك كان هذا يا أعور ﷺ. واخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة ﷺ خرج قريب بن مرة الازدي وزحاف الطائي وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد واختلف الناس في أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضبعي وتنادى الناس فخرج رجل من بني قطيعة من الازد وفي يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرا ببني علي بن سود من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموهم رميا شديدا فصاحوا يا بني علي البقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بني علي

لا شيء للقوم سوى السهام * مشحوذة في غلس الظلام

فعرد عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بني يشكر حتى نفذوا الى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم غانون وخرجت اليهم بنو طاحية بن سود وقبائل مزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم يا معشر الازد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت انكم أرثثموها فكانت القبائل اذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره وله أخرى في الخوارج أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الانصارية امرأة المختار وليس هذا من أخبار الخوارج أنكره الخوارج

غاية الانكار ورآوه قد أتى بقتل النساء أمرا عظيما لانه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر نساء المشركين وللخواص منهن أخبار فقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

إنّ من أعظم الكبائر عندى * قتل حسناء غادة عُطبول
قُتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درّها من قتيل
كُتب القتل والقتالُ علينا * وعلى المحصنات جرُّ الذيول

قال وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كُحيلة والاخرى قطام فجعل أصحابُ ابن عامر يُعيّرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يُعرّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والردع ويقول قائلهم لا تقف ما ليس لك به علم ويروى عن ابن عباس فى هذه الآية والذين لا يشهدون الزُّورَ واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما قال أعياد المشركين [illegible] ابن [illegible] الزور [illegible] لابن عباس [illegible] السود [illegible] لا [illegible] تقف ما ليس لك به علم [illegible] ذلك [illegible] حديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدات من الخوارج [illegible] من [illegible] امرأة كانت أفصح [illegible] ونساء هى احداهم [illegible] [illegible] وكتبه وكانت [illegible] قتل [illegible] [illegible] حرام بن يربوع بن حنظلة [illegible] بن زيد مناة بن تميم [illegible] [illegible] وسمت [illegible] في [illegible] الله وكان مرداس بن [illegible] أبو بلال [illegible] بنى ربيعة بن حنظلة تعظمه الخوارج وكان مجتهدا كثير [illegible] فى لفظه فلقيه [illegible] بن خرشة الضبى فقال يا أبا بلال انى [illegible] الامير البارحة عبيد [illegible] بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسّع على المؤمنين فى التقيّة فاستترى فان هذا المسرفَ على نفسه الجبارَ العنيدَ قد ذكرك قالت ان يأخذنى فهو

أشقى بي فأما أنا فما أحب أن يعنت انسان بسببي فوجه اليها عبيدُ الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها فى السوق فمرّ أبو بلال والناس مجتمعون فقال ماهذا فقالوا البلجاء فعرّج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه لهذه أطيبُ نفسًا عن بقية الدنيا منك يامرداس ثم ان عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسًا فرأى صاحبُ السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له انى أرى لك مذهبا حسنا وانى لأحبُّ أن أوليك معروفا أفرأيت ان تركتك تنصرف ليلا الى بيتك أتدخل الىَّ قال نعم فكان يفعل ذلك به ولجّ عبيدُ الله فى حبس الخوارج وقتلهم فكُلّم فى بعض الخوارج فلجّ وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم [illegible] هؤلاء أسرعُ الى القلوب من النار الى اليراع فلما كان ذات يوم قتل [illegible] الخوارج رجلا من الشرطة فقال ابن زياد ما أدري [illegible] كلما أمرت [illegible] رجل منهم فتكوا [illegible] لأقتلن من فى حبسى منهم [illegible] الى [illegible] [illegible] الكن [illegible] فقال له أهله اتق [illegible] وجه [illegible] [illegible] صاحب [illegible] فقال [illegible] [illegible] فى [illegible] غشيا [illegible] من الاعراب [illegible] [illegible] أتاه فى [illegible] فقال له مرداس ليس بى ما خشيت على ولكنى [illegible] [illegible] ذكرت [illegible] أصابنى ما [illegible] [illegible] قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب صلوات الله عليه [illegible] التحكيم [illegible] نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جدّ ابن زياد فى طلب الشراة عزم على الخروج فقال لاصحابه انه والله ما يسعنا المُقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين العدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم

ولكنا نتبرأ منهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل إلا من قاتلنا فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثا فأبى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصاري وكان له صديقا فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أوتخاف علي مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فإني لا أجرد سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل إلا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الأربعين فحط ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقي على الرسل وقال قولوا لصاحبكم إنما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقي فقال إنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم ولأبي بلال أشعار في الخروج اخترت منها قوله

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى * ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أحب بقاء أو أرجي سلامة * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيا رب سلم نيتي وبصيرتي * وهب لي التقى حتى ألاقي أولئكا

قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحدا فإنما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني ذا الثفنة وإنما يحتاج الضمير إلى ذكر قبله ليعرف فلو قال رجل مررت به لم يجز لأنه لم يذكر أحدا قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوما يتسوفون الهلال فقال قائل هو هذا لم يحتج إلى تقدمة الذكر لأن المطلوب معلوم وعلى هذا قال علقمة بن عبدة في افتتاح قصيدته

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

لأنه قد علم أنه يريد حبيبة له وقوله حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى

ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فمررنا بآسك فإذا نحن

بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا
زربا فوقف أخي ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام فقال لاخي أجئتم
لقتالنا فقال له لا انما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الارض ولا
لنروع أحدا ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا
ثم قال أندب الينا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابي قال فتى ترونه يصل الينا قلنا يوم كذا
وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وجهز عبيد الله أسلم بن زرعة في أسرع وقت
ووجهه اليهم في ألفين وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به ابو
بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيأ فما الذي تريد قال أريد أن أردكم الى ابن
زياد قال مرداس اذا يقتلنا قال وان قتلكم قال تشركه في دمائنا قال ادين بأنه محق وانكم
مبطلون فصاح به حريث بن حجل أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظنة
ويخص بالفيء ويجور في الحكم اما علمت انه قتل بابن سعاد أربعة برآء وانا أحد قتلته ولقد
وضعت في بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير
قتال وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا
وقال ويلك أتمضي في ألفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول لأن يذمني ابن زياد حيا
أحب الي من أن يمدحني ميتا وكان اذا خرج الى السوق أو مر بصبيان صاحوا به أبو بلال
وراءك وربما صاحوا به يا معبد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فأمر ابن زياد الشرط أن
يكفوا الناس عنه ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من بني تيم اللات بن ثعلبة في كلمة له

فلما أصبحوا صلوا وقاموا * الى الجرد العتاق مسومينا

فلما استجمعوا حملوا عليهم * فظل ذوو الجعائل يقتلونا

بقية يومهم حتى أتاهم * سواد الليل فيه يراوغونا

يقول بصيرهم لما أتاهم * بأن القوم ولوا هاربينا

أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس فاختار عباد بن اخضر وليس بابن أخضر هو عباد بن علقمة المازنى وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه فوجهه فى أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا انحوا عن درابجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم فى يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج الى يا عباد فانى أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذى تبغى قال ان آخذ بأقفائكم فأردكم الى الامير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فانا لا نخيف سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبي الا ما حمينا فقال له عباد الامر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول ان ترد فئة من المسلمين الى جبار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بد وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخذ القعقاع أسيرا فأتى به أبو بلال فقال ما أنت قال لست من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس على بعث * نشاطا ليس هذا بالنشاط

أكر على الحروريين مهرى * لأحملهم على وضح الصراط

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسى وكهمس بن طلق الصريمى فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون

أسلحتهم وعمدوا للصلاة فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطؤن فهم من بين راكع وقائم وساجد فى الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا وأتى برأس أبى بلال وتروى الشراة ان مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فأرنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف فروى أهل العلم أن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لابى العالية الرياحى يعجبه من الآية ويرغبه فى مذهب القوم فقال أبو العالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة الله فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤسهم وفيهم داود بن شبث وكان ناسكا وفيهم حبيبة النصرى من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لى حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت فى بناتى فقلت ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان فى جوف الليل استسقت بنية لى فقالت يا أبت اسقنى فلم أجبها فأعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت ان الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمى وكان فى القوم كهمس وكان من أبر الناس بامه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بنى قد وهبتك لله ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك الحبطى

ألا فى الله لا فى الناس شالت * بداود واخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع
اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

يا عين بكى لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما أبكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس

أنكرتُ بعدكَ من قد كنتُ أعرفهُ * ما الناسُ بعدكَ يا مرداسُ بالناسِ

امّا شربتَ بكاس دارَ أوّلها * على القرونِ فذاقوا جُرعةَ الكاس

فكلّ مَن لم يَذُقها شاربٌ عَجِلاً * منها بأنفاسٍ وِرْدٍ بعدَ أنفاس

ثم ان عباد بن أخضر المازني لبثَ دهراً في المصر محموداً موصوفاً بما كان منه فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج أن يفتكوا به فذمّر بعضهم بعضاً على ذلك فجلسوا له في يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنهُ رديفه فقام اليه رجلٌ منهم فقال أسألك عن مسئلة قال قل قال أرأيتَ رجلاً قتلَ رجلاً بغير حق وللقاتل جاهٌ وقدرٌ وناحيةٌ من السلطان أ [illegible] ذلك المقتول أن يقتله ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا [illegible] عليه [illegible] منه وعظيم جاهه عنده قال أخاف عليه ان قتله [illegible] من ناحية السلطان [illegible] فيما بينه وبين الله قال [illegible] فحكّموا [illegible] بأسيافهم [illegible] عباد وابنه فقتلوا وتنادى الناس قتل عباد فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق [illegible] مقتل عباد في سكة بني مازن عند مسجد بني كليب فجاء معبد بن أخضر أخو عباد وهو [illegible] علقمة وأخضر زوج أمهما في جماعة من بني مازن فصاحوا بالناس [illegible] وثأرنا [illegible] وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى [illegible] منهم أحدٌ الا [illegible] هلال [illegible] ففي ذلك يقول الفرزدق

لقد أدرك الأوتار [illegible] * إذا ذمّ طلاب [illegible] الأخاضرُ

هم جرّدوا الأسياف [illegible] ابن أخضرٍ * فنالوا التي [illegible] نال ثائرُ

أقادوا به أسداً [illegible] اقتحامها * اذا برزت نحو الحروب بصائرُ

ثم ذكر بني كليب لانه قُتلَ بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال في كلمة هذه

كفعل كليبٍ اذ أخلّت بجارها * ونصرُ اللئيم مُعتمٌ وهو حاضر

وما الكليب حين تذكر أول * وما الكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر

سأحمي دماء الأخضريين انه * أبى الناس الا ان يقولوا ابن أخضرا

وكان مقتل عباد وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفته على البصرة عبيد الله بن أبي بكرة فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحدا يعرف بهذا الرأى الا حبسه وجد فى طلبه ممن تغيب منهم فجعل عبيد الله بن أبي بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شفع اليه فى أحد منهم كفله الى ان يقدم ابن زياد حتى أتى بعروة بن أدية فأطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من فى السجن منهم فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجي ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرة هات عروة ابن أدية قال لا أقدر عليه قال اذا والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دل عليه فى سرب العلاء بن سوية المنقرى فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه فى شرب فتهانف به عبيد الله بن زياد وكان كثير المحاورة عاشقا للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عذره فاذا سمع الكلمة الجيدة عرج عليها ويروى انه قال فى عقب مقتل الحسين بن على عليه السلام لزينب بنت على رحمها الله تعالى وكانت أسن من حمل اليه منهن وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا فقالت ما للنساء والشعر وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأى الخوارج أهروري منذ اليوم ﴿﴾ رجع الحديث قال للكاتب صحفت والله وأومت انما هو فى سرب العلاء بن سوية ولوددت أنه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بن أدية بين يديه حاوره وقد اختلف الناس فى خبره وأصحه عندنا انه قال له جهزت أخاك على فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لى عزا ولقد أردت له

ما أريده لنفسي فعزم عزم ما قضى عليه وما أُحبُّ لنفسي الا المُقامَ وتركَ الخروج قال له أفأنت
على رأيه قال كلُّنا نعبدُ ربًّا واحدا قال أَمَا لأُمَثِّلَنَّ بك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت
فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترَى قال أفسدتَ على دُنيايَ وأفسدتُ عليكَ
آخرتك ثم أمر به فقُتِلَ ثم صُلِبَ على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جوابا مضى
ذكره قوله فتهانف حقيقته تضاحك به ضحك هُزْء وقال ابن أبي رَبيعة المخزومي

ولقد قالت لجارات لها * وتعرَّتْ ذاتَ يوم تَبْتَرِدْ
أكما ينعتني تُبْصِرْنَني * عَمْرَكُنَّ الله أم لا يَقْتَصِدْ
فتهانفْنَ وقد قُلْنَ لها * حَسَنٌ في كل عينٍ مَنْ تَوَدّ
حَسَدٌ حُمِّلْنَه من أجلها * وقديمًا كان في الناس الحَسَدْ

وكان عبيد الله لا يُلَبِّثُ الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل
عن أحد منهم وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما وُلِّي بعده فخرجوا عليه فأما زياد
فكان يقتل المُعْلِنَ ويستصلح المُسِرَّ ولا يُجَرِّدُ السيف حتى تزولَ التهمةُ ووَجَّهَ يوما بُجَيْنةَ بن
كُبَيْش الاعرجيَّ الى رجل من بني سعد يَرَى رأيَ الخوارج فجاءه بُجَيْنةُ فأخذه فقال اني
أريد أن أُحْدِثَ وضوءًا للصلاة فدَعْني أدخلْ الى منزلي قال ومَنْ لي بخروجك قال الله عز وجل
فتركه فدخل فأحدث وضوءا ثم خرج فأتى به بجينةُ زيادًا فلما مَثَلَ بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى
على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال قعدتَ عني فأنكرتُ ذلك فذكر الرجلُ
ربه فحمِدَهُ ووحَّدَه ثم ذكر النبيَّ عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم
أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدِّقه بفعلك وكان من قولك ومَنْ قَعَدَ عنا لم نَهِجْهُ
فقعدتُ فأمر له بصلة وكسوة وحُملانٍ فخرج الرجلُ من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال
ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرًّا ولا نفعا لنفسه ولا موتا ولا

حياة ولا نشورا فرزق الله منه ما ترون وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول ما أحسب الذى يمنعكم من اتيانى الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشونى الآن واسمروا عندى فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زيادا جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك أهل الشأم فى شأمهم وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف قال أبو العباس وبلغ زيادا عن رجل يكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة انه يرى رأى الخوارج فدعاه فولاه جندى سابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم فى كل شهر وجعل عمالته فى كل سنة مائة ألف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيأ خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيأ فتنمر لزياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات وقال الرهين وكان رجلا من مراد وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان فى الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمنزلة عمران ابن حطان وكان عمران بن حطان فى وقته شاعر قعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم وللرهين المرادى ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار وفى السير والسنن وفى الغريب والشعر نذكر منها طريفها ان شاء الله قال المرادى

يا نفس قد طال فى الدنيا مراوغتى * لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا
انى لبائع ما يفنى لباقية * ان لم يعقنى رجاء العيش تربيصا
وأسأل الله بيع النفس محتسبا * حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصا

(قال الاخفش حرقوص ذو الثدية)

وابن المنيح ومرداسا واخوته * اذ فارقوا زهرة الدنيا مخامصا

قال أبو العباس وهذه كلمة له وله أشعار كثيرة فى مذاهبهم وكان زياد ولى شيبان بن عبد الله الاشعرى صاحب مقبرة بنى سيبان باب عثمان وما يليه فجد فى طلب الخوارج وأخافهم

وكانوا كثروا فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بباب داره رجلان من الخوارج فضرباه
بأسيافهما فقتلاه وخرج بنون له للاغاثة فقتلوا ثم قتلهما الناس فأتي زياد بعد ذلك برجل
من الخوارج فقال اقتلوه متكئا كما قتل شيبان متكئا فصاح الخارجي يا عدلاه يهزأ به

فأما قول جرير

ومنا فتى الفتيان والباس معقل * ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحي ورياح ابن يربوع وجرير من كليب بن يربوع وقوله ومنا الذي
لاقى بدجلة معقلا يريد المستورد التيمي وهو من تيم بن عبد مناة بن أد وتميم ابن مر بن أد

وأما قول ابن الرقيات

والذي نغص ابن دومة ما توحي * الشياطين والسيوف ظماء
فأباح العراق يضربهم بالسيف صلتا وفي الضراب غلاء

فانما يريد بابن دومة المختار بن أبي عبيد الثقفي والذي نغصه مصعب بن الزبير وكان المختار
لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا في ظاهره وقوله ما توحي
الشياطين فان المختار كان يدعي أنه يلهم ضربا من السجاعة لامور تكون ثم يحتال فيوقعها
فيقول للناس هذا من عند الله عز وجل فمن ذلك قوله ذات يوم لتنزلن من السماء نار دهماء
فلتحرقن دار أسماء فذكر ذلك لأسماء بن خارجة فقال أقد سجع بي أبو اسحق هو والله محرق
داري فتركه والدار وهرب من الكوفة وقال في بعض سجعه أما والذي شرع الأديان وجنب
الأوثان وكره العصيان لأقتلن أزد عمان وجل قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا
النجيب ظبيان فكان ظبيان النجيب يقول لم أزل في عمر المختار أتقلب آمنا ويروى ان المختار
بن أبي عبيد كان واليا لابن الزبير على الكوفة اتهمه ابن الزبير فولى رجلا من قريش
الكوفة فلما أطل قال لجماعة من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا

أين تريدوا والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدري ما الذي رده فغضب ابن الزبير على القرشي وجهزه ورده الى الكوفة فلما اشارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشي فلما [illegible] في الثالثة [illegible] ابن الزبير و[illegible] بذلك المختار و[illegible] ابن الزبير [illegible] حبس محمد بن الحنفية [illegible] خمسة [illegible] رجلا من بني هاشم فقال [illegible] لا [illegible] فأبوا بيعته و[illegible] الحبس [illegible] حبسهم [illegible] سجن عارم ففي ذلك يقول كثير

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنكَ عائذٌ * بل العائذُ المظلومُ في سجنِ عارمِ

ومَن يَلْقَ هذا الشيخَ بالخيفِ من منى * من الناس يعلمْ أنه غيرُ ظالمِ

سَمِيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمِّه * وفكّاكُ أغلالٍ وقاضي مغارمِ

وكان [illegible] ابن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففي ذلك يقول [illegible]

بلدًا آمنَ الحمامةُ فيه * حيث عاذ الخليفةُ المظلومُ

وكان عبد الله [illegible] في ذلك يقول رجل [illegible] ابن الزبير

[illegible] * [illegible]

وكان [illegible] ابن الزبير [illegible] البغض لابن الحنفية الى بغض [illegible] له وكان [illegible] وقال [illegible] درعا فقال لينقص منها [illegible] وكذا [illegible] ابن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي [illegible] فكان ابن الزبير اذا حدث هذا الحديث غضب واعتراه أفكل فلما رأى [illegible] ابن الزبير [illegible] لما أراد [illegible] كتب اليه من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن [illegible] [illegible] الكتاب بسبه وسب أبيه [illegible]

اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة و يعلمهم موالاته اياهم و يخبرهم أنه على رأيهم وحمد مذاهبهم وأنه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجه جاعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله الخروج الى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما فأبي عليه ابراهيم الا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد ان المختار لا عقد له فكتب محمد الى ابراهيم بن الاشتر انه ما يسوءني أن يأخذ الله بحقنا على يدي من يشاء من خلقه فخرج معه ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيعه ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحق فقال اني أحب أن تغبر قدماي في نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الامر لنا فدعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فاني أجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتي في صور الحمام دوين السحاب فلما صار ابن الاشتر بخازر وبها عبيد الله بن زياد قال من صاحب الجيش قيل له ابن الاشتر قال أليس الغلام الذي كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشيء وعلى ميمنة ابن زياد حصين بن نمير السكوني من كندة ويقال السكوني والسكوني والسدوسي والسدوسي كذا كان أبو عبيدة يقول (قال أبو الحسن السكوني أكثر) وعلى ميسرته عمير بن الحباب فارس الاسلام فقال حصين بن نمير لابن زياد ان عمير بن الحباب غير ناصح فقد قتل المرج واني لا أثق لك به فقال ابن زياد أنت لي عدو وقال حصين ستعلم قال ابن الحباب فلما كان في الليلة التي تريد أن تواقع ابن الاشتر في صبيحتها خرجت اليه وكان لي صديقا ومعي رجل من قومي فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروي وملاءة وهو متوشح السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الي ولكن قال من هذا

فقلت عمير بن الحباب فقال مرحبا بأبي المغلس كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبي أرأيت أشجع من هذا قط يحتضنه رجل من عسكر عدوه ولا يدري من هو فلا يلتفت اليه ثم عاد الي وهو في أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأي أن تناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير فقال نصبح ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظبات السيوف وأطراف القنا فقلت انا منخزل عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم في أول النهار فأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس الملائكة فتراجعوا ونكس عمير بن الحباب رايته ونادى يالثارات المرج وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل الناس حتى اختلط الظلام وأسرع القتل في أصحاب عبيد الله بن زياد ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أفنوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الى سيفي ومنه رائحة المسك ورأيت اقداما وجرأة فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضعوه في براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة في بني اسرائيل ويقال انه اشترى ذلك الكرسي بدرهمين من نجار وقوله في براكاء القتال يقال براكاء وبروكاء وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر

وليس بمنقذك منه الا * براكاء القتال أو الفرار

٥٠ ﴿هذا باب اللام التي للاستغاثة والتي للاضافة﴾

اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يا للرجال ويا للقوم ويا لزيد اذا كنت تدعوهم واغا فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ووجب أن تفتحها لان أصل اللام

الخافضة انما كان الفتح فكُسِرَتْ مع المُظهَر ليفصل بينها وبين لام التوكيد تقول انّ هذا
لَزيدٌ اذا أردت انّ هذا زيد وتقول انّ هذا لِزيدٍ اذا أردت انه فى ملكه ولو فتحت لالتبستا فان
وقعت اللامُ على مضمر فتحتها على أصلها فقلت انّ هذا لَكَ وانّ هذا لَأَنْتَ اذا أردت لام
التوكيد لانه ليس ههنا لَبْسٌ وذلك أنّ الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها
على الاصل والاستغاثة تُرَدُّها الى أصلها من أجل اللبس والمدعوّ له فى بابه فاللام معه
مكسورة تقول يا لَلرجالِ لِلماءِ ويا لَلرجالِ لِلعَجَبِ ويا لَزيدٍ لِلنشّاب والنبل قال الشاعر

يا لَرِجالٍ لِيومِ الأربعاءِ أَمَا * يَنْفَكُّ يَبْعَثُني بعدَ النُهى طَرَبا

وقال آخر

تَكَنَّفَني الوُشاةُ فأَزعجوني * فيا لَلناسِ لِلواشي المُطاعِ

[illegible] عمر بن الخطاب رضوان الله عليه [illegible] يا لَلَّه يا لَلمسلمين
وتقول يا لِلْعَجَب اذا كنت تدعو اليه [illegible] العَجَب كأنك قلت يا لَلناس لِلعجب ويُنشَد
هذا البيتُ

يا لَعنةُ اللهِ والاقوامِ كلِّهمِ * والصالحينَ على سِمْعانَ من جارِ

فيا لغير اللعنة كأنه قال يا قوم لعنةُ اللهِ والاقوامِ كلِّهم وزعم سيبويه أنّ هذه اللام [illegible]
للاستغاثة وليس بمنزلة الالف التى تُبيَّنُ بالهاء فى الوقف اذا أردت أن تُسْمِعَ بعيدا فانما [illegible]
[illegible] الاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك يا قوماه على غير النُدْبة ولكن للاستغاثة [illegible]
[illegible] لتفرقَ كما فُرِّق محلُّهما عند العرب محلٌّ واحد فان وصلتَ حذفتَ الهاء لانها زيدت فى
الوقف لخفاء الالف كما تُزاد لبيان الحركة فاذا وصلتَ أغنَى ما بعدها عنها تقول يا قوماه [illegible]
ويا زيداه الا تَفعلْ ولا يجوز أن تقول يا لَزيدٍ وهو مقبلٌ عليك وكذلك لا يجوز أن تقول يا زيداه
وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو يُنَبَّهُ به النائمُ فان قلت يا لَزيدٍ ولِعمرٍو كسرت اللام فى [illegible]

وهو مدعوّ لانك انما فتحت اللام فى زيد لتفصل بين المدعوّ والمدعوّ اليه فلما عطفت على
زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفت عليه شيأ صار فى مثل حاله ونظير ذلك الحكاية
يقول الرجل رأيت زيدا فتقول من زيدا وانما حكيت قوله ليعلم أنك انما تسأله عن
الذى ذكر بعينه ولا تسأله عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتداء وخبر فان قلت
ومن زيدٌ أو فمن زيدٌ لم يكن الا رفعا لانك عطفت على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان
العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذى ذكرت لك فى اللام قول الشاعر

يبكيك ناء بعيد الدار مغتربٌ ، يا للكهول وللشبان للعجب

فقد أحكمت لك ما فى هذا الباب ثم نرجع الى ذكر الخوارج قال وأخذ عبيد الله
ابن زياد رجلا من بنى سدوس يقال له خالد بن عباد أو ابن عبادة وكان من نساك أصحابه فوجه
اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه وقال هو صهرى وهو فى ضمنى فخلى عنه فلم
يزل الرجل يتفقده حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأخذه فقال له عبيد
الله بن زياد أين كنت فى غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون
أئمة الجور فيتبرؤون منهم قال ادللنى عليهم قال اذا يسعدوا وتشقى ولم أكن لأروعهم قال
فما تقول فى أبى بكر وعمر قال خيرا قال فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين
معاوية قال ان كانا وليين لله فلست أعاديهما فأراده مرات فلم يرجع فعزم على قتله
فأمر باخراجه الى رحبة تعرف برحبة الزينبى فجعل الشرط يتفادون من قتله ويروغون
عنه توقيا لانه كان شاسفا عليه أثر العبادة حتى أتى المثلّم بن مسروح الباهلى وكان من
الشُرَط فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مُغرما باللقاح يتبعها فيشتريها
من مظانّها وهم فى تفقده فدسّوا اليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه ردع زعفران ذاقيه

بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفي فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندي ما يغنيك عن غيره فامض معي فمضى المثلم على فرسه والفتى امامه حتى أتى به بني سعد فدخل دارا وقال له ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه في بطنه ودفناه في ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه في الليل فأصيب من الغد في المربد وتجسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بني سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس فلما واقفهم ابن زرعة الكلابي صاح بهم حريث بن حجل أههنا من باهلة أحد قالوا نعم قال يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه في بطنه وهو في موضع كذا مدفون فلما انهزموا صاروا الى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم ففي ذلك يقول أبو الاسود الدؤلي

آليت لا أغدو الى رب لقحة * أساومه حتى يئوب المثلم

ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم كلهم قتل حتى انتهى الامر الى الأزارقة ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب الاباضية وهم أصحاب عبد الله بن اباض والصفرية واختلفوا في تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم البيهسية وهم أصحاب أبي بيهس ومنهم الازارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكانوا قبل على رأي واحد لا يختلفون الا في الشئ الشاذ من الفروع كما قال صخر بن عروة اني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعني الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب

يوم النهر فضلته الخوارج بامتناعه من قتال على فكان أول أمرهم الذى نستاقه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفى عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم ابن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا هذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فضوا لذلك فكان أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبى وكان من مجتهدى الخوارج كان يذمّر نفسه ويلومها على القعود وكان شاعرا وكان يفعل ذلك باصحابه فأتى نافع بن الازرق وهو فى جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبو الوازع فقال يا نافع لقد أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال الى أن تجمع من أصحابك من تنكى به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكى به القوم انما * تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر * عسى الله أن يخزى غوى بنى حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسى اليوم ولأغدون غدوة لا أنثنى بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره فى السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفا أن تجعل الخوارج قبره مهاجرا فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرج فى ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى ابن فاتك الشاعر الخطى من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة

وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلي وكفر اباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدي علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول في الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول في عثمان الذي أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيأ وكتب بخلافه وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين وفي الذي بعده الذي حكم في دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضي لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا وأخرجا عائشة تقاتل [illegible] الله وصواحبها أن يقررن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان تكن على هذا القول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق وان تأب الا نصرة رأيك الاول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي أحلت دمه ونقضت [illegible] وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بأيدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس وان لم

يدّعونا منهم لم تحفظونى بسب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا وقال جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذى دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم الا التوقيف والتصريح ولعمرى ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا الىّ من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كان العشى راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان فى السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضيه وخبر أنه آوى الحكم بن أبى العاص باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعلها أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولى وليه وعدو عدوه وأبى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله أو جله لطلحة والزبير حوارى رسول الله وصفوته وقد ذكر أنهما فى الجنة وقال جل وعز لقد

رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن

ما سعوا فيه حقاً فأهل ذلك هم وان يكن زلةً ففي عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة

مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضي الله عنها فان

أبى آبٍ أن تكون له أُماً نبذ اسم الايمان عنه قال الله جل ذكره وقوله الحق النبيُّ أولى

بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه وكان

سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشأم بعد ان كان حُصَيْن بن نُمَير قد حصر ابن الزبير

انه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس وكان أهل الشأم ضجروا من المقام على ابن

الزبير وحنقت الخوارج في قتالهم ففي ذلك يقول رجل من قضاعة

يا صاحبيَّ ارتحلا ثم املسا * لا تحبسا لدى الحصين محبسا

* ان لدى الاركان ناساً بؤسا *

(قال الاخفش حفظي بأساً أبؤسا)

وبارقات يختلسن الانفسا * اذا الفتى حكم يوماً كلسا

قوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصاً سهلاً وكلس أي حمل وجد ولما سمع ابن الزبير للخوارج

في القول وأظهر انه منهم قال رجل يقال له قيس بن همام من رهط الفرزدق

يا ابن الزبير أتهوى عصبة قتلوا * ظلماً أباك ولما تنزع الشككُ

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحيةً * ما أعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعني الترك والديلم على قتال أهل الشأم لشايعتها الشكك جمع شِكّة

وهي السلاح قال الشاعر

ومدججاً يسعى بشكته * محمرة عيناه كالكلب

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة

وكان رباء النميري وهو الذي كان جمعهم للمدافعة عن الحرم فكان فيمن صار الى البصرة نافع ابن الازرق الحنفي وبنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان بن بحزج فلما صاروا الى البصرة نظروا في أمورهم فأمّروا عليهم نافعا ويروى أن ابا الجلد اليشكري قال لنافع يوما يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا الباب الذي أعد للخوارج فان قدرت أن لا تكون منهم فافعل فأجمع القوم على الخروج فمضى بهم نافع الى الاهواز في سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحدا ويناظرهم الناس وكان سبب خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد وكان في السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج وضعف أمر ابن زياد فتكلم فيهم فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا في الناس يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الازد ونشأت الحرب بسببه بين الازد وربيعة وبين بني تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفرا منهم من بني تميم معهم عبس بن طلق الصريمي أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان في سعد والرباب في القلب بحذاء الازد وكان حارثة بن بدر اليربوعي في حنظلة بحذاء بكر بن وائل وفي ذلك يقول حارثة بن بدر للاحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس * مواقفة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

لكيز هو عبد القيس

وتكفيك بكرا اذا أقبلت * بضرب يشيب له الامرد

فلما قتل مسعود بن عمرو المعني وتكاف الناس أقام نافع بن الازرق بموضعه بالاهواز ولم يعد الى البصرة وطردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفيء ولم يزالوا على رأي واحد يتولون أهل النهر ومرداسا ومن خرج معه حتى جاء مولى لبني هاشم الى نافع فقال له ان أطفال المشركين

فى النار وان من خالفنا مشركٌ فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلالٌ قال له نافع كفرتَ وأدللتَ بنفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى قال نوح ربّ لا تذرْ على الارض من الكافرين ديّارًا انك ان تذرْهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرًا كفّارًا فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعا فى النار ورأى قتلهم وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفّار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقَعَدُ بمنزلتهم والتَقيّةُ لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريقٌ منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشدّ خشيةً وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائمٍ فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نَجْدةُ بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل الا أن تتقوا منهم تُقاةً وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه والقَعَدُ منا والجهادُ اذا أمكن أفضلُ لقوله جل وعز وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيما ثم مضى نَجْدةُ بأصحابه الى اليمامة [illegible] البلدان [illegible] رأيه وخالفه أصحابُه وكان أبو طالوتَ سالمُ بن مَطَر [illegible] فى جماعة قد بايعوه فلما ارتحل نجدةُ خلعوا أبا طالوتَ وصاروا الى نجدةَ فبايعوه ولقى [illegible] قوما من الخوارج بالعَرِمة والعرمة كالسِكْر وجمعها عَرِمٌ وفى القرآن المجيد [illegible] عليهم سَيْلَ العَرِمِ وقال النابغة الجَعْدىُّ

من سبأ الحاضرين مأرِبَ اذ * يَبْنون من دون سيله العَرِما

[illegible] قد كثّر القَعَدَ ورأى الأستعراضَ وقتلَ الاطفال فانصرفوا [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عَهْدى [illegible] لليتيم كالاب الرحيم وللضعيف كالاخ البَرِّ لا تأخذك فى الله لومةُ لائمٍ ولا ترى معونةَ ظالم [illegible] أماتنا كرقوتك ولا [illegible] أن للامام العادل مثلَ أجر جميع

رعيته ماتوليت أمر رجلين من المسلمين فلما قويت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه
وأصبت من الحق فصه وركبت مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك
ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت فأكفرت الذين عذرهم
الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ثم
سماهم أحسن الاسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال
[illegible] أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه
أو ما سمعت [illegible] عز وجل لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر فجعلهم الله من
المؤمنين [illegible] عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت ألا تؤدى الامانة الى من خالفك والله يأمر
أن تؤدى الامانات الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا
[illegible] عن والده شيئا فان الله [illegible] بالمرصاد وحكمه العدل وقوله الفصل [illegible]
فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى
وتنصح لى وتزجرنى وتصف ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب وأنا [illegible]
الله جل [illegible] أن يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعبت على [illegible] بعض
[illegible] وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك ثم ذلك ان شاء الله أما هؤلاء القعد
فليسوا [illegible] ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين
محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا [illegible]
الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم
اذ قالوا كنا مستضعفين فى الارض فقيل لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم نخبر
بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم فانظر الى
أسمائهم وسماتهم وأما أمر الاطفال فان نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة
مني ومنك فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم
نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله يقول أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وهؤلاء
كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام وأما استحلال
أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق
وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا
والقعود عنا وتركك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل
به وكتب نافع الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد فاني أحذرك من الله يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين فان الله يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمري
لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر
من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه
وكانوا في أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف ولاية قاتل
متعمد ومقتول في دين واحد وقد ملك علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى
الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له
وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له

كان مؤمنا أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل وإن كان كافرا كما زعمتم وفى الحكم جائر القد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا فكيف توليتمه بعد موته فاتق الله فإنه يقول ومن يتولهم منكم فإنه منهم وكتب نافع الى من بالبصرة من المحكمة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وإنما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت إقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فإنها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حبرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره ولا شارب شربة تؤنقه إلا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وإنما جعلها الله دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى فورد كتابه عليهم وفى القوم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبد الله بن اباض المرى من بنى مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن اباض فقال إن نافعا غلا فكفر وإنك قصرت فكفرت تزعم أن من خالفنا ليس بمشرك وإنما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب وإقرارهم بالرسول وتزعم أن مناكحهم ومواريثهم والإقامة فيهم حل طلق وأنا أقول إن أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الإقامة فيهم كما فعل المسلمون فى إقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجرى فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الإسلام وإن حكمهم عند الله حكم

ا [illegible] ركين فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع فى البراءة والاستعراض وا [illegible] الامانة وقتل الاطفال وقول أبى بيهس الذى ذكرناه وقول عبد الله بن اباض وهو [illegible] الاقاويل الى السنة من أقاويل الضلال والصفرية والنجدية فى ذلك الوقت يقولون [illegible] ابن اباض ما ذكرنا من مقالته وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله [illegible] وسلم ولكنى لا أحرم مناكحتهم وموارثتهم لان معهم التوحيد [illegible] الاقرار [illegible] عليه السلام وأرى سهم دعوة المسلمين تجمعهم وأراهم كفارا للنعم وثلث [illegible] المقدحتى صارت امتهم عداوات [illegible] فيهم وقد ذكرنا [illegible] ابن [illegible] الصفرية علتهم وتبدى [illegible] الليثى [illegible] رأى الخوارج فتركه وصار فى حينا

[illegible] نجدة والذين تزرقوا * وابن الزبير وشيعة الكذاب

والصفر الاذان الذين تحيروا * دينا بلا ثقة ولا بكتاب

[illegible] الاذان ولولا ذلك لانكسر الشعر وقال أبو بيهس الدار دار كفر و [illegible] جائز وان أصيب من الاطفال فلا حرج الى ههنا انتهت المقالة ❁ وتفرقت الخوارج على [illegible] ضرب الاربعة التى ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يعترض الناس ويقتل [illegible] المقالة جبا الخراج وفشا عماله فى السواد فارتاع لذلك أهل البصرة و [illegible] الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتهم [illegible] الاحنف ان فعلهم فى مصركم ان ظفروا به كفعلهم فى سوادكم فجدوا فى جهاد [illegible] جتمع اليه عشرة آلاف فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد [illegible] عليهم وشيعة [illegible] من جسر البصرة [illegible] انى ما خرجت لا متيازا ذهب

ولا فضة وانى لاحارب قوما ان ظفرت بهم فما وراءهم الا سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا اقتتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف [illegible] فقتل فى المعركة ابن عبيس [illegible]

وكان ابن عبيس [illegible] فأمركم الى [illegible] لا [illegible]

فلما أصيب ابن عبيس [illegible] استخلف [illegible]

السليط [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فدرانه [illegible]

حتى [illegible]

[illegible]

[illegible]

الحميرى فأباه فقيل له الا [illegible] بالبصرة [illegible]

مشؤمة ما أخذها أحد الا قتل ثم [illegible] لم يزل يقاتل الخوارج بدولاب [illegible]

بالآلات والدروع والجواشن فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى وذلك بعد

أن اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه

الله أيد عمرانا وطهره * وكان عمران يدعو الله في السحر

يدعوه سرا واعلانا ليرزقه * شهادة بيدى ملحادة غدر

ولى صحابته عن حر ملحمة * وشد عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع استشلتني أي أخذتني اليها واستنقذتني يقال استشلاه واشتلاه وفي الحديث ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها قال رؤبة

* ان سليمان اشتلانا ابن علي * وقول الناس أشليت كلبي أي أغريته بالصيد خطأ انما يقال آسدته وأشليته دعوته وقولها بيدى ملحادة مفعال من الالحاد كما تقول رجل معطاء يافتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل في راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر ولفعل باب نذكره في عقب هذه القصة اذا فرغنا من خبر هذه الوقعة والضرغامة من أسماء الاسد والهصر الذي يهصر كل شيء أي يثنيه قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

ولذكرنا الصفرية والازارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم نسب الى ابن الازرق بالازارقة والى أبي بيهس بالكنية المضاف اليها ونسب الى صفر ولم ينسب الى واحدهم ونسب الى ابن اباض فجعل النسب الى أبيه وهذا نذكره بعد باب فعل ۞ ومما قيل من الشعر في يوم دولاب قول قطري

لعمرك اني في الحياة لزاهد * وفي العيش ما لم ألق أم حكيم

من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذي بث ولا لسقيم

لعمرك اني يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت * طعان فتى في الحرب غير ذميم

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان لعبد القيس أول جدها * وأحلافها من يحصب وسليم

وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى * تعوم وظلنا في الجلاد نعوم

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا * يمج دما من فائظ وكليم

وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الأمهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

قوله ولو شهدتنا يوم دولاب فلم ينصرف دولاب فانما ذاك لانه أراد البلدة ودولاب أعجمي معرب وكل ما كان من أسماء الاعجمية نكرة بغير الالف واللام فاذا دخلته الالف واللام فقد صار معربا وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربي فدولاب فوعال مثل طومار وسولاف وكل شيء لا يخص واحدا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لان هذا الاسم يلحق كل ما كان على بنيته وكذلك جمل وجبل وما أشبه ذلك فان وقع الاسم في كلام العجم معرفة فلا سبيل الى ادخال الالف واللام عليه لانه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب وقوله غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت في مثل هذا الموضع لامات استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف لان ما بقي دليل على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سبق القيسي من ضعف حيلة * ولكن طفت علماء قلفة خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك بنو لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بلحرث وبلعنبر وبلهجيم

وقال آخر من الخوارج

يرى مَنْ جاء ينظر من دُجَيلٍ * شيوخَ الأزْدِ طافيةً لحاها

وقال رجل منهم

شَمِتَ ابنُ بدْرٍ والحوادثُ جمّةٌ * والجائرون بنافع بن الأزرقِ

والموتُ حتمٌ لا محالةَ واقعٌ * مَنْ لا يُصبِّحه نهاراً يَطْرُقِ

فلئن أمير المؤمنين أصابه * ريبُ المنون [illegible]

[illegible] ابنُ بدرٍ [illegible]

[illegible] وقعة [illegible]

لا تَجْزَعِي إن مُنْفِساً أهلكته * وإذا هلكتُ [illegible] اجزعي

[illegible] ذو الرمة

[illegible]

[illegible] به أولى

٥١ [illegible] باب فَعالِ [illegible]

[illegible] تنصرف في المعرفة وال[illegible]

[illegible] نحو [illegible] وكذلك [illegible] شيء من [illegible]

[illegible] تصرف في المعرفة [illegible] النكرة وأما نعت [illegible] رجل [illegible]

[illegible] وكذلك [illegible] لُبَدٌ [illegible] الكثير [illegible] قوله جل جلاله أهلكتُ

مالاً لُبَداً وإن كان الاسم على فُعَلَ معدولاً عن فاعل لم ينصرف إذا كان اسم رجل في المعرفة

وينصرف في النكرة وذلك نحو عُمَرَ وقُثَمَ لأنه معدول عن عامر وهو الاسم الجاري على الفعل

فهذا اسماء معرفته قبل نكرته فاذا أريد به مذهب المعرفة جاز أن تبنيه في النداء من كل فعلٍ لان المنادى مشار اليه وذلك قولك يا فسقُ ويا خبثُ تريد يا فاسق ويا خبيث وانما قالت بيدى ملحادة غُدَرِ في غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لما خرجه عن الاشارة فنعت به ملحادة وقال الحطيئة

أُطوّفُ ما أُطوّفُ ثم آوي ، الى بيتٍ قعيدتهُ لَكاعِ

[illegible]

٥٧ [illegible] باب [illegible]

[illegible]

القيسي [illegible] الثاني [illegible]

الى ابن الزبير زبيري لان ابن الزبير انما اراد معرفة بالزبير وكذلك النسب الى ابن [illegible]

والا في ذلك قالوا في النسب الى ابن الارزق ازرقي [illegible] ابي بيهس بيهسي فاذا قالوا [illegible]

فاما أرادوا الصُفر الالوان فنسبوا الى الجماعة وحقُّ الجماعة اذا نُسب اليها أن [illegible] النسب الى

واحدها كقولك مهلبي ومسمعي ولكن جعلوا أسفرا اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا
أسفري فينسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا الصفر اسما للجماعة كما تسمى
القبيلة بالاسم الواحد الا ترى أن النسب الى الانصار أنصاري لانه كان علما للقبيلة وكذلك
مدائني وتقول في النسب الى الأبناء من بني سعد أبناوي لانه اسم للجماعة فأما قولهم
الازارقة فهذا باب من النسب آخر وهو أن يسمى كل واحد منهم باسم الاب اذا كانوا اليه
ينسبون ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ويقولون جاءني النميرون والاشعرون جعل
كل واحد منهم نميرا وأشعر فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرت لك وقد تنسب الجماعة الى
الواحد على رأي أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا أزرقي لمن كان على رأي ابن
الازرق كما تقول تميمي وقيسي لمن ولده تميم وقيس ومن قرأ سلام على الياسين فانما يريد الياس
عليه السلام ومن كان على دينه كما قال * قدني من نصر الخبيبين قدي * يريد أبا خبيب
ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية اذا كان مجازهما واحدا في أكثر الامر على
لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العمران لابي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن ذلك قولهم الخبيبان
لعبد الله ومصعب وقد مضى تفسيره ۞ عاد القول في الخوارج قال والازارقة لا تكفر
أحدا من أهل مقالتها في دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلما فانهم يقولون المسلم حجة الله
والقاتل قصد لقطع الحجة ويروى أن نافعا مر بمالك بن مسمع في الحرب التي كانت بين الازد
وربيعة وبني تميم ونافع متقلد سيفا فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا
تنصرنا في حربنا هذه فقال لا يحل لي قال فما بال مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه
الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الاهواز فلما قتل من قتل ممن بحاضر من الخوارج
في أيام ابن الماحوز كرهت القتال وأقام حارثة بن بدر الغداني بازاء الخوارج يناوشهم على
غير ولاية وكان يقول ما عذرنا عند اخواننا من أهل البصرة ان وصل اليهم الخوارج ونحن

دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعودبة ويسألونه أن يولي واليا فكتب الى أنس بن مالك أن يصلي بالناس فصلى بهم أربعين يوما وكتب الى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولى أخاه عثمان محاربة الازارقة فخرج اليهم في اثنى عشر ألفا ولقيه حارثة فيمن كان معه وعبيد الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الاهواز فلما عبروا اليهم دجيلا نهض اليهم الخوارج وذلك قبيل الظهر فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثة حسبك بهؤلاء فقال لا جرم والله لا أتغدى حتى أناجزهم فقال له حارثة ان هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فابق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الا جبنا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلا وبلغ قتل عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع أحد بني مخزوم وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر فقدم البصرة فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فاراد أن يوليه فقال له رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلي وهو أكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظا * وحظك في البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فأقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز * وأعقبنا هذا الحجازي عثمان

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر * وأبرق والبرق اليماني خوان

فضحت قريشا غثها وسمينها * وقيل بنو تيم بن مرة عزلان

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم * بما قام فيه للعراقين انسان

اذا قيل من حامي الحقيقة أومأت * اليه معد بالأنوف وقحطان

قوله فأرعد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وانه لا [illegible]

[illegible]

* فقال [illegible] ارعد وأبرق [illegible]

والبرق [illegible]

[illegible]

ويجوز [illegible]

[illegible]

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه اقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب واصحابه [illegible]

حتى أتى دجيلا فجلس في سفينة وتبعه جماعة من اصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من [illegible]

وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد توسط حارثة فصاح به يا حارث ليس مثلي ضيع فقال

للملاح قرب فقرب الى جرف ولا فرضة هناك فطفر بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم

جميعا وأقام ابن الماحوز يجبي كور الاهواز ثلاثة أشهر ثم وجّه الزبير بن علي نحو البصرة فضجّ الناس الى الاحنف فأتى القباع فقال أصلح الله الامير ان هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلا قال فسموا رجلا فقال الاحنف الرأي لا يختلف ما أرى لها الا المهلب بن أبي صفرة فقال أو هذا رأي جميع أهل البصرة اجتمعوا الي في غد وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقد الجسر ليعبر الى ناحية البصرة فخرج أكثر أهل البصرة اليه وقد اجتمع للخوارج أهل الاهواز وكورها رغبة ورهبة فأتاه البصريون في السفن وعلى الدواب ورجالة فاسودت بهم الارض فقال الزبير لما رآهم أبى قومنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق فسمى قوم المهلب وسمى قوم مالك بن مسمع وسمى قوم زياد بن عمرو بن الاشرف العتكي فصرفهم ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذلك وعاد اليه من أشار بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها الا المهلب فوجّه الحرث اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رهقنا من هذا العدو وقد اجتمع أهل مصرك عليك وقال الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نر من يقوم مقامك فقال له الحرث وأومأ الى الاحنف ان هذا الشيخ لم يسمك الا ايثارا للدين وكل من في مصرك ماده عينه اليك راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك فقال المهلب لا حول ولا قوة الا بالله اني عند نفسي لدون ما وصفتم ولست آبيا ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الاحنف قل قال على أن أنتخب من أحببت قال ذاك لك قال ولي امرة كل بلد أغلب عليه قال وذاك لك قال ولي فيء كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذاك لك ولا لنا انما هو فيء المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك ان تعطي أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق منه على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال الناس القول ما قال

الاحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قد قبلت فكتبوا بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الاخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا مافى بيت المال فلم يكن الا مائتى ألف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار ان تجارتكم منذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع موادّ الاهواز وفارس عنكم فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لاصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمّر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحّوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الازد

ان العراق وأهله لم يخبروا * مثل المهلب فى الحروب فسلّموا

أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة * وأقل تهليلا اذا ما أحجموا

التهليل التكذيب والانهزام وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية

يدعى رجال للعطاء وانما * يدعى عطية للطعان الاجرد

وقال الشاعر

وما فارس الا عطية فوقه * اذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما

به هزم الله الازارق بعدما * أباحوا من المصرين حلا ومحرما

فأقام المهلب أربعين يوما يجبى الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد

بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فأسرع اليه الناس
رغبة فى مجاهدة الخوارج ولما فى الغنائم وللتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الازدى
وعبد الله بن رياح ومعاوية بن قرة المزنى وكان يقول يعنى معاوية لو جاء الديلم من ههنا
والحرورية من ههنا لحاربت الحرورية وأبو عمران الجونى وكان يقول كان كعب يقول
قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب اليهم الى نهر تيرى فتنحوا
عنه الى الاهواز وأقام المهلب يجبى ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر
الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن فى عسكرهم فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد
فخطب المهلب الناس فذكر من هناك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل
مقيما حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتتام اليه زهاء
عشرين ألفا ثم مضى يؤم سوق الاهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر
تيرى وفى مقدمته المغيرة بن المهلب حتى قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه
وثبت المغيرة بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران
فى ثقلة متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب
فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتابا يقول فيه بسم
الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا منذ خرجنا نؤم هذا العدو فى نعم من الله متصلة علينا ونقمة
من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى ان حللنا سوق الاهواز والحمد لله
رب العالمين الذى من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه الحرث هنيأ لك أخا
الازد الشرف فى الدنيا والذخر فى الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لاصحابه ما أجفى أهل
الحجاز أما ترونه يعرف اسمى واسم أبى وكنيتى وكان المهلب يبث الاحراس فى الامن كما يبثهم
فى الخوف ويذكى العيون فى الامصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم

البياتَ وان بعد منهم العدوُّ يقول احذَروا أن تُكادوا كما تَكيدون ولا تقولوا هزَمنا وغلبنا

فان القوم خائفون وجِلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيبا فقال يا أيها الناس

انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا

دماءكم فقاتلوهم على ما قاتَلَ عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم

الصابرُ المحتسبُ مسلم بن عُبَيس والعجِلُ المفرِّطُ عثمان بن عُبيد الله والمعصيُّ المخالفُ حارثة

ابن بدر فقُتلوا جميعا وقُتلوا فالقوهم بجِدٍّ وحَدٍّ فانما هم مهَنتكم وعبيدكم وعارٌ عليكم ونقصٌ

في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر

الصغرى فوجَّه عبيدُ الله بن بشير بن الماحوز رئيسُ الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل

أبي صُفرة من سبي الجاهلية في خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك

ابن أبي صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجَّه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد

خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكَّن الناس واستخلف بها ورجع الى أبيه وقد حلَّ

بسولاف والخوارج به فواقعهم وعلى بني تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب

المهلَّب يقال له عبدُ الرحمن الاسكافُ فجعل يحضُّ الناس وهو على فرس له صفراء فجعل يأتي

الميمنةَ والميسرةَ والقلبَ فيحضُّ الناس ويهوِّن أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل

من الخوارج لأصحابه [illegible] فحمل [illegible] منهم

على الاسكاف [illegible] ثم [illegible] فقاتلهم [illegible]

[illegible] والمهلب [illegible] ورحمه الله

[illegible]

[illegible] رحمة ورجل من الخوارج [illegible]

[illegible]

الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال جاص المهلب يومئذ جيصة وتقول الأزد بل كان يرد المنهزمة ويحمي أدبارهم فقال رجل من بني منقر بن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومي * وطرت على مواشكة درور

قوله مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال ذميل مواشك اذا كان سريعا قال ذو الرمة

اذا مارمينا رمية في مفازة * عراقيبها بالشيظمي المواشك

ودرور فعول من در الشيء اذا تتابع وقال رجل من بني تميم آخر

تبعنا الاعور الكذاب طوعا * يزجي كل أربعة حمارا

فيا ندمي على تركي عطائي * معاينة وأطلبه ضمارا

اذا الرحمن يسرلي قفولا * فحرق في قرى سولاف نارا

قوله الاعور الكذاب يعني المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل فخذل عنا فانما الحرب خدعة وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والأوس ائتيا بني قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا لي لحنا أعرفه ولا تفتا في أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل والقارة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الامر ما تحبون (قال الاخفش سألت المبرد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا في نهاية

العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد انهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشدّ به من أمر المسلمين ويضعف من أمر الخوارج فكان حىّ من الأزد يقال لهم النَّدَبُ اذا رأوا المهلب راغحا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كلُّ الفتى * لو كنت تصدُقُ ما تقول

فبات المهلب فى ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار فى أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلّة وما ذهب عنكم الا أهل الجُبن والضعف والطمع والطَّبَع فان يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش بن هلال فقال أنشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم الا ان يقاتلوك فان بالقوم جراحا وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه ومضى المهلب فى عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم يرَ منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به واستراح الناس ثلاثا وقال ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدلّ عاشقه

تبيت وأرض السُّوس بينى وبينها * وسُولاف رُستاقٌ حمته الأزارقه

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابةٌ * حروريةٌ أضحت من الدين مارقه

أجازت الينا العسكرين كليهما * فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقد ذكرنا الضمار ومعناه الغائب وأصله من قولك أضمرت الشئ أى أخفيته عنك ويقال مالٌ عينٌ للحاضر ومال ضمارٌ للغائب قال الأعشى

ومن لا تضيع له ذمّةٌ * فيجعلها بعد عينٍ ضمارا

وقال أيضا

تراناإذا أضمرتك البلا * دنجفى وتقطع منا الرحم

والفعل من هذا أضمر يضمر والمفعول به مضمر والفاعل مضمر والضمار اسم للفعل في معنى الإضمار وأسماء الأفعال تشرك المصادر في معانيها تقول أعطيته عطاء فيشرك العطاء الإعطاء في معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما في معناه والمصدر ينعت به الفاعل في قولك رجل عدل ورجل كرم ورجل نوم ويوم غم وغيم وينعت به المفعول في قولك رجل رضا وهذا درهم ضرب الأمير وجاء في الخلق تعني المخلوقين وقال رجل من الخوارج في ذلك اليوم

وكائن تركنا يوم سولاف منهم * أسارى وقتلى في الجحيم مصيرها

قوله وكائن معناه كم وأصله كاف التشبيه دخلت على أي فصارتا بمنزلة كم ونظيرذلك له كذا وكذا درهما إنما هي ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فإذا قال له كذا كذا درهما فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لأنه ضم العددين فإذا قال كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأي فخففت والتثقيل الأصل قال الله تعالى وكأي من قرية أمليت لها وهي ظالمة وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير وقد قرئ بالتخفيف كما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مدجج * يجيء أمام الألف يردي مقنعا

وقال آخر

وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى * أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

قال أبو العباس وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك الأصل وبعض العرب يقلب فيقول كيء يا فتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر

وكيء في بني دودان منهم * غداة الروع معروفا كمي

فأقام المهلبُ فى ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارجُ بسِلَّى وسِلَّبْرَى (قال الاخفش سَلَّى وسَلَّبْرَى بفتح السين فيهما موضعات بالاهواز وسِلَّى بكسر السين موضعٌ بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت

كانَّ غديرَهم بجَنُوب سِلَّى * نعامٌ قاقَ فى بلدٍ قفار) -

فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لاصحابه ما تنتظرون بعدوّكم وقد هزمتموهم بالامس وكسرتم حدَّهم فقال له واقدٌ مولى أبى صُفْرة يا أمير المؤمنين انما تفرّق عنهم أهلُ الضعف والجُبْن وبقى أهل النَّجْدة والقوة فان أصبتَهم لم يكن ظفرًا هنيأ لانى أراهم لا يُصابون حتى يُصيبوا فان غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافَقَ واقدٌ فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرًا لكم ثم توجّه الزبير بن علىّ الى عسكر المهلب لينظر ما حالُهم فأتاهم فى مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلبُ أصحابه بالتحارُس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبيةٍ صحيحة فالتقوا بسلّى وسلبرى فتصافُّوا فخرج من الخوارج مائةُ فارس فركزوا رماحهم بين الصفّين واتّكئوا عليها وأخرج اليهم المهلبُ عدادَهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون الا للصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى مُعسكرِهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعةً ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلبُ فطعنه فحمل الخوارجُ بأجمعهم كما صنعوا يوم سُولافَ فضعضعوا الناسَ وفُقِدَ المهلب وثبتَ المغيرةُ فى جمعٍ أكثرُهم أهلُ عُمانَ ثم نجمَ المهلبُ فى مائة فارس وقد غمس كفّاه فى الدم وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قزًّا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهثُ وذلك فى وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين فلما كان الغدُ غاداهم وقد كان وجّه بالامس رجلا من طاحية بن سُود ابن مالك بن فهم بن الأزد يردّ المنهزمين فمرّ به عامر بن مسمع فردّه فقال ان الامير أذن لى فبعث

الى المهلب فأعلمه فقال دَعْهُ فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجُبْن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فعاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لاصحابه ما بكم من قلة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجلٌ من كِنْدة يقال له عيّاشٌ وقال المهلب لاصحابه أعِدّوا مخالىَ فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانها تَصُدُّ الفارس وتَصْرَعُ الراجلَ ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجدّ والصبر ويطمعهم فى العدوّ ففعل حتى مرّ ببنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فضربوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف فى الازد فقال أصلح الله الامير أعفنى من أمّ كيسان والرُّكْبة تسميها الازد أم [illegible] [illegible] أصحاب المهلب [illegible] حملة شديدة فجهد الخوارج فنادى مناديهم ألا ان المهلب قد قُتِل فركب المهلب بِرْذَوْنا قصيرا أشهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفى القَباء وما يشعر بها وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن [illegible] [illegible] الناس مع الليل فصاح المهلب بابنه المُغيرة تقدّمْ ففعل [illegible] [illegible] [illegible] رجل من [illegible] تمر بمقصد [illegible] يا بنى تميم آمركم فتعصوننى فتقدم وتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع الليل [illegible] بن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه [illegible] يطوف فى [illegible] عليه برجل من جَرْم [illegible] [illegible] [illegible] الخوارج [illegible] [illegible] [illegible] من المسلمين [illegible] وأقام المهلب فى عسكره [illegible] حتى اذا كان نصفُ الليل وجّه رجلا من اليَحْمَد (قال الاخفش اليحمدُ من الازد [illegible] من بطن منهم يقال لهم الفَراهيدُ والفُرْهودُ فى الاصل الحَمَلُ فان نسبتَ الى الحى قلت فَراهيدىٌّ وان نسبتَ الى الحُمْلان قلت فُرْهوديٌّ لا غير) فى عشرة فصاروا الى عسكر

الخوارج فاذا القوم قد تحملوا الى أرّجان فرجع الى المهلب فأعلمه فقال أنا لهم الساعة أشدّ خوفا فاحذروا البيات قال أبو العباس ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لاصحابه يوما ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فان كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويروى أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابن الماحوز فيهم ففي ذلك يقول رجل من الخوارج

بسلّى وسلّيرى مصارع فتية * كرام وجرحى لم توسّد خدودها

وقال آخر

بسلى وسليرى مصارع فتية * كرام وعقرى من كميت ومن ورد

وقال رجل من موالي المهلب لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبت أصل أذنه فصرعته ثم أخذت الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثا وقال رجل من الخوارج

أتانا بأحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الأبطال ويحك بالحجر

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسليرى وقتل ابن الماحوز

ويوم سلى وسليرى أحاط بهم * منا صواعق ما تبقي ولا تذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلا * كما تجدّل جذع مال منقعر

قال أبو العباس تقول العرب صاعقة وصواعق وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله أصدق القائلين كأنهم أعجاز نخل منقعر ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمّتاه فصاح به المهلب لا كثّر الله بمثلك المسلمين فضحك

الخارجي وقال

أُمُكَ خيرٌ لكَ مني صاحبا * تَسقيكَ مَحضاً وتَعُلُّ رائبا

وكان المغيرةُ بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس على قربوس سرجه وحَمَلَ من تحتها فبراها بسيفه وأثَّرَ في أصحابها حتى تخرمت الميمنةُ من أجله وكان أشدُّ ما تكون الحرب أشدَّ ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ماشهد معي حربا قط الا رأيتُ البُشرى في وجهه وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم

فان تكُ قتلى يوم سلى تتابعتْ * فكم غادرتْ أسيافُنا من قُماقم

غداةَ نكُرُّ المشرفيَّةَ فيهم * بسُولافَ يومَ المأزِقِ المُتلاحِمِ

المأزق هو يوم تضايق الحرب والمتلاحمُ نعت له والمشرفيةُ السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشام وهو الموضع الملقب مُوتةَ الذي قُتِلَ به جعفرُ بن أبي طالب وأصحابه (قال الاخفش كان المبرد لايهمز موتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز) قال أبو العباس فكتب المهلب الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الازارقة المارقة بحدٍّ وجدٍّ فكانتْ في الناس جَولةٌ ثم ثاب أهلُ الحِفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدانٍ شدادٍ وسيوفٍ حدادٍ فأعقب الله خيرَ عاقبةٍ وجاوز بالنعمةِ مقدارَ الأمل فصاروا دَرِيَّةَ رماحنا وضرائبَ سيوفنا وقتل اللهُ أميرهم ابنَ الماحوز وأرجو أن يكون آخرُ هذه النعمة كأوّلها والسلام فكتب اليه القُباعُ قد قرأتُ كتابكَ يا أخا الأزدِ فرأيتكَ قد وَهَبَ اللهُ لكَ شرف الدنيا وعزَّها وذَخَرَ لكَ ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرَها ورأيتكَ أوثقَ حُصونِ المسلمين وهادَّ أركانِ المشركين وأخا السياسةِ وذا الرياسةِ فاستدِمِ اللهَ بشكره يُتمم عليكَ نعمَهُ والسلام وكتب اليه أهل البصرة يهنئونه ولم يكتب اليه الاحنف ولكن قال أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لكَ على ما فارقتكَ عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في

آضعافها كتاب الاحنف فلما قرأه قال لاصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حمّلني اليك رسالة وأبلغه فقال هذه أحبُّ الىّ من هذه الكتب واجتمعت الخوارج بأرّجان فبايعوا الزبير ابن علي وهو من بني سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بيّنا فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيصٌ وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزيٌ وان يُصَب منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خيرٌ مما خلف وقد أصبتم منهم مسلم بن عُبَيس وربيعا الاجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر وأشجيتم المهلّب وقتلتم أخاه المُعارك والله يقول لاخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سُلّى كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سُولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تُغلبُنّ على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلَفون في الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمّل [illegible] اربّك [illegible] المهلب [illegible] المهلب [illegible] [illegible] في [illegible] من غموض الارض تقرب من عسكره [illegible] المهلب [illegible] يطوف بعسكره و[illegible] سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كمينا فبعث عشرة [illegible] على [illegible] فلم [illegible] تطلعوا [illegible] وكانت الشمس [illegible] فقال [illegible] في [illegible] فاني [illegible] الزبير [illegible] المهلب تضرب الى ناحية [illegible] ثم [illegible] أرّجان وقد جمع جموعا وكان المهلب [illegible] كاني [illegible] وقد جمع جموعا فلا ترهبوهم فتحبث قلوبكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاءه من ارجان [illegible] مستعد [illegible] آخذا بأفواه الطرق فخار [illegible] ظهر [illegible] طمعوا بما في ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رياح بن يربوع

سقى الله المهلب كل غيث * من الوسميّ [illegible]

فــاوهن المهلب يوم جاءت * عوابس خيلهم تبغي الغوارا

وقال المهلب يومئذ ما وقعت في أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامي رجالا من بني الهجيم ابن عمرو بن تميم يجالدون وكأن لحاهم أذناب العقاعق وكانوا صبروا معه في غير موطن وقال رجل من بني تميم من بني عبشمس بن سعد

ألا يا من لصب مستجن * قريح القلب قد صحب المزونا

لهان على المهلب ما لقينا * اذا ما راح مسرورا بطينا

يجر السابري ونحن شعث * كأن جلودنا كسيت طحينا

المزون عمان وهو اسم من أسمائها قال الكميت

فأما الأزد أزد أبي سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال جرير

وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

وحمل يومئذ الحريش بن هلال على قيس الاكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدق صلبه وقال

قيس الاكاف غداة الروع يعلمني * ثبت المقام اذا لاقيت أقراني

وقد كان فل المهلب يوم سلى وسليرى صاروا الى البصرة فذكروا أن المهلب أصيب فهم أهل البصرة بالنقلة الى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك يقول الاحنف بن قيس البصرة بصرة المهلب وقدم رجل من كندة يقال له فلان ابن أرقم فنعى ابن عم له وقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مكن رمحه من صلبه فقدم المنعي فقيل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لما أحسست برمحه بين كتفي صحت البقية فرفعه عني وتلا بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ووجه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الازد برأس

عبيد الله بن بشير بن الماحوز الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع فلما صار بكربج دينار لقيه حبيب وعبد الملك وعلى بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر ولا يعرفهم فقال قتل الله المارق ابن الماحوز وهذا رأسه معى فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولى الحجاج دخل عليه على بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخبر فقتله ووهب ابنه الازهر وابنته لاهل الازدى المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة فوهبوهما لها فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج فى ولاية الحرث القباع حتى عزل الحرث وولى مصعب بن الزبير فكتب اليه أن اقدم على واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم انى قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقنى اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك لم تكن كابيك فانك كاف لما وليت فشمر واتزر وجد واجتهد ثم شخص المصعب الى المذار فقتل أحمر بن شميط ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبي عبيد وقال للمهلب أشر على برجل أجعله بينى وبين عبد الملك فقال أذكرك واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمى أو زياد بن عمرو ابن الاشرف العتكى أو داود بن قحذم فقال أو تكفينى قال أكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فشخص المهلب اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفى أمر الخوارج ويفد الى أخيه فشاور الناس فقال قوم ول عبيد الله بن أبي بكرة وقال قوم ول عمر بن عبيد الله بن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الامر بينهم فقال قطرى بن الفجاءة المازنى ان جاءكم عبيد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مضيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه ولملكه وبطبيعة لم أر مثلها لاحد فقد شهدته فى وقائع فما نودى فى القوم

الحرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان ردّ المهلب فهو من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمدّه اذا أرسلتموه يرسله اذا مددتموه لا يبدؤكم الا أن تبدؤه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم فولّى عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن علي السليطي فشخص اليهم فقاتلهم وألحّ عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولّى عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمعوا له وأعدّوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الأزدي ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هنالك فلما كان ذات ليلة بيّته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشيء فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلّم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفي هذا العدو ولكنكم تقولون قرشي حجازي بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرا ثم زحف الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر وأمه من بني سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قتل فقال قطري لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمان بن عباد فصاح به يا نعمان أين ابني فقال احتسبه فقد استشهد رحمه الله صابرا مقبلا غير مدبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطري فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانتهبها

فلما استقروا قال لهم قطرى أما أشرت عليكم بالانصراف فجعلوا وجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم فى ذلك الوقت الفزر بن مهزم العبدى فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطرى فقال انى مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فأجاب اليها فخلوا عنه ففى ذلك يقول فى كلمة له

وشدوا وثاقى ثم ألجوا خصومتى * الى قطرى ذى الجبين المفلق

وحاججتهم فى دينهم وحججتهم * وما دينهم غير الهوى والتملق

ثم ان [illegible] تكانفوا (قال الاخفش تكانفوا أعان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم فى كنف بعض) وعادوا الى ناحية [illegible] فسار اليهم عمر وكتب الى مصعب أما بعد فانى قد لقيت [illegible] فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا [illegible] عنهم [illegible] فيستهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار اليهم ومعه [illegible] تعاونوا فألح عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمد له [illegible] بسيوفهم وفى يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم [illegible] اليه قطرى على فرس [illegible] وعمر على مهر فاستعلاه قطرى بقوة فرسه [illegible] بجمعه به مجاعة فأسرع اليه فصاحت الخوارج بقطرى يا أبا نعامة ان عاد [illegible] فانحط قطرى عن قربوسه فطعنه مجاعة وعلى قطرى درعان فهتكهما وأسرع [illegible] فى رأس قطرى فكشط عنه جلدة ونجا وارتحل القوم الى اصبهان فأقاموا برهة [illegible] الى الاهواز وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصطخر فأمر مجاعة فجبى الخراج أسبوعا فقال كم جبيت قال تسعمائة ألف فقال هى لك فقال يزيد بن الحكم الثقفى لمجاعة

ودعاك دعوة مرهق فأجبته * عمر وقد نسى الحياة وضاعا

فرددت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه أوزاعا

وعزل مصعب بن الزبير وولى حمزة بن عبد الله بن الزبير فوجه المهلب اليهم فحاربهم فأخرجهم عن الاهواز ثم رد مصعب والمهلب بالبصرة والخوارج بأطراف أصبهان والوالى عليها عتاب بن ورقاء الرياحي فأقام الخوارج هنالك شيأ يجبون القرى ثم أقبلوا الى الاهواز من من ناحية فارس فكتب مصعب الى عمر بن عبيد الله ما أنصفتنا أقمت بفارس تجبي الخراج ومثل هذا العدو يحاربك والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج الى السوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحمر طيئ وكان شجاعا وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ففي ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان أحمر طيئ * بساباط لم يعطف عليه خليل

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها وواليها الحرث بن عبد الله القباع فتثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمره ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى أتى النخيلة ففي ذلك يقول الشاعر

ان القباع سار سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها ثم قربوا أخرى وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهما فقطعه القباع وهو في ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علام تقتلونني فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت والناس يتفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دباها ودبيرى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول للناس في كل يوم اذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم

واصبروا فان أول الحرب التراى ثم اشراع الرماح ثم السلة فثكلت رجلا أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما أكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فتى يقع الفعل وقال الراجز

ان القباع سار سيرا ملسا * بين دباها ودبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم وكان شأن القباع التحصن منهم ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن على أنا ابن عمك ولست أرالك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء وانما سمى الحرث بن عبد الله القباع لانه ولى البصرة فغير على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير فى مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا لقباع والقباع الذى يخفى أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال للقنفذ انقبع وذلك أنه يخنس رأسه وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطرى ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع فى أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم فاماله واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن على خرج الى الرى وبها يزيد بن الحرث بن رويم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد بن رويم ونادى يومئذ ابنه حوشبا ففر عنه وعن أمه لطيفة وكان على بن أبى طالب عليه السلام دخل على الحرث بن رويم يعود ابنه يزيد فقال له عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة فقتلت معه يومئذ

فى ذلك يقول الشاعر

مواقفنا فى كل يوم كريهة * أسر وأشفى من مواقف حوشب

دعاه يزيد والرماح شوارع * فلم يستجب بل راغ روغ ثعلب

ولو كان شهم النفس أو ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

وقدمر خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر

نجى حليلته وأسلم شيخه * نصب الأسنة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبى بردة يعيره بأمه وبلال مشدود عند يوسف بن عمر يا ابن حوراء فقال بلال وكان جلدا ان الأمة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة وزعم الكلبى أن بلالا كان جلدا حيث ابتلى قال الكلبى ويعجبنى أن أرى الاسير جلدا قال وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذى أزال سلطانك وهد ركنك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال له بلال انما طال لسانك يا خالد لثلاث معك هن على الامر عليك مقبل وهو عنى مدبر وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت فى طينتك وأنا فى هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لانه يقال ان أصل آل الاهتم من الحيرة وأنهم أشابة دخلت فى بنى منقر من الروم ثم انحط الزبير بن على على أصفهان فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحى سبعة أشهر وعتاب يحاربه فى بعضهن فلما طال به الحصار قال لا صحابه ما تنتظرون والله ما تؤتون من قلة وانكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقى مع هذا الحصار الا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشى الى قرنه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارون وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليخرج معى فخرج فى ألفين

وسبعمائة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم ير الخوارج منهم مثله فعقروا منهم خلقا وقتلوا الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول الشاعر

ويوم يحيى تلافيته * ولولاك لاصطلم العسكر

قال أبو العباس نفسر قوله ولولاك في آخر هذا الخبر ان شاء الله وقال رجل من بني ضبة في تلك الوقعة

خرجت من المدينة مستميتا * ولم أك في كتيبة يا مينا

أليس من الفضائل أن قومي * غدوا مستلئمين مجاهدينا

ويزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح ويكنى أبا هريرة اذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزبير بن علي

يا ابن أبي الماحوز والأشرار * كيف ترون يا كلاب النار

شد أبي هريرة الهرار * يهركم بالليل والنهار

ألم تروا جيا على المضمار * تمسي من الرحمن في جوار

فغاظهم ذلك منه فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا نادوهم ما فعل الهرار فيقولون ما به من بأس حتى أبل من علته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بي بأسا فصاحوا به قد كنا نرى أنك لحقت بأمك الهاوية في النار [illegible] قال أبو العباس نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله ولولاك ومنه [illegible] ألم تروا جيا ومنه قوله يهركم بالليل والنهار أما قوله لولاك فان سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلت لولاك

فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة وضميرا لنصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاى ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رمانى وأعطانى قال يزيد بن الحكم الثقفى

وكم موطن لولاى طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوى

النيق أعلى الجبل وجرم الانسان خلقه فيقال له الضمير فى موضع ظاهره فكيف يكون مختلفا وان كان هذا جائزا فلم لا يكون فى الفعل وما أشبهه نحو انّ وما كان معها فى الباب وزعم الاخفش سعيد أن الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوى الخفض والنصب فيقال فهل هذا فى غير هذا الموضع قال أبو العباس والذى أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنت كما قال الله عز وجل لولا أنتم لكنا مؤمنين ومن خالفنا يزعم أن الذى قلناه أجود ويدّعى الوجه الآخر فيجيزه على بعده وأماجىّ فالاجود فيها أن تقول

* ألم تر واجىّ على المضمار * فلا تنون لانها مدينة والاسم أعجمى والمؤنث اذا سمى باسم أعجمى على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جور وحمص وما كان مثل ذلك ولو كان اسما لمذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما للبلد وان لم تصرفه جعلته اسما للبلدة أو للمدينة ألا ترى أنك تصرف نوحا ولوطا وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لانك تصرف قدما لو سميت به رجلا فالاعجمى بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحد وأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يفعُل نحو شدّه يشدّه وزرّه يزرّه وردّه يردّه وحلّه يحلّه وجاء منه حرفان على يفعِل ويفعُل نحو ما جاء هرّه يهِرّه اذا كرهه [illegible] يهرّه أجود [illegible] أجود ومن قال حبيته قال يحبه لا غير وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعونى يحبكم الله وذلك أن بنى تميم تدغم فى موضع الجزم وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين ۞ رجع [illegible] ثم

ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عبيدة بن هلال فقال أدلكم على من هو خير لكم مني من يطاعن في قبل ويحمي في دبر عليكم قطري بن الفجاءة المازني فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نصير الى الاهواز فان خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الاهواز ثم ترفعوا عنها الى ايذج وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجميرا فقال لاصحابه ان قطريا قد أطل علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطري يمم نحو كرمان فأقام المهلب بالاهواز ثم كر قطري عليه وقد استعد فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجنن فحاربهم المهلب فنفاهم الى رامهرمز وكان الحرث بن عميرة الهمداني قد صار الى المهلب مراغما لعتاب بن ورقاء يقال انه لم يرضه عن قتاله الزبير بن علي وكان الحرث بن عميرة هو الذي تولى قتله وماص اليه أصحابه ففي ذلك يقول أعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها * لابن الليوث الغر من قحطان

للفارس الحامي الحقيقة معلما * زاد الرفاق الى قرى نجران

الحرث بن عميرة الليث الذي * يحمي العراق الى قرى كرمان

ود الازارق لو يصاب بطعنة * ويموت من فرسانهم مائتان

(ويروى زاد الرفاق وفارس الفرسان) وتأويله أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفي ذلك السفر يحيى بن أبي حفصة فقال لابيه زودني فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا * ألا ان يحيى نعم زاد المسافر

فما تنكر الكوماء ضربة سيفه * اذا أرملوا أو خف ما في الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين من قرعار منصوبا فالرفع على العطف ويدخل في التمني والنصب على الشرط والخروج من العطف وفي مصحف ابن مسعود ودّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنوا والقراءة فيدهنون على العطف وفي الكلام ودّ لو تأتيه فتحدّثُه وان شئت نصبت الثاني وخرج مصعب بن الزبير الى باجميراء ثم أتى الخوارج خبر مَقْتَله بِمَسْكِنَ ولم يأت المهلب وأصحابه فتواقفوا يوما على الخندق فناداهم الخوارجُ ما تقولون في المصعب قالوا امامُ هُدًى قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ضالٌّ مُضِلٌّ فلما كان بعد يومين أتى المهلبَ قَتْلُ مُصْعَب وأن أهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارجُ ما تقولون في مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا امامُ هُدًى قالوا يا أعداء الله بالامس ضالٌّ مُضِلٌّ واليوم امام هُدًى يا عَبِيدَ الدنيا عليكم لعنة الله ووَلِيَ خالدُ بن عبد الله بن أسيد فقَدِمَ فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأُشير عليه بأن لا يفعل وقيل له انما أَمِنَ أهلُ هذا المصر بأنّ المهلب بالاهواز وعُمَرَ بن عبيد الله بفارس فقد نُحِّيَ عمرُ وان نَحَّيْتَ المهلب لم تأمن على البصرة فأبى الا عَزْلَهُ فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الاهواز فأشخصه فلما صار بكُرْبَجِ دينار لقيه قطريّ فمنعه حَطَّ أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطرى بازائه وخَنْدَقَ على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس أحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شِقِّ نهر تِيرَى واتبعه قطريٌّ فصار الى مدينة نهر تيرى فبنى سُورَها وخندق عليها فقال المهلبُ لخالد خَنْدِقْ على نفسك فانى لا آمَنُ عليك البياتَ فقال يا أبا سعيد الامر أعجل من ذلك فقال المهلبُ لبعض ولده انى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خَنْدِقْ علينا فخندق المهلب وأمر بسُفُنه فَفُرِّغَتْ وأبى خالدٌ أن يفرّغ سُفُنَهُ فقال المهلب لفَيْرُوزَ حُصَين صِرْ معنا فقال يا أبا سعيد الحَزْمُ ما تقول غير أنى أكره أن أفارق أصحابى قال فكُنْ بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبدُ الملك كتب الى بِشْر بن مروان يأمره أن يُمِدَّ خالدا

بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ففعل فقدم عليه عبد الرحمن فأقام قطريّ يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لمولًى لابي عيينة انتبذ الى ذلك الناوس فبت عليه فى كل ليلة فتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فاعجل الينا فجاءه ليلة فقال قد تحرّك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعدّ قطريّ سفنا فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج فى أدبارها حتى خالطهم فجعل لا يمرّ برجل الا قتله ولا بدابة الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه فأمر المهلب يزيد فخرج فى مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين فى مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثّر أثرا جميلا فصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين فى الخندق فأخذ بيده رجل من الازد فاستنقذه فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم وأصبح عسكر خالد كأنه حرّة سوداء فجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فان لم تفعل عادوا اليك فقال اكفنى أمر الخندق فجمع له الاخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا الساحر المزونى لكان الله قد دمّر عليكم وكانت الخوارج تسمّى المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم فقال أعشى همدان لابن الاشعث فى كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تنسه * ليس الثنا والذكر بالدائر

وقد ذكرنا فى قصر الممدود من أن مدّ المقصور لا يجوز ما يغنى عن اعادته ❁ ونذكر فيروز حصين لما مرّ من ذكره كان فيروز حصين رجلا جيد البيت فى العجم كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصينا وهو حصين بن عبد الله العنبريّ من بنى العنبر بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ... بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروى الرواة

أن رجلا من العرب كانت أمه فتاة فقاول بني عم له فسبوه بالعجمية ومرّ فيروز حصين فقال
هذا خالي فمن منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث
الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم ومن مآثره المعروفة أن
الحجاج لما واقف ابن الأشعث برستقاباذ نادى منادي الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة
آلاف درهم فخرج فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا
فيروز حصين وقد عرفتم مالي ووفائي من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف فقال الحجاج والله لقد
تركني أكثر التلفت واني لبين خاصتي فأتي به الحجاج فقال له أأنت الجاعل في رأس أميرك
مائة ألف قال قد فعلت فقال والله لأمهدنك ثم لأحملنك أين المال قال عندي فهل الى الحياة
من سبيل قال لا قال فأخرجني الى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلب أحدهم يرق علي ففعل
الحجاج فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج
فقال له شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد في القصب الفارسي ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل
والملح فما تأوه حتى مات ۞ ومضى قطري لما انصرف خالد الى البصرة فأقام قطري
يكرمان أشهرا ثم قصد لفارس وخرج خالد الى الأهواز وندب الناس رجلا رجلا فجعل يذكر
المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر اني قد وليت أخي قتال الأزارقة فولى أخاه
عبد العزيز واستخلف المهلب على الأهواز في ثلثمائة ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفا
والخوارج بدرابجرد فجعل عبد العزيز يقول في طريقه يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر
لا يتم الا بالمهلب فسيعلمون قال مصعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الأهواز جاءني كردوس
حاجب المهلب فقال أجب الأمير فجئت الى المهلب وهو في سطح وعليه ثياب هروية فقال
يا مصعب أنا ضائع كأني أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند
معي فابعث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به الي فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان

فقلت أصحب عسكر عبد العزيز وأكتب إلى بخبر يوم يوم فجعلت أورده على المهلب فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفه فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغي أن تنزل أيها الأمير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الأمر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستتم النزول حتى ورد عليهم سعد الطلائع في خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فإنا على غير تعبية فأبى فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد جعل على بني تميم عبس بن طلق الصريمي الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل ابن مسمع القيسي وعلى شرطته رجلا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم وكان لهم في بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع ثم ترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعي صاحب الشرطة وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسرى لا تحصى فقذفوهم في غار بعد أن شدوهم وثاقا ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه وقال رجل حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وإن ثلاثين رجلا لـ[illegible]ـونه بأسيافهم وما تحيك في جسده يقال ما أحال فيه السيف وما يحيك فيه وما [illegible] الأمر في صدري وما حكى في صدري وما احتكى في صدري ويقال حاك الرجل في مشيته يحيك إذا تبختر ونودي على السبي يومئذ على أم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائة فكاد يأخذها فشق ذلك على قطري وقال ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا إن هذه فتنة فوثب إليها أبو الحديد العبدي فقتلها فأتي به قطري فقال يا أبا الحديد مهيم فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا

فى هذه المشركة خشيت عليهم الفتنة فقال قطرى قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلت * بحمد الله سيف أبي الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا * على فرط الهوى هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنصل سيف * رقيق الحد فعل فتى رشيد

قوله أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوت قال الشاعر

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الامر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت يا رسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط العرب تقول نواة فتعنى بها خمسة دراهم كما تقول النش لعشرين درهما والأوقية لاربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى وكان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا وكان يحب أن يلقاه فى تلك الحروب مبارزة فلحقه عمرو القنا وهو منهزم فضحك عمرو وقال متمثلا

تمنانى ليلقانى لقيط * أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدى وكان عمرو القنا يكنى أيضا أبا المصدى وهذا البيت الذى تمثل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى يقوله يعنى لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك يريد يا عامر فرخم واغا يريد الحى تعجبا أى لكم أعجب من تمنيه للقائى فدعا بنى عامر بن صعصعة وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم لا ابن معاوية وأنهم نافلة فى قيس ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم

مع بني تميم يوم جبلة ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه في باب النداء

الذي معناه معنى التعجب وشبيه به قول الصلتان العبدي

فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله * جرير ولكن في كليب تواضع

على معنى قوله فلله دره شاعراً وكان العلاء بن مطرف قد جمع معه امرأتين له احداهما من

بني ضبة يقال لها أم جميل والاخرى بنت عمه وهي فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص

بهما يوماً منذ وجد الضبية أولاً ففي ذلك يقول

ألست كريماً اذ أقول لفتيتي * تعوا احملوها قبل بنت عقيل

ولو لم يكن عودي نضاراً لأصبحت * تجرّ على امتنين أم جميل

قال الصقعب بن يزيد بعثني المهلب لآتيه بالخبر حين نزلت الخوارج أربعة على فرس اشتريته

بثلاثة آلاف درهم فلم أحس خبراً فسرته نهاراً الى أن أمسيت فلما أظلمنا سمعت كلام

رجل عرفته من الجهاضم فقلت ما وراءك فقال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما

كان من آخر الليل اذا أنا بنحو خمسين فارساً معهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء

عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الامير لا يكبرن عليك ما كان فانك كنت

في شرذمة وأخبته قال لي أو كنت معنا قلت لا ولكن كأني شاهد أمرك قال كأنك كنت

معنا قلت أرسلني المهلب لآتيه بخبرك ثم تركته وأقبلت الى المهلب فقال لي ما وراءك قلت

ما يسرك قد هزم وقتل جيشه فقال ويحك وما يسرني من هزيمة رجل من قريش وقتل جيش

من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أو سرك فوجه رجلاً الى خالد يخبره قال الرجل فلما

أخبرت خالداً قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبني وقال لي خالد والله لقد هممت

أن أضرب عنقك قلت أصلح الله الامير ان كنت كاذباً فاقتلني وان كنت صادقاً فأعطني

مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئسما أخطرت به دمك فبرحت حتى دخل بعض الفل

وقدم عبد العزيز سوق الاهواز فاكرمه المهلبُ وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تحسَّسْ عن الاخبار فان أحسست بخبر الازارقة قريبا منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حَبيبٌ مقيما والازارقة تُدنو منه حتى بلغوا قنطرة أَرْبُكَ فانصرف الى البصرة على نهر تِيرَى فلما دخلها أُعلِمَ خالدٌ فغضب عليه واستتر حبيب في بني [illegible] صعصعة فتزوج هنالك في استتاره الى لابنةَ أم عَبَّاد بن حبيب وقال الشاعر لخالد [illegible] أي يخطئه

بَعَثتَ غلاما من قريش فَروقةً ... وتترك ذا الرأي الاصيل المهلَّبا
أَبَى [illegible] واختار [illegible] أُحكِمَت ... قُواه وقد ساس الامورَ وجرَّبا

وقال الحارث بن خالد المخزومي

فرَّ عبدُ العزيز لما [illegible] الابطال بالسفح نازلوا قطريّا

ويروى

فرَّ عبدُ العزيز اذ [illegible] ... [illegible] نازلا [illegible]
عاهد الله ان نجا ملمنايا ... [illegible]
يسكن [illegible] ... [illegible]
حيث لا يشهد [illegible] ولا يسمع يوما لكر خيل دويا

قوله اذ [illegible] الاصل [illegible]

وكلُّ خليل راءني [illegible] ... من اجلك هذا هامةُ اليوم أو غدِ

والقلب كثير في كلام العرب وسنذكر منه شيأ في موضعه ان شاء الله وقوله ملمنايا يريد من المنايا ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذا لقيت لام المعرفة ظاهرة

فيقولون في بني الحرث وبني العنبر وما أشبه ذلك بلحرث وبلعنبر وبلهجيم كما يقولون
علماء بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها سوميا العرب تنسب الى
الحرم فيقولون حرمي وحرمي على قولهم حرمة البيت وحرمة البيت وقال النابغة الذبياني

من قول حرمية قالت وقد رحلوا * هل في مخفيكم من يشترى أدما

والخل ههنا موضع وأصله الطريق في الرمل وكتب خالد الى عبد الملك بعذر عبد العزيز
وقال للمهلب ما ترى عبد الملك صانعا بي قال يعزلك قال أتراه قاطعا رحمي قال نعم أتته هزيمة
أمية أخيك من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب
عبد الملك الى خالد . أما بعد فاني كنت حددت لك حدا في أمر المهلب فلما ملكت أمرك
نبذت طاعتي واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الازارقة فقبح
الله هذا رأيا أتبعث غلاما غرا لم يجرب الحروب وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس
الحروب تشغله بالجباية أما لو كافأتك على قدر ذنبك لاتاك من نكيري ما لا بقية لك معه
ولكن تذكرت رحمك فلفتتني عنك وقد جعلت عقوبتك عزلك وولى بشر بن مروان وهو
بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك واياه مروان بن الحكم وان
خالدا لم يجمعه وأمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الازارقة فانه سيد بطل
مجرب فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل فشق عليه ما أمره في المهلب وقال
والله لأقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان
يريد البصرة فكتب موسى بن نصير الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على
بغل فسلم عليه في غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك
أيها الامير وهو شاك فهم بشر أن يولي حرب الازارقة عمر بن عبيد الله فقال له أسماء بن
خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعي اكتب الى أمير المؤمنين

وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يغني غناءه ووجه بالكتاب
مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعي فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله بن
حكيم فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الازارقة قال المهلب قال انه عليل قال
ليست علته بمانعته قال عبد الملك أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد فكتب يعزم عليه أن يولي
المهلب فوجه اليه قال المهلب أنا عليل ولا يمكنني الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين اليه
فجعل ينتخب واعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت
الخوارج الاهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار
الى شهارطاق فأتاه شيخ من بني تميم فقال أصلح الله الامير ان سني ما ترى فهبني لعيالي قال
على أن تقوم الى الامير اذا خطب فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس
أشرافنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال لا شيء وأعطى
الرجل ... ألف درهم على أن يأتي بشرا فيقول له أيها الامير أعن المهلب بالشرطة
والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال نصيحة للامير والمسلمين ولا أعود
الى مثلها فأمده بالشرطة والمقاتلة وكتب بشر الى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن
ابن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا الى المهلب فلما أتاه الكتاب
بعث الى عبد الرحمن بن مخنف الازدي فعقد له واختار له من كل ربع ألفين فكان على ربع
أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس
الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث الكندي وعلى مذحج وأسد
زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي
فيك وثقتي بك فكن عند ظني انظر هذا المزوني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج
عبد الرحمن بن مخنف وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخا

من مشايخ أهلي وسيداً من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحس الازارقة بدنوه منهم انكشفوا
عن الفرات فاتبعهم المهلب الى سوق الاهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رامهرمز فهزمهم
منها فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه وهو ابن احدى
وعشرين سنة فلما صار القوم بفارس وجه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صبح أيها
الأمير ليس برأي قتل هذه الاكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولهم وكل بهم
فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برامهرمز الاشهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند
على ابن مخنف توجه الى محمد بن اسحق بن الاشعث وابن زحر واستحلفهما أن لا يبرحا فحلفا له
ولم يفيا [illegible] حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل
البصرة [illegible] الكوفة [illegible]
[illegible]
[illegible] فيه بالله جهدا لئن لم
[illegible] أحد منهم الاقتال فجاء مولاه فجعل يقرأ
[illegible] الا رجل وجد ما [illegible] من شأنها فقال له
[illegible]
[illegible] الكوفة [illegible]
[illegible] ثم نزل المهلب ومن معه [illegible]
[illegible] العراق فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك
في سنة خمس وسبعين فخطبهم [illegible] وقد ذكرنا الخطبة متقدما ثم نزل فقال لوجوه أهلها
ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم
عندي الا السيف ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية

لاهلها ما قوتل عدو ولا جبي فيء ولا غزي ثم جد في توجيه الناس فقال قد أجلتكم ثلاثا واقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصيا فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال أصلح الله الامير ان هذا أنفع لكم مني هو أشد بني تميم أيدا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعفك لبين ولكني أكره أن يجترئ بك الناس علي وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه ففي ذلك يقول ابن الزبير الاسدي

أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الامر أمسى منصبا متشعبا

تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فما ان أرى الحجاج [illegible] * [illegible] حتى يترك الطفل أشيبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

وهرب سوار بن المضرب السعدي من الحجاج وقال

أقاتلي الحجاج ان لم أزر له * دراب وأترك عند هند فؤاديا

وقد مر هذه الابيات [illegible] عن [illegible] وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد الحاحا وقد كان أتاهم خبره بكرهه فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر وكان [illegible] كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح [الله] الامير ان بي فتقا وقد عذرني بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندي لصادق [illegible] عنقه [illegible] كعب الاشقري أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة * تقرقر منها بطن كل عريف

ويروى عن ابن ميرة قال انا لنتغدى معه يوما اذ جاء رجل من سُلَيم برجل يقوده فقال أصلح الله الامير ان هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الامير فى دمى فوالله ما قبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أُخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج فقال مالى أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم و[illegible] نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خلالا يخل بمركزه ويعصى أميره ويغر المسلمين وهو أجير لهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فان بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن [illegible] على المعصية [illegible] فاقتله فانى قاتل من قبلى [illegible] [illegible] [illegible] أرى أن آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى [illegible] [illegible] تبلى الامطيع وان [illegible] اذا خافوا العقوبة كبر [illegible] والذنب [illegible] العقوبة تصغر الذنب واذا [illegible] من العفو أكفرهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا الى السردان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم فعسكر بكازرون واستعدوا للقتال وخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل

المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأي ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوه الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاؤا وعليهم أقبية بيض جُدُدٌ فقاتلوا يومئذ حتى عُرِفَ مكانهم وحاربهم المهلبُ وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد ثم نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوما من جِلّة العسكر حتى بلغوا أربعمائة فقال لابنه المُغيرة ما يُعدّ هؤلاء الا للبيات وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتلُ والجراحُ وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العُصاة ويُوَجِّهُ الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فيتسلل الناس الى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم فاذا رأى اسراعهم تمثّل

إنّ لها لسائقا عشنزرا * اذا ونين ونية تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس وأن لا يرده شيء عما يريد ثم كتب الى المهلب من قبل الحجاج أما بعد فانه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو واني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي واخترتك وأنت من أهل عُمانَ ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح فشاور بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه فكتب اليه المهلب ورد علي كتابك تزعم أني أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد ابن حصين الحبطي ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري ان شرا من الازد لقبيلة تُنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن وزعمتَ أني ان لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعتَ اليّ صدرَ الرمح فلو فعلتُ لقلبتُ لك ظهرَ المجنّ والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال

المهلب لابنه المُغيرة انى أخاف البياتَ على بنى تميم فانهض اليهم فكُنْ فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحريشُ بن هلالٍ يا أبا حاتم أيخاف الامير أن يُؤتى من ناحيتنا قُل له فليَبِتْ آمنا فانا كافوه ما قِبَلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرةُ الى أبيه سَرَى صالح بن مِخراقٍ فى القوم الذين أعَدَّهم الى ناحية بنى تميم ومعه عَبيدةُ بن هلال وهو يقول

انِّى لَمُذْكٍ للشُّراة نارَها * ومانعٌ مِمَّن أتاها دارَها

* وغاسلٌ بالطَّعنِ عنها عارَها *

فوجد بنى تميم أيقاظا متحارسين فخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وُقُرًا أنجادا * لا كُشُفًا ميلًا ولا أوغادا

هيهاتَ لا تُلفُونَنا رُقَّادا * لا بَل اذا صِيحَ بنا آسادا

ثم حَمَلَ على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلابَ النار فقالوا انما أُعِدَّت النارُ لك ولاصحابك فقال الحريشُ كل مملوكٍ لى حُرٌّ ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسى فيما بين سَفَوانَ وخُراسانَ قوله وجدتم وُقُرًا جمع وَقورٍ والنَّجْدُ ضد البليد وهو المتيقظ الذى لا كسل عنده ولا فُتورَ والامْيَلُ فيه قولان قالوا الذى لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذى لا سيف معه والاكشف الذى لا تُرْسَ معه والاَجَمُّ الذى لا رمح معه والحاسِرُ الذى لا درع عليه والاَعزَلُ الذى لا يتقوم على ظهر الدابة والوَغْدُ الضعيف ثم قال بعضهم لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا انا اهون عليهم من حُمُر الجبل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف واصحابه بهم الا وقد خالطوهم فى عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يشابهه ويضرب بابن مخنف مثلا

تروحُ وتغدو ما يحل حزامها * كأنك فينا مخنفٌ وابنُ مخنفِ

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقُتل وقُتل معه سبعون من القرّاء فيهم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبرُ المهلبَ وجعفرُ بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فجاءهم مُغيثاً فقاتلهم حتى ارْتُثَّ وصُرِع ووجّه المهلب اليهم ابنه حبيباً فكشفهم ثم جاء المهلبُ حتى صلّى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده في جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركتَ أصحابنا تَدْمَى نُحورُهم * وجئتَ تسعَى الينا خضفةَ الجمَلِ

قوله خضفة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خَضَفَ البعيرُ وأُنشد في الرياشي لاعرابي يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خلفاً بئس الخَلَفْ * أغلقَ عنا بابَه ثم حلَفْ

لا يُدْخِلُ البوّابُ الا مَنْ عَرَفْ * عبْداً اذا ماناءَ بالحِمْلِ خَضَفْ

يقال ناء بحمله اذا حمله في ثقل وتكلف وفي القرآن ما انَّ مفاتحه لَتَنُوءُ بالعُصْبة أولي القوة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتح وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حَبَجَ الرجلُ وحَبَقَ وخَضَفَ وردم كلُّ ذلك اذا ضَرَطَ) فلامهم المهلب وقال بئسما قلتم والله مافرّوا ولا جَبُنوا ولكنهم خالفوا أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دُولابَ وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عنى ووجّه الحجاج البَراءَ بن قَبيصةَ الى المهلب يَستحِثُّه في مُناجزة القوم وكتب اليه انك تحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلبُ لاصحابه حرّكوهم فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمعٌ فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تَمَلّون فقالوا لا حتى تَمَلّوا قالوا فمن أنتم قالوا تميم قالت الخوارجُ ونحن بنو تميم فلما أمسَوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم

حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم فقالوا ويلكم من أنتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوما لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب انى منتظر بهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل فى الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم فى الثقة عنده وقال أبو حزملة العبدى يهجو المهلب

عدمتك يا مهلب من أمير * اما تندى يمينك للفقير

بدولاب أضعت دماء قوم * وطرت على مواشكة درور

فقال المهلب ويحك والله انى لأقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الامير فذاك الذى نكره منك ما كلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعى

فقلت لكأس ألجميها فانما * نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولى أحب الى منه

فلما وقفتم غدوة وعدوكم * الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى

وطرت ولم أحفل مقالة عاجز * يساقى المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت وان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الامير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه

يرى حتما عليه أبو سعيد * جلاد القوم فى أولى النفير

اذا نادى الشراة أبا سعيد * مشى فى رفل محكمة القتير

الرفل الذيل وقال المهلب ما يسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب فيقال

له أيها الامير بهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأي محكم العقل وذو الرأي حذر سؤول فأنا آمن ان يغتفل فلو كان مكانه ألف شجاع قلت انهم يتشامون حتى يحتاج اليهم ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا اوهم يسابور وبين المهلب وبين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الامير الى ضبط العقبة والحظ في ذلك لنا فلم نطعه فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما فقالوا انصرف أيها الامير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما أصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزلق وتلقاه مدرك بن المهلب في جماعة معه حتى ردهم فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفي مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القردوسي وكان سعد شجاعا متقدما في شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال لو كنت سعد بن نجد القردوسي ما عدا (وقردوس من الازد) فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول

نحن صبحناكم غداة النحر * بالخيل أمثال الوشيج تجري

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسي من الازد ثم تجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحامى عليه سعد بن نجد وذبيان السختياني وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا اقتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختياني فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته ووجه الحجاج

الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا ولكنك اتخذت أكلا وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أنكرتنى والسلام فقال المهلب للجراح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا استعملتها ولا مكيدة الا أعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخى الظفر ولكن العجب أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك ... اصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب ... الى الحجاج ... انى كتابك تستبطئنى فى لقاء القوم على أنك لا تظن بى معصية ولا جبنا ... عاتبتنى ... وأوعدتنى وعيد العاصى فاسأل الجراح والسلام فقال الحجاج ... للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الامير مثله قط ولا ظننت أن أحدا يبقى على ... ل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم ... يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخاطون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيأ رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته أبا عقبة قال الحق أولى وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها ففى ذلك يقول عمران بن عصام العنزى

ضربوا الدراهم فى امارتهم * وضربت للحدثان والحرب

حلقا ترى منها مرافقهم * كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحى ... هو ... أصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وأن يضم اليه جند عبد الرحمن بن مخنف فكل بلد تخلا له من فتوح

أهل البصرة والمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلداً فتحه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب في احدى جمادين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج في أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي فوجه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثانه بمناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن من بني عامر بن صعصعة والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج فضم زياداً الى ابنه حبيب وضم الثقفي الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيباً بالمناجزة [illegible] زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفي ثم باكروهم [illegible]

[illegible]

[illegible] وقبل اخترا [illegible]

[illegible]

[illegible] وحاجة [illegible]

[illegible] الخشـــه وماء الازارقه

[illegible] العقائق [illegible] السيوف والعقائق جمع عقيقة [illegible] سيف [illegible] أي الشعر الذي [illegible] يحلقه ويقال عققت الشيء أي قطعته ومن [illegible] وكذا عققت عن الصبي اذا ذبحت عنه وقال أعرابي

ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني * اذا أجدبت أو كان خصباً جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف * الى وسلمى أن يصوب سحابها

بلادبها عق الشباب تميمتي * وأول أرض مس جلدى ترابها

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب فكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق المهلب أهل البصرة وأبى ان يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب قد كان يبلغنى انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغنى انك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكنك معم مخول فغضبت بكر ابن وائل المهلب للحلف ووثب ابن نعيم بن هبيرة بن أخى مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه و بين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الامير يصير لك الى كل ما تحب وسأل أباه ان يرزق أهل الكوفة فأجابه فصلح الامر فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب انى لأعرف فضله على أبيه وقال رجل من الازد من بنى اياد بن سود

ألا أبلغ بنى ورقاء عنا * فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب اذ جفانا * للاقت خيلكم مناضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيبغوا عليكم فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم ثم مضى عتاب بن ورقاء الى الحجاج فى سنة سبع وسبعين فوجهه الى شبيب فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا أكفيكموه ان شاء الله فوجه رجلا من أصحابه بكتاب

وألف درهم الى عسكر قطري فقال ألقِ هذا الكتاب في عسكر قطري واحذر على نفسك
وكان الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان في الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت
الي وقد وجهت اليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب والدراهم
الى قطري فدعا بأبزى فقال ما هذا الكتاب قال لا أدري قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها
فأمر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة
ولا تبين فقال له ما حال هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا
فقال له قطري قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس
للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه
رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدت لك ففعل
النصراني فقال له قطري انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج
قد عبدك من دون الله وتلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون
فقال قطري ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر ذلك عيسى شيأ فقام رجل
من الخوارج الى النصراني فقتله فأنكر ذلك عليه وقال أقتلت ذميا فاختلفت الكلمة
فبلغ ذلك المهلب فوجه اليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم
رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز
المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فمؤمن من أهل الجنة وأما الآخر الذي لم
يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر
الاختلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم ثم أقبل فقال
لهم صالح بن مخراق يا قوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من
اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها

المُطْوِّن هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ثم قال

ألم تر أنا مذ ثلاثون ليلة * قريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خفضِ

فتهايج القومُ وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرةُ بن المهلب وصار في وسط الازارقة فجعلت الرماح تحطُّه وترفعه واعتورت رأسَه السيوفُ وعليه ساعدُ حديدٍ فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيأ واستنقذه فرسانٌ من الازد بعد ان صُرِعَ وكان الذي صرعه عَبيدةُ بن [illegible] ويقول

أنا ابن [illegible] * [illegible] دين أبي بلال

[illegible] ديني آخر الليالي *

فقال رجل [illegible] كيف تصرع [illegible] عجب كيف فجر وقال [illegible]

[illegible] لم يستتم الكلام حتى [illegible]

[illegible] وقال كل امرء [illegible]

[illegible] فلما كانت الغداة [illegible]

[illegible] الازارقة قتادة وبشر بن المغيرة وهو ابن اخي المفضل

[illegible] من الازارقة يشق السرح اى يشرده

[illegible] ول

نحن قمعناكم بشل السرح * وقد نكأنا القرح بعد القرح

تقول [illegible] نكأت القرحة مهموز ونكيت العدو غير مهموز من النكاية ونكأت القرحة نكأ قال ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لى قرحة وتنكؤها

ولحقه المفضل ومدرك فصاح رجل من طيء اكفنا الاسود فاعتوره الطائي وبشر بن

المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الأزارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان

قال إنك لشين همدان وخلى سبيله وكان عياش الكندي شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات

على فراشه بعد ذلك فقال المهلب لا وألت نفس الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت

كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر

من سليم يستحثانه بالقتال فقال المهلب متمثلا

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

الشعر لأوس بن حجر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أي لم يتحرك [illegible] قيل له كذا وكذا

فاتهم [illegible] فتحاجزوا [illegible] في قرية من قرى إصطخر [illegible] رجل

من الخوارج [illegible] رجل من أصحاب المهلب [illegible] فقال المهلب [illegible]

والكلبي كيف نقاتل رجالا [illegible]

[illegible] ربيعة [illegible] وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع

عليها القطن [illegible]

من لهذين [illegible]

عليه [illegible] جميعا [illegible]

هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما [illegible] فقام قيس مستحييا فقال له يزيد [illegible] أنت

[illegible] فقال أرأيت لو [illegible] ما كان بذا لقتلته أم [illegible] يومئذ

المنجب السدوسي فقال له غلام له يقال له خلاج والله لو ردنا ما أفضنا عسكرهم حتى أصير

إلى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف غصبت اثنتين قال لأعطينك

إحداهما وآخذ الأخرى فقال ابن المنجب

أخلاج إنك لن تعانق طفلة * شرقا بها الجادي كالتمثال

حتى تلاقي في الكتيبة معلما * عمرو القنا وعبيدة بن هلال

وترى المقعطر في الكتيبة مقدما * في عصبة قسطوا مع الضلال

أو أن يعلك المهلب غزوة * وترى جبالا قد دنت لجبال

قوله طفلة يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طفلة فهي الصغيرة والجادي الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمي الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم الى بعض وبهذا سمي الكتاب ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة وكتبت القربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمعلم الذي قد شهر نفسه بعلامة اما بعمامة صبيغ واما بشهرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه معلما يوم بدر بريشة نعامة في صدره وكان أبو دجانة وهو سماك بن خرشة الانصاري يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفي هذا بحقه قالوا وما حقه يارسول الله قال أن يضرب به في العدو حتى ينحني فقال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مشهرة فأعلم بها وكان قومه يعلمون لما بلوا منه أنه اذا لبس تلك المشهرة لم يبق في نفسه غاية ففعل وخرج يمشي بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المشية يبغضها الله عز وجل الا في مثل هذا الموضع وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاك حميدا فاغسلي عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقه معك سماك ابن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وفي بعض الحديث وقيس بن الربيع وكل هؤلاء من الانصار ❊ عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعمرو القنا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وعبيدة بن هلال من بني يشكر بن بكر بن وائل والذي طعن صاحب المهلب في فخذه فشكها بسرجه من بني تميم قال ولا أدري أعمرو هو أم غيره والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أي جاروا يقال قسط يقسط فهو قاسط اذا جار وقال الله جل ثناؤه وأما القاسطون

فكانوا لجهنم حطبا ويقال أقسط يقسط فهو مقسط اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المقسطين وكان بدر بن الهذيل شجاعا وكان لحانة فكان اذا أحس بالخوارج نادى ياخيل الله اركبي وله يقول القائل

واذا طلبت الى المهلب حاجة * عرضت توابع دونه وعبيد
العبد كردوس وعبد مثله * وعلاج باب الاحمرين شديد

كردوس رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الاحمرين شديد العرب تسمى العجم الحمراء وقد مر تفسيرنا وقوله توابع أراد به الرجال فجاز في الشعر وانما رده الى أصله للضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التى هى نعت وقد قلنا فى هذا ايم قالوا فوارس وهالك فى الهوالك وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عرف مكانه فيه وكانت بينه وبين بنى المهلب جفوة فقال لهم يابنى عم انى قد قصرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأنى لا موصول ولا محروم فاجعلوا لى فرجة أعش بها وهبونى امرأ رجيتم نصره أو خفتم لسانه فرجعوا اله ووصلوه وكلموا فيه المهلب فوصله وولى الحجاج كردما فارس فوجهه الحجاج اليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب

ولو رآها كردم لكردما * كردمة العير أحس الضيغما

الضيغم الاسد والكردمة النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن اصطخر ودرابجرد لارزاق الجند ففعل وكان قطرى هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاذمرد بن الهربذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها فواقعه المهلب فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجه به الحجاج الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة

بعد ما تقلده فرجع به المغيرة اليه وقد دماه فسر المهلب بذلك وقال ما يسرني أني [illegible] كنت دفعته الى غيرك من ولدي اكفني جباية خراج هاتين الكورتين وضم اليه الرقاد فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيأ ففي ذلك يقول رجل منهم [illegible]

ولو علم ابن يوسف ما [illegible] * من الآفات [illegible] والكرب [illegible]

لفاضت عينه جزعا [illegible] * وأصلح ما استطاع من الفساد

ألا [illegible] للأمير [illegible] خيرا * أرحنا من عبيرة والرقاد

فما [illegible] * وقد [illegible] الحصاد

يقال [illegible] السو [illegible] وداود [illegible] وداود [illegible]

فهو [illegible]

[illegible] منهم [illegible] وكو [illegible] قتيبا [illegible]

[illegible] قال لهم [illegible]

[illegible] بحبشر [illegible]

ثم [illegible] خبره [illegible] فقال [illegible]

قال [illegible] تخضع خضوع [illegible] ولا [illegible]

بينهم [illegible] الذين [illegible]

[illegible] بل هو خير لكم [illegible] وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا

فقتل فقال له عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة في اقامة الحد ثبتا وكان قطري قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له اموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطري اني استعملته وله ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم

و بلغ ذلك المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم مني وقالوا لقطري الا تخرج بنا الى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فأحس بالشر فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدي كفارا فقالوا أو لست دابة قال الله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل فشاور عبيدة فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أرجعتم بعدي كفارا فقال ذلك لهم فقبلوه منه فرجع الى منزله وعزم أن يبايع المقعطر العبدي فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطري أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله واقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال له صالح بن مخراق ان الناس قبلنا ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي ففعل و يجب على الامام أن يعفي الرعية مما كرهت فأبى قطري أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبد ربه الصغير فانفصل الى عبد ربه أكثر من الشطر وجلهم الموالي والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق فقال لقطري هذه نفخة من نفخات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطري الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحي * وفي البجلي معبلة وقيع

فنشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثم أجلت الحرب عن ألفي قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطري خارجا من مدينة جيرفت بازائهم فقال له عبيدة يا أمير المؤمنين ان أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن

تخندق نخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير عاجلهم قبل ان يصطلحوا فقال المهلب انهم لن يصطلحوا ولكن دعهم فانهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطرى فقل انى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أتقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنمى الكلام الى قطرى فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون فقال له الصلت بن مرة يا أمير المؤمنين ان كنت تريد الله فاقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فاعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ الصلت يقول

قل للمحلين قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا على دين ففرقنا * طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

انى لأهونكم فى الارض مضطربا * مالى سوى فرسى والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطرى وبلغ ذلك المهلب فقال لهريم بن عدى بن أبى طحمة المجاشعى انى لا آمن ان يكون قطرى كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى العسكر الا عبدا وعلجا فسألهما عن قطرى وأصحابه فقالا مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطرى فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى ففى ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا * ورأيننا بالسفح ذى الاجبال

فنكم من أهل الجزء من فرساننا * والضاربين جماجم الأبطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطري وأنه مقيم على عبد ربه ويسأله أن يوجه في أثر قطري رجلا جلدا في جيش فسر ذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب وفي الكتاب أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلي فترجع بعذرك وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم ولعمري ما أنت والقوم سواء لأن من ورائك رجالا وأمامك أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير فقال المهلب لأصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة قطري بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون حتى كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الأمير فكتب المهلب اليه أما بعد فاني لم أعط رسلك على قول الحق أجرا ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين ذكرت أني أجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت أن في ذلك الاجمام ما ينسي القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتني والرأي كان القرن مقصوما والداء باذن الله محسوما وان أعجلتني لم أطعك ولم أعص وجعلت وجهي الى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس ولما اشتد الحصار على عبد ربه قال

لاصحابه لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا صح توحيده عزّ به وقد أراحكم الله من غلظة قطري وعجلة صالح بن مخراق ونخوته واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم هذا من قُتل منكم قُتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم فى هذا الوقت على المهلب عُبيد بن أبى ربيعة بن أبى الصلت الثقفى يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية الامير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركت جهدا فلما [illegible] خرج الازارقة وقد حملوا حُرمهم وأموالهم وخف متاعهم ليقتتلوا [illegible] [illegible] امصافكم واشرعوا رماحكم وقد وهم [illegible] [illegible] التميمى أيسر عليك فقال للناس ردوهم عن وجههم وقال لبنيه تفرقوا فى الناس وقال لعبيد بن أبى ربيعة كن مع يزيد فخذه بالمحاربة أشد الاخذ وقال لاحد الامينين كن مع المغيرة ولا ترخص له فى الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عُقرت الدواب وصُرع الفرسان وقُتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشد قتال وسقط رمح لرجل من مُراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادى يقول

الليل ليل فيه ويل ويل * وسال بالقوم الشراة السيل

* ان جاز للاعداء فينا قول *

فلما [illegible] فيه بعث المهلب الى المغيرة خل عن الرمح عليهم لعنهم الله فخلوا لهم عنه ثم مضت [illegible] حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها [illegible] وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقفى والامينان ثم اتبعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الا القوى يأتى الرجل بالدلو وقد شدها فى طرف رمحه فيستقى

جاء هنالك قرية فيها أهلها فغادا هم القتال وضمّ الثقفي الى يزيد وأحد الأمينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لأبي علقمة العبدي وكان شجاعا عاتيا أمدد بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجهم ليست بفخار فتعار وليست أعناقهم كرادي فتنبت (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعذاق النخل كراد وهو فارسي أعرب) وقال حبيب بن أوس كرّ على القوم فلم يفعل وقال

يقول لي الامير بغير علم * تقدّم حين جدّ به المراس

فمالي ان أطعتك من حياة * ومالي غير هذا الرأس راس

نصب غير لانه استثناء مقدّم وقد مضى تفسيره وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صفرة احمل فقال لا الا أن تزوجني أمّ مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال

ليت من يشتري الغداة بمال * هلكه اليوم عندنا فيرانا

نصل أسكر عند ذاك بطعن * ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال مافعل الأمين الذي كان معك قال قتل وكان الثقفي قد هرب وقال ليزيد مافعل عبيد بن أبي ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الامين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبي فلما كان العشي رجع الثقفي فقال رجل من بني عامر بن صعصعة

ما زلت يا ثقفي تخطب بيننا * وتغمنا بوصية الحجاج

حتى اذا ما الموت أقبل زاخرا * وسما لنا صرفا بغير مزاج

وليت يا ثقفي غير مناظر * تنساب بين أحزة وفجاج

ليست مقارعة الكماة لدى الوغى * شرب المدامة في اناء زجاج

قوله بين آجرة هو جمع جزيز وهو متن ينقاد من الارض ويغلظ والفجاج الطرق واحدها فج
وقال المهلب للامين الآخر ينبغي أن تتوجه مع ابني حبيب في ألف رجل حتى تبيتوا
عسكرهم فقال ما تريد أيها الامير الا أن تقتلني كما قتلت صاحبي قال ذاك البلد وضحك
المهلب ولم تكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير أن الطعام والعدة مع المهلب
وهم في زهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرف على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبه
بالدماء وهو ينشد

جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي * اذا بات أطواء بني الاصاغر
أخادعهم عنه ليغبق دونهم * وأعلم غير الظن أني مغاور
كأني وأبدان السلاح عشية * يمر بنا في بطن فيحان طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمي أنت قال نعم قال أحنظلي قال نعم قال أيربوعي قال نعم قال أثعلبي قال
نعم قال أمن آل نويرة قال نعم أنا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الامير أيكون مثلي
في عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قوله ذو الخمار يعني فرسا وكان ذو الخمار فرس
مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق

بيربوع فخرت وآل سعد * فلا مجدي بلغت ولا افتخاري
بيربوع فوارس كل يوم * يواري شمسه رهج الغبار
عتيبة والاحيمر وابن عمرو * وعتاب وفارس ذي الخمار

قوله أطواء يقال رجل طوي البطن أي منطو يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم
جياع وذلك قوله * أخادعهم عنه ليغبق دونهم * والغبوق شرب آخر النهار وهذا
شيء تفتخر به العرب قال الاسعر الجعفي

لكن قعيدة بيتنا مجفوة * باد جناجن صدرها ولها غنى

نُفِي بيشة أهلها وتبالة * أو جرشعا نهد المراكل والشوى

قال فمكثوا أياما على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مسرجة فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا أنسي به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعني على الموت فبايعه أربعون رجلا من الأزد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض وقال عبد الله بن رزام الحارثي لأصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابي مجنون وكان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا ولم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها نقاتل انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الأرض الأرض وقال لبنيه تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدي أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بني اني أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجريح كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت فقال الحمد لله الذي ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم في عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولوني

درعى قلبها ثم قال خذوا هؤلاء فلما سير بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنقتلك بأمرهم فقتلوا ووجه المهلب كعب بن معدان الاشقرى ومرة بن تليد الازدى من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما اطلعا عليه تقدم كعب فأنشده

يا حفص انى عدانى عنكم السفر * (وقد سهرت فأردى نومى السهر)

فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له أخبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحيى الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها قال فكيف كنتم أنتم وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطرى قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الامن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فقال هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجهك

وكان كتاب المهلب الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافى بالاسلام فقد ما سواه الذى حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر [illegible] منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة

وقوم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيرا وأراحهم من حد الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيئهم ونفّل الناس على قدر بلائهم وفضّل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية فخلّف خيلا تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وولّ الخيل شهما من ولدك ولا ترخّص لاحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم عليّ وعجّل القدوم ان شاء الله فولّى المهلب ابنه يزيد كرمان وقال له يا بنيّ انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحق [illegible] من معك وان أنكرت من انسان شيئا فوجّه الي ولا تحمل على قومك وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبرّه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الإياديّ

وقلّدوا أمركم لله درّكم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * همّ يكاد حشاه يقصم الضلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عضّ مكروه به خشعا

مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متّبِعا طورا ومتّبَعا

حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الأمير والله لكأني أسمع الساعة قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط الايادي ثم أنشد هذا الشعر فسُرّ الحجاج حتى امتلأ سرورا قوله نفّل أي اقسم بينهم والنَّفَل العطية التي تَفْضُل كذا كان الاصل وانما نفّل الله عز وجل بالغنائم على

عباده قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل * (وباذن الله ريثى وعجل)

وقال جل جلاله يسألونك عن الانفال ويقال نفلتك كذا وكذا أى أعطيتك ثم صار النفل لازماً واجباً وقول الايادى رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى على تباعد الخلق ولكن على سهولة الامر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتى لا تشينه * وان قيلت العوراء ضاق بها ذرعا

وكذلك قوله جل وعز يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله مضطلعا انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد أنه قوى على أمر الحرب مستقل بها وقوله يكون متبعا طورا ومتبعا أى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس واتبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد ألنا وايل علينا أى قد أصلحنا أمور الناس وأصلحت أمورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شزرت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم آخر سن الشيخ قال العجاج

رأين قحما شاب واقلحما * طال عليه الدهر فاسلهما

والمقلحم مثل القحم وهو الجافى ويقال للصبى مقلحم اذا كان سيئ الغذاء أو ابن هرمين ويقال رجل انقحل وامرأة انقحلة اذا أسن حتى ييبس والمسلهم الضامر قال الشاعر

* لما رأتنى خلقا انقحلا * ويقال فى معنى قحم قحر ويقال بعير قحارية فى هذا المعنى وقوله لا يطعم النوم الا ريث يبعثه هم فريث وعوض مما يضاف الى الافعال وتأويله انه لا يطعم النوم الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك ومما يضاف الى الافعال أسماء الزمان كقوله عز ذكره هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فأسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل

في قولك آتيتك يوم تخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك في المستقبل وذلك لان الماضي في معنى اذ وأنت تقول جئتك اذ زيد أمير والمستقبل في معنى اذا فلا يجوز أن تقول أجيئك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز أجيئك يوم زيد أمير فأما الافعال في اذا واذ فهي بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا قام زيد فهذا واضح بين ومما يضاف الى الفعل ذو في قولك افعل ذلك بذي تسلم وافعلاه بذي تسلمان معناه بالذي يسلمكما ومن ذلك آية في قوله

بآية تقدمون الخيل شعثا * كأن على سنابكها مداما

والنحو يتصل ويكثر وانما تركنا الاستقصاء لانه موضع اختصار فقال المهلب انا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للتقوى وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ما ذخر الله لكم خير لكم من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك وعبد الله والمعارك وقال والله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لاخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم مني وان حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبي صفرة والرقاد وأشباههما فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها الامير اني كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمني الصبر ويجعلني اسوة نفسه وولده وجعلني في البلاء صرت أنا وأصحابي فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قدر

بلائهم وزاد ولد المهلب ألفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك قال يزيد ابن حبناء من الأزارقة

دعى اللوم ان العيش ليس بدائم * ولا تعجلى باللوم يا أمّ عاصم

فان عجلت منك الملامةُ فاسمعى * مقالة مَعنىٍّ بحقك عالم

ولا تعذلينا فى الهديّة انما * تكون الهدايا من فضول المغانم

فليس بمهدٍ من يكون نهارُه * جلادًا ويمسى ليلهُ غيرَ نائم

يريد ثواب الله يوما بطعنة * غموسٍ كشدق العنبرىّ بن سالم

أبيتُ وسربالى دلاصٌ حصينة * ومغفرها والسيفُ فوق الحيازم

حلفتُ برب الواقفين عشيّةً * لدى عرفات حلفةَ غير آثم

لقد كان فى القوم الذين لقيتهم * بسابور شغلٌ عن بُزوز اللطائم

تَوَقَّدُ فى أيديهم زاعبيّةٌ * ومُرهفةٌ تفرى شؤون الجماجم

قوله من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفى القرآن بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص

أما النهارُ ففى قيدٍ وسلسلةٍ * والليلُ فى جوف منحوتٍ من الساج

وقال آخر

لقد لُمتنا يا أمّ غيلان فى السُرى * ونِمتِ وما ليلُ المطىّ بنائم

ولو قال من يكون نهارَه جلادا ويمسى ليلَه غيرَ نائم لكان جيدا وذلك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سيرًا وانما أنت ضربًا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرا ولو رفعه على أن يجعل الجلاد فى موضع المجالد على قوله أنت

سيراى أنت سائر كما قالت الخنساء * فانما هى اقبالٌ وادبارُ * وفى القرآن قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا أى غائرا وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح ولو قال ويُمسى ليلُهُ غيرُ نائم لجاز بتصيير اسمه فى يُمسى ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التى ذكرنا وقوله عموس يريد واسعة محيطة والعنبرى بن سالم رجل منهم كان يقال له الاشدق واللطائم واحدتها اللطيمة وهى الابل التى تحمل البزّ والعطر وقوله توقد فى أيديهم زاعبية يعنى الرماح والتوقد للاسنة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقدّ يقال فرى اذا قطع وأفرى اذا أصلح وقال حبيبُ بن عوف من قُوّاد المهاب

أبا سعيد جزاك الله صالحة * فقد كفيت ولم تنقص من أحد

داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا * وكنت كالوالد الحانى على الولد

وقال عبيدة بن هلال فى حربهم مع قطرى

مازال [illegible] حتى تتقى * بفوارس بين القنا [illegible]

ويروى أن قاضى قطرى وهو رجل من بنى عبد القيس سمع قول عبيدة بن هلال

علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء ترى الارواح من دونها تجرى

فقال له العبدى كفرت الآن تأتى بمخرج قال نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت

وقال يذكر رجلا منهم

يهوى وترفعه الرماح كأنه * شلوٌ تنشّب فى مخالب ضارى

فثوى صريعا والرماحُ تنوشه * ان الشراة قصيرةُ الاعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنّى لهمُ التناوُشُ من مكان بعيد أى التناول ومثل بيته هذا قول حبيب الطائى

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * أفناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا فى شبيه بهذا المعنى

ان يتحل حدثان الموت أنفسكم * ويسلم الناس بين الحوض والعطن

فالماء ليس عجيبا أن أعذبه * يفنى ويمتد عمر الآجن الآسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فانى * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت منى * مكان الروح من بدن الجبان

ولو أنى أقول مكان روحى * لخفت عليك بادرة الزمان

لاقدامى اذا ما الحرب جاشت * وهاب حماتها حر الطعان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى

أكان الجبان يرى أنه * يدافع عنه الفرار الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

رجع الحديث وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب

سائل بنا تمروا القنا وجنوده * وأبا نعامة سيد الكفار

أبو نعامة قطرى وقال المغيرة ابن حبناء الحنظلى من أصحاب المهلب

انى امرؤ كفنى ربى وأكرمنى * عن الامور التى فى رعيها وخم

وانما أنا انسان أعيش كما * عاشت رجال وعاشت قبلها أمم

ما عاقنى عن قفول الجند اذ قفلوا * عنى بما صنعوا عجز ولا بكم

ولو أردت قفولا ما تجهمنى * اذن الامير ولا الكتاب اذ رقموا

ان المهلب ان أشتق لرؤيته * أو امتدحه فان الناس قد علموا

ان الاريب الذي ترجى نوافله * والمستعان الذي تجلى به الظلم

القائل الفاعل الميمون طائره * أبو سعيد اذا ما عدت النعم

أزمان أزمان اذ عض الحديد بهم * واذ تمنى رجال انهم هزموا

قال أبو العباس وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شئ بشئ والحديث ذو شجون ويقترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب ويصده عن سننه ويزيله عن طريقه ونحن راجعون ان شاء الله الى ما ابتدأنا له هذا الكتاب فان مر من أخبار الخوارج شئ مر كما يمر غيره ولو نسقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذي يلي هذا الخبر نجدة وأبي فديك وعمارة الرجل الطويل وشبيب ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصا

٥٣ ﴿باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ﴾

كان الحسن يقول الحمد لله الذي كلفنا مالو كلفنا غيره لصرنا فيه الى معصيته وآجرنا على مالا بد لنا منه يقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجزع لم يمكنا أن نقيم عليه وآجرنا على الصبر ولا بد لنا من الرجوع اليه وكان علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازم واليه يعود الجازع وقال للاشعث بن قيس ان صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور وقال الخريمي

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفي هذا الشعر وان لم يكن من هذا الباب

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم المنايا بالذخائر مولع

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى وهذه الخطبة من أفصح خطب الجاهلية ومن جميل محاورات العرب ما روى لنا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده قال أقحمت السنة نابغة الجعدى فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول

حكيت لنا الصديق حين وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس فى العدل فاستووا * فعاد صباحا حالك الليل مظلم

أتاك أبو ليلى يشق به الدجى * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لتجبر منه جانبا ذعذعت به * صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فإن الشعر أدنى وسائلك عندنا أما صفوة أموالنا فلبنى أسد وأما عفوتها فلآل الصديق ولك فى بيت المال حقان [illegible] برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقك فى المسلمين ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر أن توقر له حبا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستف به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشد ما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين [illegible] أقحمته السنة يكون على وجهين يقال أقحمهم اذا دخل قاصدا وأكثر ما يقال من غير أن يدخل ويكون من القحمة وهى السنة الشديدة وهو أشبه

الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال أصابتهم سنة أي جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي بالجدب وقوله صَفوة فهي في معنى الصَفو وأكثر ما يستعمل الكسر والباب في المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجِلسة والرِكبة والمِشية والنِيمة كأنها خلقة والعفوة أغاه وما عفا أي ما فضل وخذ العفو قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله عمّم يريد المُوثّق الخَلق الشديد وذعذعت أي أذهبت ماله وفرّقت حاله وقوله راحلة رحيل أي قوية على الرحلة معوّدة لها ويقال فَحْل فَحيل أي مُنْجِبٌ في الفحلة وفي الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشتر لي كبشا الاضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذي يتقدم القوم فيُصلح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى ومن ذلك قول المسلمين في الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا ومن بيت الله بيدا ويقال ان دار أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيع الكعبة وذلك أنها كانت تنبى على الكعبة صباحا وتنبى على الكعبة عشيا وان كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شِسع نعله فيرمي بنعله في منزله فتُصلح له وإذا عاد في الطواف رُمي بها اليه وفي ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضل مكرمة * بحيث حلّت نجوم الكبش والاسد
مجاورُ البيت ذي الاركان بيتهما * ما دونهم في جوار البيت من أحد

وقال آخر

سمين قريش مانع منك لحمه * وغثّ قريش حيث كان سمين

وقال آخر

وإذا ما أصبتَ من قريشٍ * هاشمياً أصبتَ قصدَ الطريقِ

وقال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يدعوه إلى حلفه ونزول مكة

أبا مطرٍ هلمَّ إلى صلاحٍ * فتكفيك النداماى من قريشِ
وتأمنَ وسطهم وتعيشَ فيهم * أبا مطرٍ هديتَ لخير عيشِ
وتسكنَ بلدةً عزّت قديماً * وتأمنَ أن يزورك ربُّ جيشِ

صلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلداً لقاحاً واللقاح الذي ليس في سلطان ملك وكانت لا تُغزى تعظيماً لها حتى كان أمر الفجار وأغاسمي الفجار لفجورهم إذ قاتلوا في الحرم وكانت قريش تُعزّ الحليف وتُكرم المولى وتكاد تُلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدُّم ودخل سُديف مولى أبي العباس السفّاح على أبي العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على أبي العباس وقال

لا يغرنك ما ترى من أناسٍ * إن تحت الضلوع داءً دويّا
فضعِ السيفَ وارفعِ السوطَ حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فأقبل عليه سليمان فقال قتلتني أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فإذا المنديل قد أُلقي في عنق سليمان ثم جُرّ فقُتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله ابن علي وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أمية على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بني العبّاس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميلٍ من الزمان وياس
لا تُقيلنّ عبد شمسٍ عثاراً * واقطعنْ كلّ رقلةٍ وآواسي
ذلُّها أظهر التودّد منها * وبها منكم كحزّ المواسي

ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من نمارق وكراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناس

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الإفلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسئلة لاغتنمت جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم قوله الآساس واحدها أس وتقديرها أفعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس والبهلول الضحاك وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيك ميل علينا وفي الحائط ميل وكذلك كل منتصب وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رقلة والأواسي ياؤه مشددة في الأصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز في الكلام لجاز في الشعر لأن القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه في القوافي جائز كقوله

أصحوت اليوم أم شاقتك هر * (ومن الحب جنون مستعر)

وواحدها آسية وهي أصل البناء بمنزلة الأساس وقوله وغاظ سوائي تقول ما عندي رجل سوى زيد فتقصر اذا كسرت أوله واذا فتحت أوله على هذا المعنى مددت قال الأعشى

تجانف عن جو اليمامة ناقتي * وما قصدت من أهلها لسوائكا

والسواء ممدود في كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط منه قوله عز وجل فرآه في سواء الجحيم وقال حسان

يا ويح أنصار النبي ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد

والسَّواءُ العدل والاستواءُ ومنه قوله عزوجل الى كلمةٍ سَواءٍ بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سَواءٌ والسَّواءُ التمام يقال هذا درهم سَواءٌ وأصله من الاول وقوله عزوجل فى أربعة أيام سَواءً للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواءٍ فانما وضعه فى موضع مُستويات والنمارق واحدتها نُمْرُقةٌ وهى الوسائد قال الفرزدق

واناالتجرى الكأسُ بين شُروبنا * وبين أبى قابوسَ فوق النمارق

وقال نُصَيْبٌ

اذا ما بِساطُ اللهوِ مُدَّ وقُرِّبَتْ * لِلذَّاتِهِ أنماطُه ونمارقه

وقوله مصرع الحسين وزيد يعنى زيد بن على بن الحسين كان خرج على هشام بن عبد الملك وقتله يوسف بن عمر الثقفىُّ وصلبه بالكُناسة عريانا هو وجماعةً من أصحابه ويَروى الزبيريون أنه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل احنةٌ فكان يطلب عليه علّةً فلما ظفر بزيد بن على وأصحابه أحسوا بالصلب فأصلحوا من أبدانهم واستحدُّوا فصُلبوا عُراةً وأخذ يوسف عدوه ذلك فنحله أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استعد لانه كان عند نفسه آمنا وكان بالكوفة رجل معتوه عَقْدُهُ التشيُّعُ فكان يجيء فيقف على زيد وأصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقد جاهدتَ فى الله حقَّ جهاده وأنكرتَ الجور ودافعتَ الظالمين ثم يُقبِلُ عليهم رجلا رجلا فيقول وأنتَ يا فلانُ بجزاك الله خيرا فقد جاهدتَ فى الله حق جهاده وأنكرتَ الجَوْرَ ونصرتَ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقف على عدوّ يوسف فيقول فأما أنت يا فلانُ فوقوعا تسدُّ يدل على أنك برىء مما قُرِفْتَ به وقال حَبيب بن جَدَرةَ ويقال جُدْرةُ ... السلعةُ الهلالىّ (قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خَدْرةَ بالخاء وكسرها وقال المبرد لم أسمعه الا بدرةَ ويقال جُدْرةُ) وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

يا با حسينٍ لو شُراةُ عصابةٍ * صبحوكَ كان لوِرْدِهِم إصدار

يا باحسين والجديد الى بلى * أولاد درزة أسلموك وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد درزة وتقول لمن تنسبه ابن قرتنى وأولاد قرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفى هذا باب ويروى أن شاعرا لبنى أمية قال معارضا للشيع فى تسميتهم زيدا المهدى والشاعر هو الأعور الكلبى

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ونظر بعد زمين الى رأس زيد ملقى فى دار يوسف وديك ينقره فقال قائل من الشيعة

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد * طال ما كان لا تطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعنى حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأحد ويروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه على فى درقته بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم عن وجهه وقال ابن الزبعرى فى يوم أحد

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

فاسأل المهراس من ساكنه * بعد أبدان وهام كالحجل

وانما نسب شبل قتل حمزة الى بنى أمية لان أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى بحران هو ابراهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب وأصحابه ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش فى اكرام مواليها ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيدا مولاه وقال ان قتل فأميركم جعفر وأمر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه أن قوما قد طعنوا فى امارته وكان أمره على جيش فيه جلة المهاجرين والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا وان أسامة لها لأهل وقالت عائشة لو كان زيد حيا

ما استخلف رسولُ الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضّلت أسامة علىّ وأنا وهو سيّان

فقال كان أبوه أحبّ الى رسول الله من أبيك وكان أحبّ الى رسول الله منك وأوصى رسولُ

الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أو لعاب فكأنها

تكرهته فتولى منه ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوما لم يكن أسامة من

أجمل الناس لو كنت جارية لنحلناك وحليناك حتى يرغب الرجال فيك وفى بعض الحديث

أنه قال أسامة من أحب الناس الىّ وكان صلى الله عليه وسلم أدّى الى بنى قُريظة مكاتبة

سلمان فكان سلمانُ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على بن أبى طالب عليه

السلام سلمانُ منا أهل البيت وروى أن المهدىّ نظر اليه ويدُ عمارةَ بن حمزة فى يده فقال له

رجل مَنْ هذا يا أمير المؤمنين فقال أخى وابنُ عمى عُمارةُ بن حمزة فلما ولّى الرجل ذكر ذلك

المهدىُّ كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرتُ ان تقول ومولاى فانفض والله يدك من

يدى فتبسم أميرُ المؤمنين المهدىُّ ولم يكن الاكرام للموالى فى جفاة العرب زعم الليثى انه

كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدى مسمع مولى له يجهاه

ويرده ويلسن فوثبة بجعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان أصغى [illegible]

جعفر أنصفه [illegible] حضرت [illegible] عن أمثل عضضت عنه وان [illegible] مولى

مثل هذا او ارى مولى جعفر [illegible] يكره وبعث اليه [illegible]

مولاه فتعجب أهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهى بمثله العرب وقد قيل الرجل لابيه

والمولى من مواليه وفى بعض الاحاديث ان المُعتَق من فضل طينة المُعتِق ويروى ان

سلمان أخذ من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه

فانتزعها منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا

ويحكى ان رجالا من [illegible] بن حنيفان وكان من جلة الرجال ازرع

عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم فاطبة تظلم عليه المولى حتى أذن له
فى هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما اقتلع من سطحه ساقا كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك
القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان نافع بن جبير أحد بنى
نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشى قال واقوماه وان قيل
عربى قال وابلداه وان قيل مولى قال هو مال الله يأخذ منهم من شئت ويدع
من شئت ويروى أن ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر
للعرب خاصة وللموالى عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك وزعم الاصمعى قال سمعت
اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا فى الجنة قال أرى ذاك والله بالاعمال
الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك وهذا باب لم نكن ابتدأنا ذكره ولكن الحديث
يجر بعضه بعضا ويحمل بعضه على لفظ بعض ثم نعود الى ما ابتدأناه ان شاء الله وهو ما
انتخبناه من مختصرات الخطب وجميل المواعظ والزهد فى الدنيا المتصل بذلك وبالله التوفيق
بسم الله الرحمن الرحيم قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب أنا نذكر فيه خطبا ومواعظ ثم
نذكر من ذلك آخر التعازى والمراثى فانه باب يجمع [illegible] فى شىء مما كان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ما صدرنا اذ كانت الدنيا [illegible] حزنة لا تنفع
ولوعة لا تردوا انما [illegible] النفس [illegible] فى الآخرة وجميل
الذكر فقد قال أبو خراش الهذلى وهو أحد [illegible] العرب يذكر أخاه عروة بن مرة

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبى أنى تناسيت عهده * ولكن صبرى يا أميم جميل

وقال عمرو بن معدى كرب

كم من أخ لى حازم * بوأته بيدى لحدا
أعرضت عن تذكاره * وخلقت يوم خلقت جلدا

وكان يقال من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأى وعزى رجل رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته أكثر من حضوره قال فأنزله غائبا عنك فانه ان لم يقدم عليك قدمت عليه وقال ابراهيم بن المهدى يذكر ابنه

وانى وان قدمت قبلى لعالم * بانى وان أبطأت منك قريب
وان صباحا نلتقى فى مسائه * صباح الى قلبى الغداة حبيب

وكفى باليأس معزيا او بانقطاع الطمع زاجرا كما قال الشاعر

أباعمرو لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر
تصبرت مغلوبا وانى لموجع * كما صبر العطشان فى البلد القفر

وقال بعض المحدثين (قال الاخفش هو حبيب الطائى) وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث بقوله لرجل رثاه

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على عباده فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسئلة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وله يقول القائل

تعزّ أمير المؤمنين فإنه * لما قد ترى يُغذى الصغير ويولدُ

هل ابنك الا من سلالة آدم * لكلٍّ على حوض المنية موردُ

وقال رجل من قريش يرثي ابنه (قال أبو الحسن هو العتبي)

بأبي وأمي من عبأت حنوطه * بيدي وودعني بماء شبابه

كيف السلوّ وكيف صبري بعده * واذا دعيت فانما أكنى به

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثي عاصم بن عمر

فان يك حزن أو تجرع غصة * أمارا نجيعا من دم الجوف منقعا

تجرعته في [illegible] * [illegible] منه ما احتسى وتجرعا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثي ابنة أخته [illegible]

أمست [illegible] معمورا بها الرجم * لقى صعيد عليها الترب [illegible]

يا شقة النفس ان النفس والهة * حرى عليك ودمع العين منسجم

قد كنت أخشى عليها أن تقدمني * الى الحمام فيبدي وجهها العدم

فالآن نمت فلا هم يؤرقني * تهدا العيون اذا ما أودت الحرم

للموت عندي أيادٍ لست أنكرها * أحيا سرورا وبي مما أتى ألم

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ولكنه باب من المراثي يجمع افراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكي والركون الى التعزي وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكر من ربه ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعه الى القساوة فقد اختلط كلٌّ بكلٍّ وقال رجل من المحدثين يرثي أخاه

تجل رزيات وتعرو مصائب * ولا مثل ما أنحت علينا يد الدهر

لقد عركتنا للزمان ملمة * أذمت بمحمود الجلادة والصبر

فهذا يحسن من قائله أن الرزية كان جليلا باجماع فللقائل أن يتفسح فى القول فيه وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلة أهله قدرا ونعمة وسنا وولاية ومات معزولا عن اليمن فى حبس الخليفة وأم جعفر ابن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز فى هذه القصيدة

عونك يا عبد الرحيم بن جعفر * تفاحش صدع الدين من الآم الكسر

فيا ابن النبى المصطفى وابن بنته * ويا ابن على والفواطم والحبر

ويا ابن اختيار الله من آل آدم * أبا فأبا طهرا يؤدى الى طهر

ويا ابن سليمان الذى كان ملجأ * لمن ضاقت الدنيا به من بنى فهر

ومن ملأ الدنيا سماحا ونائلا * وروى جحيجا بالمجعة القفر

لعزّ علينا فقدنا الناس رزية * عونك محبوسا على صاحب القبر

فان تمض فى حبس الخليفة ثاويا * أبيا لما يعطى الذليل على القسر

لكم من عدو للخليفة قد هوى * بكفك أو أعطى المقادة عن صغر

فوا حزنا والوغى كان موته * بكينا عليه بالردينية السمر

وكنا وفتيان القنا بنحورنا * وفات كذا فى غير هيج ولا نفر

وحدثت أن عمر بن الخطاب لما ولى كعب بن سور الازدى قضاء البصرة أقام عاملا له عليها الى أن استشهد على أنه كان قد عزله ثم رده فلما قام عثمان بن عفان أقره فلما كان يوم الجمل خرج مع اخوة له قالوا ثلاثة وقالوا أربعة وفى عنقه مصحف فقتلوا جميعا فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت

يا عين جودي بدمع سَرِب * على فتىً من خيار العرب

وما لهم غير حين النفو * س أيَّ أميري قريش غلب

هذه الرواية سَرِب وقالوا معناه جارٍ في طريقه من قولهم انسرب في حاجته وبيت ذي الرمة

يختار فيه الفتح * كأنه من كُلى مفرية سَرَبُ * لأنه اسم والأول المكسور نعت ويقع

وضع النعت في موضع المنعوت غير المحفوض (قال أبو الحسن حق النعت أن يأتي بعد المنعوت

ولا يقع في موقعه حتى يدل عليه فيكون خاصاً له دون غيره تقول جاءني انسانٌ طويلٌ فان

قلت جاءني طويلٌ لم يجز لأن طويلاً أعمّ من قولك انسان فلا يدل عليه فان قلت جاءني

انسانٌ متكلمٌ ثم قلت بعدُ جاءني متكلمٌ جاز لأنك تدلُّ به على الانسان فهذا شرح قوله

المخصوص) وقولها غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام وقد

ذكرناه مشروحاً والمراثي كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختار والنادر والمتمثَّل به السائر

فمن مليح ما قيل قول رجل يرثي أباه (قال أبو الحسن يقال انه ابن لأبي العتاهية)

قلب يا قلب أوجعك * ما تعدّى فضعضعك

يا أبي ضمّك الثرى * وطوى الموت أجمعك

ليتني يوم متَّ صر * ت الى تربة معك

رحم الله مصرعك * برد الله مضجعك

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نأى آخر الأيام عنك حبيبُ * فللعين سَحٌّ دائم وغروبُ

دعته نوى لا يرتجى أوبةً لها * فقلبك مسلوبٌ وأنت كئيبُ

يؤوب الى أوطانه كل غائب * وأحمد في الغُيّاب ليس يؤوب

تبدّل داراً غير داري وجيرةً * سواي وأحداث الزمان تنوب

أقام بها مستوطنا غير انه * على طول أيام المقام غريب
كأن لم يكن كالغصن في منعة الضحى * سقاه الندى فاهتز وهو رطيب
كأن لم يكن كالدر يلمع نوره * بأصدافه لما تشنه ثقوب
كأن لم يكن زين الفناء ومعقل الـ * ـنساء اذا يوم يكون عصيب
وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب
وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهي وهي منه سليب
قليلا من الايام لم يرو ناظري * بهامنه حتى أعلقته شعوب
كظل سحاب لم يقم غير ساعة * الى أن أطاحته فطاح جنوب
أو الشمس لما من غمام تحسرت * مساء وقد ولت وحان غروب
سأبكيك ما أبقت دموعي والبكى * بعيني ماء يا بني يجيب
وما غار نجم أو تغنت حمامة * أو اخضر في فرع الاراك قضيب
حياتي ما دامت حياتي فان أمت * ثويت وفي قلبي عليك ندوب
وأضمر ان أنفدت دمعي لوعة * عليك لها تحت الضلوع وجيب
دعوت أطباء العراق فلم يصب * دواءك منهم في البلاد طبيب
ولم يملك الآسون دفعا لمهجة * عليها لأشراك المنون رقيب
فقصت جناحي بعد ما هد منكبي * أخوك فرأسي قد علاه مشيب
فأصبحت في الهلاك الاحشاشة * تذاب بنار الحزن فهي تذوب
تولّيتما في حقبة فتركتما * صدى يترلى تارة ويثوب
فلا ميت الادون رزئك رزؤه * ولو فتتت حزنا عليه قلوب
واني وان قدمت قبلي لعالم * بأني وان أبطأت منك قريب

وإن صباحا نلتقي في مسائه * صباح إلى قلبي الغداة حبيب

وقال أبو عبد الرحمن العتبي وتتابع له بنون

كل لساني عن وصف ما أجد * وذقت ثكلا ما ذاقه أحد

أوطنت حرقة حشاي فقد * ذاب عليها الفؤاد والكبد

ما عالج الحزن والحرارة في الثكل امرؤ لم يمت له ولد

فجعت باثنين ليس بينهما * إلا ليال ليست لها عدد

فكل حزن يبلى على قدم الدهر وحزني يجده الأبد

وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملا لعلي بن أبي طالب على اليمن فشخص إلى علي وولى علي اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجه معاوية إلى اليمن ونواحيه بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبد الله أخوه جزعا شديدا فقال أبوه

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى * به الدهر أو ساق الحمام إلى القبر

لتستنفدن ماء الشؤون بأسره * ولو كنت تمريهن من ثبج البحر

لعمري لقد أردى ابن أرطاة فارسا * بصنعاء كالليث الهزبر أبي أجر

وقلت لعبد الله إذ حن باكيا * تعز وماء العين منهمر يجري

تبين فإن كان البكا رد هالكا * على أحد فاجهد بكاك على عمرو

ولا تبك ميتا بعد ميت أجنه * علي وعباس وآل أبي بكر

قوله من ثبج البحر فثبج كل شيء وسطه ويروى في الحديث كنت إذا فاتحت الزهري فتقت منه ثبج البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مريت الناقة إذا مسحت ضرعها لتدر وإنما هو استخراج اللبن ويقال مريت برجلي الأرض إذا مسحتها والأصل ذلك فإنما أراد ولو كنت تستخرج

الدموع من نيج البحر وكان بسر بن أرطاة فى تلك الحروب أرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بنى الحرث بن كعب فوارتهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففى ذلك تقول الحارثية

الا من بين الاخوين أمهما هى الثكلى

تسائل من رأى ابنيها * وتستبقى فما تبقى

وفى ذلك تقول أيضا

يا من أحس بنيي اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بنيي اللذين هما * سمعى وطرفى فطرفى اليوم مختطف

يا من أحس بنيي اللذين هما * مخ العظام فمخى اليوم مزدهف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا

أنحى على ودجى طفلى مرهفة * مشحوذة وعظيم الافك يقترف

من دل والهة حرى مفجعة * على صبيين غابا اذ مضى السلف

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عتبة تمثل

اذا سار من خلف امرئ وأمامه * وأوحش من أصحابه فهو سائر

فلما أتاه موت زياد تمثل

وأفردت سهما فى الكنانة واحدا * سيرمى به أو يكسر السهم كاسر

وماتت امرأة للفرزدق بجمع ومعى جمع ولدها فى بطنها (وان شئت قلت جمع يا فتى) فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفى جوفه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

وهذا من البغى فى الحكم والتقدم وقال رجل من المحدثين فى ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا

في يوم واحد وهما طفلان شبيها بهذا ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره وهو الطائي

لهفي على تلك الشواهد فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا
ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال الفرزدق يرثي حدراء الشيبانية

يقول ابن صفوان بكيت ولم تكن * على امرأة عيني اخال لتدمعا
يقولون زر حدراء والترب دونها * وكيف بشيء عهده قد تقطعا
ولست وان عزت علي بزائر * ترابا على مرموسة قد تضعضعا
وأهون مفقود اذا الموت ناله * على المرء من أصحابه من تقنعا
وما مات عند ابن المراغة مثلها * ولا تبعته ظاعنا يوم ودعا

وقال جرير يرثي امرأته

لولا الحياء لهاجني استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار
نعم الخليل وكنت علق مضنة * ولدى منك سكينة ووقار
لن يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار
صلى الملائكة الذين تخيروا * والصالحون عليك والابرار
أأمام حزرة يا فرزدق عبتم * غضب المليك عليكم الجبار

وقال رجل من خزاعة وينحله كثير يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان (قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي

أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور)
جلت رزيته فعم مصابه * فالناس فيه كلهم مأجور

(ردت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور)

والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير

يثني عليك لسان من لم توله * خيرا لأنك بالثناء جدير

ومثله قول عمارة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد

أرى الناس طرا حامدين لخالد * وما كلهم أفضت اليه صنائعه

ولن يترك الأقوام أن يمدحوا الفتى * اذا كرمت اخلاقه وطبائعه

فتى أمعنت ضراؤه في عدوه * وخصت وعمت في الصديق منافعه

ومن قوله والناس مأتمهم عليه واحد أخذه الأبي في مرثيته

ان أبناء الدهر [illegible] * [illegible] بالدهر

[illegible] * [illegible]

وقال الآخر

قد كنت آبى على من نال من أملي * وأملك [illegible] جميع غير أشتات

فاليوم اذ فرقت بيني وبينهم * [illegible] كيف عدل أهل المروآت

[illegible] * [illegible] بين أحياء وأموات

ويروى أن [illegible] عليه السلام

(لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الفراق قليل)

وان افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال عقيل بن [illegible] المري من غطفان

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت * بأمر من الدنيا علي ثقيل

وقالوا ألا تبكي لمصرع هالك * أصاب سبيل الله خير سبيل

كأنَّ المنايا تبتغي في خيارنا * لها تِرَةً أو تهتدي بدليل

لتأتِ المنايا حيث شاءت فإنها * مُحلّلةٌ بعد الفتى بن عقيل

فتى كان مولاه يحلّ بنجوة * فحلّ الموالي بعده بمسيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول مُتمّم بن نُوَيرة

وكنّا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتُبّعا

فلما تفرّقنا كأنّي ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهوّن وجدي عن شراحيل أنني * اذا شئتُ لاقيتُ امرأً مات صاحبُه

وقال أعرابي

ألا لهف الأرامل واليتامى * ولهف الباكيات على قُصيّ

لعمرك ما خشيتُ على قُصيّ * متالف بين نجر والسليّ

ولكني خشيتُ على قصي * جريرة رمحه في كل حيّ

فتى الفتيان محاول ممرّ * وأمّارٌ بإرشاد وغيّ

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب ينبئ صاحبه أن تصدره في المرثي أن تكون منيته قتلا ويتأنف من موته حتف أنفه ويقول في مدحه * وأمّار بإرشاد وغي * وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامر الغدة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل صار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لأربد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام على ان يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن يمنعها اليوم مني ولكن ان

شئت فلك المدر ولي الوبر أو لي المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال فاجعل لي هذا الامر بعدك فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن قال فابشر بخيل أولها عندك وآخرها عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابناقيلة يعني الاوس والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يا رسول الله علام تصحب هذا الاعرابي لسانه عليك دعني أقتله ويروى أن عامرا قال للنبي عليه السلام لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما وتروي قيس أنه قال اللهم ان لم تهد عامرا فاكفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنك مرارا فألا ضربته قال أربد أردت ذلك مرتين فاعترض لي في احداهما حائط من حديد ثم رأيتك الثانية بيني وبينه أفأقتلك فلم يصل واحد منهما الى منزله أما عامر فغدة في ديار بني سلول بن صعصعة فجعل يقول أغدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته وكان أخا لبيد لامه فقال يرثيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والأسد

ما ان تعري المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد

فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد

يا عين هلا بكيت أربد إذ * قمنا وقام الخصوم في كبد

وقال أيضا

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب

يتحدثون مخانة وملاذة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب

يا أربد الخير الكريم جدوده * غادرتني أمشي بقرن أعضب

ان الرزية لا رزية مثلها * فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله في خَلْف يقال هو خَلَفُ فلان لمن يَخْلُفُهُ من رهطه وهؤلاء خَلْفُ فلان اذا قاموا مقامه من غير أهله وقلما يستعمل خَلْفٌ الا في الشر وأصله ماذكرنا والمَخَانَةُ مصدر من الخيانة والمَلُوذُ الذي لا يصدق في مودّته يقال رجل مَلُوذٌ ومَلْذانٌ ومَلاذةٌ مصدره والأعْضَبُ المقطوعُ وفي الحديث لا يُضحَّى بعَضْباء ويروى أن رجلا قال لمَعْن بن زائدة في مرضه لولا ما منَّ اللهُ به من بقائك لكنا كما قال لَبِيدٌ

ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم * وبقيت في خَلْفٍ كجلد الأجرب

فقال له مَعْنٌ أعاند كرأني سُدْتُ حين ذهب الناس هلا قلتَ كما قال نَهارُ بن تَوْسِعة

قَلَّدَتْهُ عُرَى الامورِ نِزارٌ * قبل أن تَهْلِكَ السَّراةُ البُحورُ .

ثم نرجع الى ذكر المراثي وقال أعرابي

لَعَمْري لقد نادى بأرفع صوته * نَعِيُّ حَبِيٍّ أن سيدكم هَوَى

أجَلْ صادقا والقائلُ الفاعلُ الذي * اذا قال قولا أنبطَ الماء في الثَّرَى

فتى قَبَلٌ لم تُعْنِسِ السِّنُّ وجهَهُ * سوى وَضَحٍ في الرأس كالبرق في الدُّجَى

أشارتْ له الحربُ العَوانُ فجاءها * يُقَعْقِعُ بالأقراب أوَّلَ من أتى

ولم يُجْنِها لكن جَناها وليُّهُ * فآسَى وآداهُ فكان كمن جَنَى

ويروى أن عائشة رضي الله عنها نظرت الى الخنساء وعليها صدار من [illegible]

أتلبسين الصِّدارَ وقد نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت لها كان زوجي رجلا متلافًا فأخفق فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرًا فاسأله فأتيته فشاطرني مالَه فأتلفه زوجي فعُدْتُ له فعادني بمثل ذلك فأتلفه زوجي فعدتُ له فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته [illegible] المالَ مُتلِفٌ فامنحها شِرارَها فقال صخر

واللهِ لا أَمْنَحُها شِرارَها * ولو هَلَكْتُ خَرَقْتُ خِمارَها

* واتَّخذتُ من شَعَرٍ صِدارَها *

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وكان صخر أخا الخنساء لابيها فقط ويروى عن بعض نساء بني سُلَيم انها نظرت اليها في صدار وهي تصنع طيبا لابنتها لتنقلها الى زوجها فقاولتها في شئ كرهته الخنساء فقالت لها اسكتي فوالله لقد كنتُ أبسطَ منكِ عرقًا وأطيبَ منكِ ورسًا وأحسنَ منكِ عرسًا وأرقَّ منكِ نعلًا وأكرمَ منكِ بعلًا وكان بشّار يقول لم تقل امرأة شعرا قط الا تبيّن الضعفُ فيه فقيل له أو كذلك الخنساءُ فقال تلك كان لها أربعُ خُصًى وقال القرشي وتتابع له بنون

أَسُكّانَ بطنِ الارض لو يُقبَلُ الفدا * فُدِيتُم وأعطينا بكم ساكني الظَّهرِ

فياليتَ مَنْ فيها عليها وليتَ مَنْ * عليها ثوَى فيها مقيما الى الحشر

فماتوا كأن لم يعرف الموتُ غيرهم * فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبر

لقد شمتَ الاعداءُ بي وتغيَّرتْ * عيونٌ أراها بعد موت أبي عمرو

تَجَرَّى علَيَّ الدهرُ لما فقدتُه * ولو كان حيّا لاجتَرأتُ على الدهر

وقاسمني دهري بَنِيَّ مُشاطِرًا * فلما تَوَفَّى شطرَهُ مالَ في شطري

وحدثني العباس بن الفَرَج الرياشيُّ قال قدِمَ رجلٌ من البادية فلما صار بجبل سَنام مات له بنون فدفنهم هنالك وقال

دَفَنْتُ الدافعينَ الضَّيمَ عني * برابيةٍ مُجاورةٍ سَناما

أقولُ اذا ذكرتُ العهدَ منهم * بنفسي تلك أَصْداءً وهاما

فلم أرَ مثلهم ماتوا جميعًا * ولم أَرَ مثلَ هذا العامِ عاما

(قال أبو الحسن الاخفش وفيها عن غير أبي العباس

قلبت جماسهم انظر [illegible] لنا جماما

قال أبو العباس ويروى أن رجلا كان له بنون سبعة يروى ذلك أبو الحسن المدائني قال أبو العباس فاختلف على في [illegible] موتهم فقال قوم أصابهم حائط وقال آخرون بل طلب لهم في قلبة فسقط فيها أبي فيهم [illegible] اليهم [illegible] فماتوا جميعا والرجل يقال له الحرث بن عبد الله [illegible] فهلكت لجار له شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكي على شاته * يبكي جهارا غير إسرار

ان الرزيات وأمثالها * طلق الحرث في الدار

دعا بني معن واخوانهم * فكلهم يعدو بحفار

قال أبو العباس والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين فالحزم التسلي عما لا يغني التحرقه والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة ومن أحسن القول في هذا المعنى في الاسلام قول علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام [illegible] ابنه فلم ير منه جزع فسئل عن ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفي [illegible] زيادة تنتظر وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحذر أشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليم ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشيء فاله عنه يقال لهيت عن الامر ألهى اذا أضربت عنه ولهوت ألهو من اللعب ومن أقدم ما قيل في هذا المعنى قول أوس بن حجر الأسيدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم يرثي فضالة بن كلدة أحد بني أسد بن خزيمة

أيتها النفس أجملي جزعا * ان الذي تحذرين قد وقعا

ان الذي جمع السماحة والنجدة والحزم والقوى جمعا

(أودى فما تنفع الاساءة من * شيء لمن قد تحاول البدعا)

الألمعى الذى يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا

والحافظ الناس فى تحوط اذا * لم يرسلوا خلف عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وشبه الهيدب العبام من الـ * أقوام سقبا ملبسا فرعا

وكانت الكاعب الممنعة الـ * حسناء فى زاد أهلها سبعا

ليبكك الشرب والمدامة والـ * فتيان طرا وطامع طمعا

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

وفيها زيادة لكنا اخترنا قوله الالمعى الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذى يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف أراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه نجدة كما قال

ناقته ترفل فى النقال * متلف مال ومفيد مال

وقال آخر * فأتلف ذا لذا متلاف كسوب * والمرزأ الذى تناله الرزيئات فى ماله لما يعطى ويتحمل والامتاع الاقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنية فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه وهذا مثل وأصله فى السيف وما أشبهه يقال طبع السيف اذا ركبه صدأ يستر حديده وطبع الله على قلوبهم من ذا وتحوط وقحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال جحرة وكحل وقوله لم يرسلوا خلف عائذ ربعا فالعائذ الحديثة النتاج والربع الذى ينتج فى الربيع ومن شأنهم فى سنة الجدب ان ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالامهات وقوله وعزت الشمأل الرياح يقول غلبتها وتلك علامة الجدب وذهاب الامطار ومن ذلك قولهم من عز بز أى من غلب استلب وفى القرآن وعزنى

فى الخطاب أى غلبنى بالمخاطبة وقوله وقد أمسى كميع الفتاة ذا الكميع الضجيع وهو الكمع
قال الراجز * ومنهل وردته التقاطا * يعنى السيف أى بيت مضاجعى ملتفعا
يقال تلفع فى مطرفه وفى كسائه اذا التفف وتزمل فيه فيقول من شدة الصر يلتفع به دون
ضجيعه . والكاعب التى كعب ثديها يقول تصير كالسبع فى زاد أهلها بعد أن كانت تعاف
طيب الطعام وقوله وذات هدم يعنى امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلق الرث وقوله عار
نواشرها النواشر عروق الساعد والتولب الصغير والجدع السيئ الغذاء وهو بالحاء والقتين

وقال أعرابى

خليلى عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعد
فذاك الفتى كل الفتى كان بينه * و بين المرجى نفنف متباعد
اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عييا ولا عبأ على من يقاعد

وقالت ليلى الاخيلية

دعا قابضا والمرهفات ينشنه * فقبحت مدعوا ولبيك داعيا
فليت عبيد الله كان مكانه * صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حمير العقيلى ثم الخفاجى غزا فغنم ثم انصرف فعرس فى
طريقه فأمن فقال فندت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض مولاه فدعاهما
فذبب عبيد الله شيأ وانهزما وقتل توبة ففى ذلك تقول ليلى الاخيلية

أعينى ألا فابكى على ابن حمير * بدمع كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أزحفت فذكرنه * وقد يبعث الاحزان طول التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يرد المياه السدام اذا بدا * سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر

ولم يقدع الخصم الالد وملا الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر

الارب مكروب أجبت وخائف * أجرت ومعروف لديك ومنكر

فيا توب المولى ويا توب الندى * ويا توب للمستنبح المتنور

قولها التبك عليه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهيجاء تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سدم وهى القديمة المندفقة قال الشاعر

وعلى باسدام المياه فلم تزل * قلائص تخدى فى طريق طلائح

وسنا الصبح ضوءه وهو مقصور فاذا أردت الحسب مددت والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر وقولها ولم يقدع الخصم الالد فالالد الشديد الخصام والسديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين الشديدة الهبوب والصرصر الشديدة الصوت والمستنبح الذى يسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتجيبه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده وقال الاخطل يعير جريرا

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جمع بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها تقذير الفناء ومنها السوءة التى ذكرها من الوالدة وقال آخر

وانى لأثوى البطن من دون ملئه * لمختبط فى آخر الليل نابح

وان امتلاء البطن فى حسب الفتى * قليل الغناء وهو فى الجسم صالح

وقالت ليلى الاخيلية

نظرت وركن من بوانة دوننا * وأركان حسمى أى نظرة ناظر

الى الخيل أجلى شأوها عن عقيرة * لعاقرها فيها عقيرة عاقر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر

ولم يبن أبرادا رقاقا فتية * كرام ويرحل قبل فى بالهواجر

فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور

وكنت اذا مولاك خاف ظلامة * دعاك ولم يقنع سواك بناصر

قولها أى نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أى نظرة وأية نظرة وأيما نظرة وأيما نظرة كأنه [illegible] مررت برجل أيما رجل وتأويله مررت برجل كامل [illegible] موضع كامل وتقول مررت بزيد أيما رجل على الحال ومن قال أى نظرة ناظر [illegible] الابتداء والمخرج مخرج استفهام وتقديره أى نظرة هى كما تقول سبحان الله أى رجل زيد وهذا البيت ينشدونه وجهين

فأومأت ايماء خفيا لحبتر * ولله عينا حبتر أيما فتى

وأيما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلا شأوها عن عقيرة [illegible] وقولها لعاقرها فيها عقيرة عاقر أى قد أصابوا عقيرة نفيسة كقول القائل نعم [illegible] عقيرة وكما تكون وهذا نظير قوله

ولما أصابوا نفس عمرو بن عامر * أصابوا به وترا بنيم ذوى الوتر

يقال ثأر منيم اذا أصابه المثئر هدأ واستقر لأنه أصاب كفوا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا اجترحا فى قومهم أمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وخلاف قول الحرث بن عباد

لا بُجيرٌ أغنى قتيلًا ولا رهـط كُلَيب تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دُرَيد بن الصِّمة

قتلت بعبد الله خيرَ لِداته * ذُؤابَ فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظَبيان التَّيمي من بني تَيم اللات بن ثعلبة حيث قتل مصعب بن الزبير بأخيه النابي بن زياد

ان عُبَيدَ الله مادام سالما * لسار على رغم العدوّ وغادى

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه * حززنا برأس النابي بن زياد

كسر الباء على الاصل كما قال ابن قيس الرُّقَيَّات

لا بارك الله في الغواني هل * يُصبِحنَ الالهُنَّ مُطَّلَب

ومن أخذه من نبأت على القوم أي طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة (قال الاخفش المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمزه وانما أخذه من نبا ينبو فصار مثل رامٍ وقاضٍ وما أشبههما)

وقال أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسري لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد ابن عبد الله

فان تقتلوا منا كريما فاننا * قتلنا أميرَ المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا * شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أميرَ المؤمنين بخالد * مكبّا على خيشومه غيرَ ساجد

وقال الخزاعي بعدُ

قتلنا بالفتى القسريِّ منهم * وليدَهُمُ أميرَ المؤمنينا

(ومروا انا قتلنا عن يزيد * كذاك قضاؤنا في المعتدينا

وبابن السبط منا قد قتلنا * محمدَ ابن هرون الامينا)

فسر يك قتله سوقا فانا * جعلنا مقتل الخلفاء دينا

وقولها او برحل قبل فى الهواجر تريد انه متيقظ ظعان والمولى فى قولها اذا مولاك خاف ظلامة يحتمل ضروبا فالمولى ابن العم وقوله عز وجل وانى خفت الموالى من ورائى يريد بنى العم قال الفضل بن العباس

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

ويكون المولى المعتق ويكون المولى من قوله جل ثناؤه وان الكافرين لا مولى لهم ويكون المولى الذى هو أحق وأولى منه قوله مأواكم النار هى مولاكم اى أولى بكم والمولى المالك وقولها لم يبن أبرادا تريد الخيام ❁ قال أبو العباس وكانت الخنساء وليلى بائنتين فى أشعارهما متقدمتين لاكثر الفحول ورب امرأة تتقدم فى صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء وانك ان ترد اقامتها تكسرها فدارها تعش بها فمن تدر من النساء فى باب من الابواب أم أيوب الانصارية وأم الدرداء ورابعة القيسية ومعاذة العدوية فان هؤلاء النسوة تقدمن فى الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضا حدثنى الجاحظ عن ابراهيم بن السندى قال كانت تصير الى هاشمية جارية حمدونة فى حاجات صاحبتها فأجمع نفسى لها وأطرد الخواطر عن فكرى وأحضر ذهنى جهدى خوفا من أن تورد على مالا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على ان تجرى على لسانها ما فى قلبها وكذلك ما يؤثر عن خالصة وعتبة جاريتى ريطة بنت أبى العباس فأما النساء الاشراف فان القول فيهن كثير متسع فمما ندر من شعر الخنساء قولها ترثى صخرا

يا صخر وراد ماء قد تناذره * أهل المياه وما فى ورده عار

مشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار

وما عجولٌ على بوٍّ تحنُّ له * لها حنينان اعلانٌ واسرارُ

ترتع ما غفلت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبالٌ وادبارُ

يوماً بأوجع مني يوم فارقني * صخرٌ وللعيش احلاءٌ وأمرارُ

وان صخراً لوالينا وسيدُنا * وان صخراً اذا نشتو لنحّارُ

وان صخراً لتأتمّ الهداةُ به * كأنه علمٌ في رأسه نار

لم تره جارةٌ يمشي بساحتها * لريبةٍ حين يخلي بيتَه الجارُ

قولها

يا صخر ورّاد ماءٍ قد تناذره * أهل المياه وما في ورده عار

تعني الموت أي لاقدامه على الحرب والسبنتى والسبندى واحد وهو الجرىء الصدر وأصله في النمر والعجول التي فارقها ولدها والبوّ قد مضى تفسيره وكذلك انما هي اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه في النحو وقولها الى هيجاء معضلة تعني الحرب وقولها كأنه علم في رأسه نار فالعلم الجبل قال الله جل وعز وله الجوارِ المنشآتُ في البحر كالأعلام وقال جرير

* اذا قطعن علماً بدا علمْ * ومن حسن شعرها قولها

أعينيّ جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرىء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا

اذا القوم مدّوا بأيديهم * الى المجد مدّ اليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القومُ ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا

ترى المجد يهوي الى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا

قولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمدح به الشريف قال جرير

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال مروان للمهدى

قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال رجل من طيئ

جدير أن يقل السيف حتى * ينوس اذا أعلى فى النجاد

وقال الحكمى أبو نواس

سبط البنان [illegible] بنجاده * [illegible] السماط قيام

وقال عنترة

بطل كأن [illegible] فى سرحة * [illegible] السبت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد [illegible] ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد أى الطول [illegible] أى [illegible] العرب ما طالت فروعاتى أى ما نابلت فهو نائى ومن ذلك [illegible]

يا عين بكى [illegible] * [illegible] بدمع مسبل هامل

ومن جيد قولها

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الارض أثقالها

هم [illegible] لتسعى الفتى * اذا النفس أعجبها مالها

وان تك مرة اودت به * فقد كان يكثر تقتالها

نشر الشؤون من فقده * وزلزلت الارض زلزالها

هَممتُ بنفسي كلَّ الهموم * فأَولى لنفسي أَولى لها

لأَحمل نفسي على آلة * فإمّا عليها وإمّا لها

قولها حلَّت به الارضُ أثقالها حلّت من الحَلْي تقول زينت به الارضُ الموتى وقال المفسرون في قول الله عز وجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها النعم الفتى اذا النفس أعجبها مالها تقول يجود بما هو له في الوقت الذي يؤثره أهلُه على الحمد والشوامخُ الجبال والشامخ العالي ويقال للمتكبر شمخ بأنفه وقولها على آلة أي على حالة وعلى خُطّة هي الفيصلُ فإمّا لك زرتُ وإمّا هلكت وقولها فأولى لنفسي أولى لها تقول الرجل اذا حاول شيأ فأفلته من بعد ما كاد يصيبه أولى له واذا أفلت من عظيمة قال أولى لي ويروى عن ابن الحنفية أنه كان يقول اذا مات ميت في جواره أو في داره أولى لي كدتُ والله أكونُ السوادَ المُختَرَم وقد مضى هذا مفسَّرا وأُنشد لرجل يقتنص فاذا أفلته الصيد قال أولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان أولى يُطعم القومَ صِدتُهم * ولكنَّ أولى يترك القومَ جُوَّعا

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو وكان معاوية أخاها لابيها وامها وكان صخرٌ أخاها لابيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود معروفا بالتقدم في الشجاعة ومحظوظا في العشيرة

أَريق من دمعِك واستفيقي * وصبرا ان أطقت ولن تطيقي

وقولي ان خير بني سُلَيم * وفارسها بصحراء العقيق

ألا هل ترجعن لنا الليالي * وأيام لنا بلوى الشقيق

واذ نحن الفوارس كلّ يوم * اذا حضروا وفتيان الحقوق

واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد أودى حيدا * أمين الرأى محمود الصديق

فلا والله لا تسلاك نفسى * لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكنى رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

قولها أريقى من دموعك واستفيقى معناه أن الدمعة تذهب اللوعة ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة انى لأجد فى كبدى جمرة لا تطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر فنظر الى رجاء بن حيوة كالمستريح الى مشورته فقال له رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما فقال لولم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدى ثم لم يبك بعدها ولكنه تمثل عند قبره لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلام دابتى ثم وقف ملتفتا الى قبره فقال

وقفت على قبر مقيم بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق

رجعنا الى تفسير قولها وقولها وصبرا ان أطقت ولن تطيق كقول القائل ان قدرت على هذا فافعل ثم أبانت عن نفسها فقالت ولن تطيقى وقولها فلا والله لا تسلاك نفسى تريد لا تسلو عنك كقوله عزوجل واذا كالوهم أووزنوهم يخسرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم وقولها لفاحشة أتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسى عنك له ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت

ولكنى رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا أصيبت بحميم جعلت فى يديها نعلين تصفق بهما وجهها

وصدرها قال عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما * لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا * من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا

اذا تأوّب نوح قامتا معه * ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

قوله ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما يعني أختيه يقول ماذا يرد عليهما العويل والسهر وقوله كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا أراد لترديد النائحة صوتا كأنه زمير وانما يعني بالقصب المزامير كما قال الراعي

زجل الحداء كأن في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

قال الاخفش الزجل اختلاط الصوت الذي لا دمونه [illegible] الحيزوم الصدر وقصبا يعني زمارا شبه صوت الحادي بالمزامير [illegible] صوت [illegible] يعني [illegible] في [illegible]

[illegible] قال عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

[illegible] يعني هو زمار وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا عوتكل يقال نقدت السن اذا اصابها التأكل وكذلك الشجر قال الشاعر

* يألم قرنا أرومه نقد * وقوله بسبت يعني النعل المجردة ويلعج يؤثر واحتاج الى تحريك الجلد فاتبع آخره أوله وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء ساكن وأما قول الفرزدق

خلعن حليهن فهن عطل * ويعن به المقابلة التؤاما

يعني اشترين النعال فليس هذا من هذا الباب انما يعني اشترين نعالا للخدمة وكذلك قوله

أخذن حريرات وأبدين مجلدا * ودار عليهن المنقشة الصفر

يعني القداح يقول سبين فاقتسمن بالقداح واغا قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل ان يصاب صخر أخوها فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار في جمع من بني سليم على غطفان وكان صميم خيلهم فنذر به القوم فاختربوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال

فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

فلما دخلت الاشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة للآخر خبره فقال استطردت له فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله فأينا قتلت فهو ثأرك أما انا لم نسلب أخاك قال فما فعلت فرسه السمى قال هاهي تلك فخذها فانصرف بها فقيل لصخر ألا تهجوهم فقال ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن سبهم الا صيانة للساني عن الخنا لفعلت ثم خاف ان يظن به عي فقال

وعاذلة هبت بليل تلومني * ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالي اذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي * وأن ليس اهداء الخنا من شماليا

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب العرش عني معاويا

وهوّنَ وجدى أنى لم أقُلْ له * كذبتَ ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دُرَيْداً زاد فيها

وذى إخوة قطَّعتُ أرحام بينهم * كما تركونى واحداً لا أخاليا

(قال أبو الحسن الاخفش وزادنى الاحول بعد قوله معاويا

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بَزَّهُ * اذا راح فَحْلُ الشَّوْلِ أحدبَ عاريا)

قال أبو العباس فلما انقضت الاشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم فنظرت غطفان الى خيله عن وضعها فقال بعضهم لبعض هذا صخر بن الشريد على فرسه الشُّمَى فقيل كلا الشُّمَى غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة وأما هاشم فان قيس بن الاسوار الجشمى من جشم بن بكر بن هوازن بن منصور (والخنساء من بنى سليم بن منصور) لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فأرسل عليه سهما ففلق قحقحه فقالت الخنساء

فدى للفارس الجُشَمِىِّ نفسى * وأفديه بمن لى من حميم

فداك الحىُّ حىُّ بنى سُلَيمٍ * بظاعنهم وبالأنس المقيم

كما من هاشم أقررتَ عينى * وكانت لا تنام ولا تُنيم

فأما صخر فسنذكر مقتله مع انقضاء ما نذكر من مراثى الخنساء اياه قالت الخنساء

ألا يا صخر ان أبكيت عينى * لقد أضحكتنى دهرا طويلا

بكيتك فى نساء مُعْوِلات * وكنت أحقَّ من أبدى العويلا

دفعتُ بك الجليلَ وأنت حىٌّ * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلا

وقالت أيضا

تعرقني الدهر نهسا وحزا * وأوجعني الدهر قرعا وغمزا

وأفنى رجالي فبادوا معا * فأصبح قلبي بهم مستفزا

كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس اذ ذاك من عز بزا

وكانوا سراة بني مالك * وزين العشيرة مجدا وعزا

وهم في القديم سراة الأديم والكائنون من الخوف حرزا

وهم منعوا جارهم والنسا * ء يحفز أحشاءها الخوف حفزا

غداة لقوهم بملمومة * رداح تغادر للارض ركزا

وخيل تكدس بالدارعين تحت العجاجة يجمزن جمزا

ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا

جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون ان لا تجزا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

نعف ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعا وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنة في جنبه استقل بها فلما صاروا الى أهله تعالج منها فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يسأل امرأته وهو يقول كيف صخر اليوم فقالت لا ميت فينعى ولا صحيح فيرجى فعلم أنها قد برمت به ورأى تحرق أمه عليه فقال

أرى أم صخر ما تجف دموعها * وملت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى ان أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد أنبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان

فأى امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا فى شقى وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أيا جارتا ان الخطوب قريب * من الناس كل المخطئين تصيب

أيا جارتا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

كأنى وقد أدنوا الى شفارهم * من الأدم مصقول السراة نكيب

قال أبو العباس ومن حلو المراثى وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالما مقدما شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا وفى دهر قريب فله فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى فى شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل وقصيدته لها امتداد وطول وانما نملى منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا قال يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وكان به صبا واعتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ما علة وكان من أجمل الفتيان وأدبهم وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مناذر

حين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد

وسقاه ماء الشبيبة فاهتز اهتزاز الغصن الندى الأملود

وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد

وكأنى أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا * ن سميعا هشا اذا هو نودى

يا فتى كان للمفضلات زينا * لا أراه فى المحفل المشهود

لهف نفسى أما أراك وما عنـ * ـدك لى ان دعوت من مردود

كان عبد الحميد سم الاعادى * وملء عين الصديق رغم الحسود

ماد عبد الحميد رزأ وفد كا * ن رجا لريب دهر كنود

خنتك الود لم أمت كمدا بعـ * ـدك انى على الة حق جليد

لو فدى الحى ميتا لفدت نفـ * ـسك نفسى بطارفى وتليدى

ولئن كنت لم أمت من جوى الحز * ن عليه لأبلغن مجهودى

لا قيمن مأتما كنجوم الليـ * ـل زهرا يلطمن حر الخدود

موجعات يبكين للكبد الحرى * عليه وللفؤاد العميد

ولعين مطروفة أبدا قا * ل لها الدهر لا تقرى وجودى

كلما عزك البكاء فأنفد * ت لعبد الحميد سجلا فعودى

لفتى يحسن البكاء عليه * وفتى كان لامتداح القصيد

وأول هذا الشعر

كل حى لاقى الحمام فمودى * ما لحى مؤمل من خلود

لا تهاب المنون شيأ ولا تر * عى على والد ولا مولود

يقدح الدهر فى شماريخ رضوى * ويحط الصخور من هبود

ولقد تترك الحوادث والايام وهيا فى الصخرة الصيخود

وفى هذا الشعر مما استحسنته

أين رب الحصن الحصين بسورا * ورب القصر المنيف المشيد

شاد أركانه وبوبه با * بى حديد وحفه بجنود

كان يجبى اليه ما بين صنعا * ء فمصر الى قرى بيرود

وترى خلفه زرافات خيل * جافلات تعدو بمثل الأسود

فرمى شخصه فأقصده الدهر بسهم من المنايا سديد

ثم لم ينجه من الموت حصن * دونه خندق وباب حديد

وملوك من قبله عمروا الار * ض أعينوا بالنصر والتأييد

فلو ان الايام أخلدن حيا * لعلاء أخلدن عبد المجيد

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ويح أيد حثت عليه وأيد * دفنته ما غيبت فى الصعيد

ان عبد المجيد يوم تولى * هد ركنا ما كان بالمهدود

(وأرانا كالزرع يحصده الدهر فمن بين قائم وحصيد

وكأنا للموت ركب مخبو * ن سراعا لمنهل مورود)

هدركني عبد المجيد وقد كنت بركن أنوء منه شديد

(فبعبد المجيد تأمور نفسى * عثرت بى بعد انتعاش جدودى

وبعبد المجيد شلت يدى اليمنى وشلت به يمين الجود)

وفى هذا الشعر

فبرغمى كنت المقدم قبلى * وبكرهى دليت فى الملحود

كنت لى عصمة وكنت سماء * بك تحيا أرضى ويخضر عودى

قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مراثى وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن وكانهم يرون ما بعدها من المراثى منها أخذت وفى كنفها تصلح فمنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التى يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى وكان أحد رجلي العرب (قال الاخفش هو منسوب الى الرجل) وهم السعاة السابقون فى سعيهم وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثى فقال افد نفسك فأبى فقال لاقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا ما لم تفتد نفسك فجعل

يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة أنه بالعبلات وأنه مسجد جامعها فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فلقي راكب أعشى باهلة فقال له أعشى باهلة هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحرث المنتشر وكانت بنو الحرث تسمى المنتشر مجدعا فلما صار في أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر

إني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

فبت مرتفقا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر

ينعى امرءا لا تغب الحي جفنته * إذا الكواكب أخطا نوءها المطر

من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر

طاوي المصير على العزاء منصلت * بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

لا تنكر البازل الكوماء ضربته * بالمشرفي إذا ما اجلوذ السفر

وتفزع الشول منه حين تبصره * حتى تقطع في أعناقها الجرر

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه * وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

تكفيه فلذة كبد إن ألم بها * من الشواء ويكفي شربه الغمر

لا يتأرى لما في القدر يرقبه * ولا تراه أمام القوم يقتفر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر

مهفهف أهضم الكشحين منخرق * عنه القميص لسير الليل محتقر

عشنا بذلك دهرا ثم فارقنا * كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر

(فان جزعنا فقد هدت مصيبتنا * وان صبرنا فانا معشر صبر

انى أشد حزيمى ثم يدركنى * منك البلاء ومن آلائك الذكر)

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه * من كل أوب وان لم يأت ينتظر

اما يصبك عدو فى مناوأة * يوما فقد كنت تستعلى وتنتصر

لو لم تخنه نفيل وهى خائنة * ألم بالقوم ورد منه أو صدر

ورّاد حرب شهاب يستضاء به * كما يضى سواد الطخية القمر

اما سلكت سبيلا كنت سالكها * فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

من ليس فيه اذا قاولته رهق * وليس فيه اذا ياسرته عسر

قوله انى أتتنى لسان يقال هو اللسان وهى اللسان فمن ذكر فجمعه ألسنة ونظيره حمار وأحمرة وفراش وأفرشة وازار وآزرة ومن أنث قال ألسن كما تقول ذراع وأذرع وكراع وأكرع لا تبالى أمضموم الاول كان أو مفتوحا أو مكسورا اذا كان مؤنثا ألا ترى أنك تقول شمال وأشمل قال أبو النجم * يأتى لها من أيمن وأشمل * وقال آخر أنشدنيه المازنى

فظلت تكوس على أكرع * ثلاث وكان لها أربع

وأراد باللسان ههنا الرسالة وقوله من عل يقول من فوق فاذا كان معرفة مفردا بنى على الضم كقبل وبعد واذا جعلته نكرة نونته وصرفته كما قال جرير

انى انصببت من السماء عليكم * حتى اختطفتك يا فرزدق من عل

والقوافى مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهى ألف منقلبة من واو لان بناءه فعل من علا يا فتى قال الراجز

وهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت مرتفقا هو المتكئ على مرفقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

اني أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكرها التهوع ومن جزعها منه وروى عن معاوية أنه قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني الا قول ابن الاطنابة الانصاري

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واجشامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

قال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه وقوله لا يأوي على أحد يقال استأم فلان فما أوى على أحد ويقال أودى بالشيء اذا ذهب به [illegible] الكواكب أنواؤها المطر والنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها [illegible] يقولون ذلك في أشياء بعينها وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اذا ذكرت النجوم فأمسكوا يعني أمر الانواء لم يختلف في ذلك المفسرون وعنه عليه السلام في [illegible] أتدرون ماقال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادي مؤمنا بي وكافرا بي [illegible] كافرا بي ومؤمنا بالكواكب فأما المؤمن بي الكافر بالكواكب فهو الذي يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بي الذي يقول مطرنا بنوء كذا والنوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله أي استقل به في تثاقل فالنوء مهموز وهو في الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعي لا يفسر من الشعر ما فيه ذكر الانواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما في القرآن الا ساهيا فيما يذكر

أصحابه عنه و يروى أنه سئل عن غير شيء من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله وادي المصير يقال للواحد المصران مصير وتقديره قضيب وقضبان وكثيب وكثبان والعزاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزاء وكذلك اللأواء وكذلك الجلى مقصور فأما العزاء واللأواء فممدودان وقوله منصلت يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من غمده وقوله ليلة لاماء ولا شجر يريد القفر وفت الصعوبة وقوله لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفي يقول قد عودت الابل ان ينحرها ومن شأنهم ان يعرقبوها قبل النحر والمشرفي السيف وهو منسوب الى المشارف وقوله اجلوذ امتد وأنشدني الزيادي لرجل من أهل الحجاز أحسبه ابن أبي ربيعة

ألا حبذا حبذا حبذا * حبيب تحملت منه الاذى

و يا حبذا برد أنيابه * اذا أظلم الليل واجلوذا

وقوله حتى تقطع في أعناقها الجرر يقول حتى اعتادت أن ينحرها فهي تفزع منه حتى تقطع جررها ومثل هذا قول الحنوت

سأبكي خليلي عنترا بعد هجعة * وسيفي مرداسا قتيل قنان

قتيلان لا تبكي اللقاح عليهما * اذا شبعت من قرمل وأفان

يقول كانا ينحران الابل فهي لا تجزع لفقدهما وقرمل وأفان ضربان من النبت وشبيه بهذا قوله حيث يقول

فلو كان سيفي باليمين تباشرت * ضباب الملا من جعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب فكلما قتل منهم واحد سرت بذلك الضباب واستبشرت وقوله لا يتأرى لما في القدر يرقبه يقول لا يحتبس له ومن ذا سمي الآري لانه يحبس الدابة وقوله ولا تراه أمام القوم يقتفر يقول لا يسبقهم الى شيء من الزاد وقوله ولا

بعض على شرسوفه الصفر الشراسيف أطراف الضلوع والصفر ههنا حية البطن وله مواضع وقوله مهفهف يعنى ضامرا وأهضم الكشحين توكيده وقوله اما تصبك عدو فى مناواة يقول فى وتر يقال ناوأت فلانا بكذا كما قال مهلهل بؤ بشسع كليب أى هو ثأر بالشسع والطخية والطُّخية والطخمة ثلاث لغات شدة الظلمة وكان الذى أصابه هند بن أسماء الحارثى فى ذلك يقول

أصبت فى حرم منا أخا ثقة * هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

يقال هنأه ذلك وهنأ له كما تقول هنيأ لك قال الأخطل

الى امام تغادينا فواضله * أظفره الله فليهنئ له الظفر

وقوله وليس فيه اذا عاسرته عسره مدح شريف مثل قولهم اذا عز أخوك فهن وانما هذا فيمن لا يخاف استذلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته الى باب الذل فأما من كان كذلك فعاسرته أحمد ومدافعته أمدح كما قال جرير

بشر أبو مروان ان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المتخيرة فى المراثى قصيدة متمم بن نويرة فى أخيه مالك وسنذكر منها أبياتا نختارها من ذلك قوله

أقول وقد طار السنا فى ربابه * وغيث يسح الماء حتى تريعا

سقى الله أرضا حلها قبر مالك * ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا

وآثر سيل الواديين بديمة * ترشح وسميا من النبت خروعا

فمجنته منى وان كان نائيا * وأضحى ترابا فوقه الارض بلقعا

فما وجد أظآر ثلاث روائم * رأين مجرا من حوار ومصرعا

يذكرن ذا البث الحزين ببثه * اذا حنت الاولى سجعن لها معا

بأوجع مني يوم فارقت مالكا * ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

وفيها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فان تكن الايام فرقن بيننا * فقد بان محمودا أخي يوم ودعا

تقول ابنة العمري مالك بعدما * أراك حديثا ناعم البال أفرعا

فقلت لها طول الاسى اذ سألتني * ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أم تفانوا فلم أكن * خلافهم أن أستكين وأضرعا

ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة * ورزءا بزوار القرائب أخضعا

ولا فرح ان كنت يوما بغبطة * ولا جزع ان ناب دهر فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مقدما * اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

فعمرك الا تسمعيني ملامة * ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا

وقصرك اني قد شهدت فلم أجد * بكفي عنه للمنية مدفعا

فلو أن ما ألقى أصاب متالعا * أو الركن من سلمى اذا لتضعضعا

وفي هذه القصيدة

لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برم تهدي النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبا أعان اللب منه سماحة * خصيبا اذا ما رائد الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

إذا ابتدر القومُ القداحَ وأوقدت * لهم نارُ أيسارٍ كفى من تضجّعا

بمثنى الأيادي ثم لم تُلفِ مالكاً * على الفرث يحمي اللحم أن يتمزّعا

قوله وقد طار السنا في ربابه السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه قال المازني

كأن الرباب دوين السحاب * نعام تعلّق بالأرجل

وقوله يسح معناه يصب فإذا قلت يسحو أو يسحى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التي يقشر بها وجه الأرض مسحاة قال عنترة

سحّاً وساحية فكل قرارة * يجري عليها الماء لم يتصرّم

وقوله تريع أي كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريع إذا رجع ومنه سمي ريع الطعام لأنه يرجع بفضل قال مزرّد

خلطت بصاعي عجوة صاع حنطة * إلى صاع سمن فوقه يتريّع

والذهاب الأمطار اللينة والدُّجنات من السحاب السود وهو مأخوذ من الدَّجن والدُّجنة ومعناه إلباس الغيم وظلمته قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف المعمّد

ويقال أمرع الوادي إذا أخصب من ذلك قول مولاة ابن الأجيد عن وفد بن دلهم قال أبو العباس حدثني به ابن المهدي أحمد بن محمد النحوي يحدّث به عن الأصمعي عن أبيه عن مولاة ابن الأجيد عن أوفى قال في النساء أربع فمنهن الصدع تفرّق ولا تجمع ومنهن من لها شيئها أجمع ومنهن غيث وقع في بلد فأمرع ومنهن التبع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرثع قلت وما هي قال التي تكحل عينا وتدع الأخرى وتلبس ثوبها مقلوبا

(قال الاخفش حدثني بذلك أبو العيناء عن الاصمعي وذكر نحو ذلك) وقوله وآثر سيل الواديين بديمة زعم الاصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياما برفق وقوله ترشح وسميا أي تهيئه لذلك يقال فلان يرشح للخلافة والوسمي أول مطر يسم الارض والولي كل مطرة بعد مطرة فالثانية ولي للاخرى لانها تليها والخروع كل عود ضعيف وقوله فما وجد أظآر ثلاث روائم أظآر جمع ظئر وهي النوق تعطف على الحوار فتألفه وروائم واحدتها رؤم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال له حين يسقط من أمه سليل قبل أن تقع عليه الاسماء فان كان ذكرا فهو سقب وان كانت أنثى فهي حائل وهو في ذلك كله حوار سنة وقوله ندماني جذيمة يعني جذيمة الابرش الازدي وكان ملكا وهو الذي قتلته الزباء وهو أول من أوقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاخبار ونديماه يقال لهما مالك وعقيل ففي ذلك يقول أبو خراش الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

والمثل يضرب بهما لطول ما نادماه كما يضرب باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معدي كرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

قال هذا من قبل أن يسلم وقال اسمعيل بن القاسم

ولم أر ما يدوم له اجتماع * سيفترق اجتماع الفرقدين

وقوله أرانا حديثا ناعم البال أفرعا الافرع التام شعر الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الفرعان خير أم الصلعان فقال بل الفرعان وكان أبو بكر أفرع وكان عمر أصلع فوقع في نفسه أنه يسئل عنه وعن أبي بكر والاسفع الاسود يقال سفعته النار أي غيرت وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها ويقال عمرك الله أي أذكرك الله قال

عمرتك الله الا ما ذكرت لنا * هل كنت جارتنا أيام ذي سلم

وقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل فى آخر نهاره انتظار الضيف ويروى ان أن عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبت فى شئ مما قلته فى أخيك فقال نعم فى قولى غير مبطان وكان ذا بطن ويقال فى غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرش وقال رجل لفتى والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال رجل لرجل والله ما فُتِقْتَ فَتْقَ السادة ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفرسان والاروع ذو الروعة والهيئة والبَرَمُ الذى لا يترل مع الناس ولا يأخذ فى الميسر ولا يَنزِعُ الا نكدا قال النابغة

هلا سألت بنى ذُبيان ما حَسَبى * اذا الدُخانُ تَغَشَّى الأَشمطَ البَرَما

وقوله اذا القشع وهو الجلد اليابس ويقال لكناسة الحَمَّام القِشْعُ قال أبو هريرة وكُذِّبْتُ حتى رُميتُ بالقِشَعِ ۞ وحدثنى العباس بن الفَرَج الرياشىّ عن محمد بن عبد الله الانصارى القاضى فى اسناد ذكره قال صلى مُتَمِّمٌ مع أبى بكر الصديق الفجر فى عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد فى مَرْجِعِهِ من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرارَ ابن الأَزْوَرِ الأَسَدِىَّ فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمى فرسان بنى يَرْبُوعٍ قال فلما صلى أبو بكر قام متمم بحذائه واتكأ على سِيَةِ قوسه ثم قال

نعم القتيلُ اذا الرياحُ تَناوحتْ * خَلْفَ البيوتِ قَتَلْتَ يا ابن الأَزْوَرِ
ولنعم حَشْوُ الدرعِ كنتَ وحاسرا * ولنعم مأْوى الطارقِ المُتَنَوِّرِ
أَدَعَوْتَهُ بالله ثم غَدَرْتَهُ * لو هُوَ دَعاكَ بذمةٍ لم يَغْدِرِ

وأومأ الى أبى بكر فقال والله ما دعوته ولا غدرته ثم أتم شعره فقال

لا يُمسكُ الفحشاءَ تحت ثيابه * حُلْوٌ شمائلُه عفيفُ المِئْزَرِ

ثم بكى وانحط على سِيَةِ قوسه وكان أعورَ دَميما فما زال يبكى حتى دمعت عينه العوراء فقام

اليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أني رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال له يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر ما عزاني أحد بمثل تعزيته وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر يقول اني لاهش للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا فقال لانه والله يحركني لمالك ما لا يحركني لزيد ومن طريف شعره

لعمري وما دهري بتأبين هالك * ولا جزع والموت يذهب بالفتى

لئن مالك خلى علي مكانه * لفي أسوة ان كنت باغية الأسى

كهول ومرد من بني عم مالك * وأيفاع صدق قد تمليتهم رضا

[illegible] الصرف حتى تتابعوا * كدأب ثمود اذ رغا سقبهم ضحى

اذا القوم قالوا من فتى لمهمة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النهشلي

لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا

وأول هذا المعنى لطرفة

اذا القوم قالوا من فتى خلت أنني * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال متمم أيضا من كلمة له يرثي بها مالكا

جميل المحيا ناجح عند [illegible] * أغر جميع الرأي مشترك الرحل

وقور اذا القوم الكرام تقاولوا * فحلت حباهم واستطيروا من الجهل

وكنت الى نفسي أشد حلاوة * من الماء بالماذي من عسل النحل

وكلُّ فتى في الناس بعد ابن أُمّه * كساقطة إحدى يديه من الخَبْلِ

وبعضُ الرجال نخلةٌ لا جَنَى لها * ولا ظلّ إلا أن تُعَدَّ من النخل

وقال له عمر بن الخطاب انك لجَزْلٌ فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة المظلمة ذات الأزيز والصرّاد يركبُ الجملَ الثِّفالَ ويجنُبُ الفرسَ الجَرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشَّمْلةُ الفَلوتُ وهو بين المزادتين حتى يُصبحَ فيُصبحَ أهلُه متبسّماً. الجمل الثفال البطيء الذي لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنُبه انما يجرّ الحبلَ والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها وذكر لنا أن مالكاً كان من أرداف الملوك وفي تصداق ذلك يقول جرير يفخر ببني يربوع

منهم عُتَيْبةُ والمُحِلُّ وقَعْنَبٌ * والحَنْتَفان ومنهم الرِّدْفان

فأحد الردفين مالك بن نُوَيْرة اليربوعي والردف الآخر من بني رياح بن يربوع والردافة موضعان أحدهما ان يردفه الملكُ على دابته في صيد أو تَرَيُّف أو ما أشبه ذلك من مواضع الأنس والوجه الآخر أنبل وهو أن يخلُف الملكَ اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده.

٥٤- باب

قال أبو العباس لما احتُضر ابراهيمُ النخعي رحمه الله جزع جَزَعاً شديداً فقيل له في ذلك فقال وأيُّ خَطَرٍ أعظم من هذا انما أتوقع رسولاً يَرِدُ عليَّ من ربي اما بالجنة واما بالنار ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول نفسي والله أعزُّ الأنفس عليَّ ولما احتضر حُجْرُ بن عَدِيّ ليُقتَل سأل أن يُمهَل حتى يصلي ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن منشور وقبر محفور ولست أدري أَيُؤَدِّيني الى جنة أم الى نار

(قال أبو الحسن مايقوم بقتل حجر بن عدى شئ وانى لاعجب من قوله هذا ولست أدرى أيدنيني الى جنة أو الى نار وهو شهيد الشهداء رحمه الله) وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصى وكلامه عند الموت ﷺ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حلحلة الفزارى وسعيد بن أبان ابن عيينة بن حصن الفزارى فان عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لحلحلة صبرا حلحل فقال اى والله

أصبر من ذى ضاغط عركرك * ألقى بوانى زوره للمبرك

ثم قال لابن الاسود الكلبى أجد الضربة فانى والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم فى سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيد فقال اى والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب * قد أثر البطان فيه والحقب

ومنهم وكيع بن أبى سود أحد بنى غدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ماتقول قال لا يصلى الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه وكيع ماقال لك المعلوج قال وعدا أنك تبرأ قال أسألك بحقى عليك قال ذكر أنك لا تصلى الظهر قال ويلى على ابن الخبيثة والله لو كانت فى شدقى للكتها الى العصر وروى أن ابراهيم النخعى قال فى الحديث الذى ذكرناه والله لوددت أنها تختلج فى حلقى الى يوم القيامة وفى وكيع بن أبى سود يقول الفرزدق

لقد رزئت بأسا وحزما وسوددا * تميم بن مر يوم مات وكيع
وما كان وقافا وكيع اذا دنت * سحائب موت وبلهن نجيع
اذا التقت الابطال أبصرت لونه * مضيأ وأعناق الكماة خضوع
فصبرا تميم انما الموت منهل * يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا

لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة * تساقى المنايا بالردينية السمر

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة * دعوها وكيعا والجياد بهم تجرى

ومن الجفاة عند الموت هدبة بن خشرم العذرى وكان قتل زيادة بن زيد العذرى فلما حمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادعى عليه فقال له معاوية ما تقول قال أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيت أنما هي ضربة * من السيف أو اغضاء عين على وتر

عمدت لأمر لا يعير والدى * خزايته ولا يسب به قبرى

رمينا فرامينا فصادف سهمنا * منية نفس فى كتاب وفى قدر

وأنت أمير المؤمنين فما لنا * وراءك من معدى ولا عنك من قصر

فان تك فى أموالنا لا نضق بها * ذراعا وان صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررت يا هدبة قال هو ذاك فقال له عبد الرحمن أقدنى فكره ذاك معاوية وضن بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أوما عليك ان تشفى صدرك وتحرم غيرك ثم وجه به الى المدينة فقال يحبس الى أن يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والى المدينة سعيد بن العاصى فما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلت السجن يا أم مالك * ذكرتك والاطراف فى حلق سمر

وعند سعيد غير أن لم أبح به * ذكرتك ان الامر يذكر بالامر

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكرنا الحسين بن على وعبد الله بن جعفر عليهما السلام وسعيد بن العاصى ومروان بن

الحكم وسائر القوم من قريش والانصار فلما خرج به ليقاد بالحرة جعل ينشد الاشعار فقالت له حبى المدينية ما رأيت أقسى قلبا منك أتنشد الاشعار وأنت يمضى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول تعنى امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حبى فقال

ماوجدت وجدى بها أم واحد * ولا وجد حبى بابن أم كلاب

رأته طويل الساعدين شمردلا * كما انعتت من قوة وشباب

فأغلقت حبى الباب فى وجهه وسبته وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدنى فقال له أعلى هذه الحال قال نعم فأنشده

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا أبتغى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب

وحربنى مولاى حتى غشيته * متى ما يحربك ابن عمك تحرب

فلما قدم نظر الى امرأته قد خلته غيرة وقد كان جدع فى حربهم فقال

فان يك أنفى بان منه جماله * فما حسبى فى الصالحين بأجدعا

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت أنفها فقالت أهذا فعل من له فى الرجال حاجة فقال الآن طاب الموت ثم أقبل على أبويه فقال

أبليان اليوم صبرا منكما * ان حزنا منكما اليوم لشر

ما أظن الموت الا هينا * ان بعد الموت دار المستقر

ثم قال

أذا العرش انى عائذ بك مؤمن * مقر بزلاتى اليك فقير
وانى وان قالوا أمير مسلط * وحجاب أبواب لهن صرير
لأعلم أن الامر أمرك ان تدن * فرب وان تغفر فأنت غفور

ثم قال لابن زيادة أثبت قدميك وأجد الضرب فانى أيتمتك صغيرا وأرملت أمك شابة ويزعم بعض أصحاب الاخبار انه قال ما أجزع من الموت وآية ذلك انى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فك قيوده ففكت فذلك حيث يقول

فان تقتلونى فى الحديد فانى * قتلت أخاكم مطلقا لم يقيد

قال أبو العباس ووقف جبار بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل ولم يكن حضره فقال أنعم صباحا أبا على فوالله لقد كنت سريعا الى المولى بوعدك بطيأ عنه بايعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغى ان تجعلوا قبر أبى على ميلا فى ميل وذكر الحرمازى ان الاحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المصعب بن الزبير فى جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيد العرب فلما دفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بنى منقر فقالت لله درك من مجن فى جنن ومدرج فى كفن فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وأن يوسع لك فى قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا وعلى الارامل عطوفا ولقد كنت فى الحى مسودا والى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها ووقف رجل على قبر النجاشى فترحم وقال لولا ان القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لاطنبت بل لاسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى * بأبيض عضب أخلصته صياقله

على قبر من لو أنني متُّ قبله * لهانت عليه عند قبري رواحله

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الانصاري اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فأنشد

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادي قبره بذنوب

نفرت قلوصي من حجارة حرة * نصبت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فانه * شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

نعم الفتى أدى نبيشة رحله * يوم الكديد نبيشة بن حبيب

وربيعة بن مكدم رجل من بني كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي وقيل تقول قتله نبيشة بن حبيب السلمي وكان أهبان أخا نبيشة لامه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان فغاته قتلا نه في بني سليم قال حسان * نفرت قلوصي من حجارة حرة * لان الحرة هنالك لبني سليم وفي تصداق ما تدعيه خزاعة يقول أهبان

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم * يوم الكديد فخر غير موسد

في عارض شرق بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسد

ولقد وهبت سلاحه وجواده * لاخي نبيشة قبل لوم الحسد

وقال أخو ربيعة يجيبه

وان ابن غادية المنية بعدما * رفعت أسفل ذيله بالمطرد

قل لابن غادية المناح لقتلنا * ما كان يقتلنا الوحيد المفرد

يريد أن أهبان مفرد من قومه في أخواله وقال أيضا

فان تذهب سليم بن توبة فانما * فأسلم من ما ازنت تريب

وقالت ليلى الاخيلية

آليت أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه في الحياة المعاير

فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

وروى

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر

فكل جديد أو شباب الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر

وذكر المدائني أن رجلا عزى رجلا أفرط عليه الجزع على ابنه فقال يا هذا سررت به وهو حزن وفتنة وجزعت عليه وهو صلاة ورحمة فسري عنه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزوا عن مصائبكم بي وقال رجل لابن عمر أعظم الله أجرك فقال نسأل الله العافية معناه أنه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بان يكثر ما يؤجر عليه ودل على انه من باب المصائب تعزيته اياه

﴿ ٥٥ ﴾ ﴿وهذا باب طريف من أشعار المحدثين﴾

قال مطيع بن اياس الليثي يرثي يحيى بن زياد الحارثي وكان صديقه وكانا متهمين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهل بكوا لقلبي القرح * وللدموع الهوامل السفح

راحوا بيحيى الى مغيبة * في القبر بين التراب والصفح

راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ * أقدار لم يبتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له * اليوم ومن كان أمس للمدح

وفي يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما

كنت ويحيى كيدى واحد * نرمي جميعا ونرامى معا

ان سره الدهر فقد سرني * أو حادث ناب فقد أقطعا

أو نام نامت أعين أربع * منا وان هب فلن أهجعا

حتى اذا ما الشيب في عارضي * لاح وفي مفرقه أسرعا

سعى وشاة طبن بيننا * فكاد حبل الوصل أن يقطعا

فلم ألم يحيى على حادث * ولم أقل خان ولا ضيعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرثى على بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

يا خير اخوانه وأعطفهم * عليهم راضيا وغضبانا

أمسيت حزنا وصار قربك لى * بعدا وصار اللقاء هجرانا

انا الى الله راجعون لقد * أصبح حزنى عليك ألوانا

حزن اشتياق وحزن مرزئة * اذا انقضى عاد كالذى كانا

قوله يا خير اخوانه محال وباطل وذلك أنه لا يضاف أفعل الى شيء الا وهو جزء منه وقال أيضا

دعوتك يا أخي فلم تجبنى * فردت دعوتى حزنا عليا

بموتك ماتت اللذات مني * وكانت حية اذ كنت حيا

فيا أسفى عليك وطول شوقى * اليك لو ان ذلك رد شيا

وحدثني رجلا من أصحابنا قال شهدت رجلا في طريق مكة معتكفا على قبر وهو يردد شيا

ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لاسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه و بين الابانه

فقلت له يا هذا فرفع رأسه الي وكأنما هب من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكي قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهم قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدوا لي من كل باب يسعى علي في نفسي وفي مالي وفي ولدي فخرج الى الصيد آيس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبيا فأقصده فذهب ليأخذه [illegible] فأنفذ [illegible] سهمه من صفحة الظبي فمر فالتقى بفؤاد [illegible] السهم فلحقه أولياؤه [illegible] والظبي ميتان فقبر [illegible] فأمرت [illegible] فقدم وأنى [illegible] ترتعت عيني على صخرة [illegible] وأومأ الى الصخرة وإذا عليها

ومالي [illegible] أقفلوا بلا [illegible]

قلت أشهد انك تبكي على من كان [illegible] أحق من النسيب [illegible] المحسن [illegible] سبع سنين [illegible] حتى [illegible]

ذلك قوله

لله أنس نجعت بها * ما كان أبعدها من الدنس

أنت البشارة والنعي معا * يا قرب مأتمها من العرس

يا ملك نال الدهر فرصته * فرمى فؤادا غير محترس

كم من دموع لا تجف ومن * نفس عليك طويلة النفس

أبكيك ما ناحت مطوقة * تحت الظلام تنوح في الغلس

يا ملك في وقبيك معتبر * ومواعظ بوحشن ذا الانس

ما بعد فرقة بيننا أبدا * في لذة درك لملتمس

وأخذ ما في صدر هذا الكلام من قول القائل

ربّ مغروس يعاش به * فقدته كفّ مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والأنس * بل للمعالي والرمح والفرس
أبكي على فارس فجعت به * أرملني قبل ليلة العرس
يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس
من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس
أم من لبرّ أم من لفائدة * أم من لذكر الاله في الغلس

ومما أستطرفه من شعر يعقوب قوله

ليت شعري بأي ذنب لمالك * كان هجري لقبرها واجتنابي
ألذنب حقدته كان منها * أم لعلمي بشغلها عن عتابي
أم لأمني لسخطها ورضاها * حين واريت وجهها في التراب
ما وفى في العباد حيّ لميت * بعد يأس منه له في الاياب

وفي هذا الشعر

انما حسرتي اذا ما تذكر * ت عنائي بها وطول طلابي
لم أزل في الطلاب سبع سنين * أتأتى لذاك من كل باب
فاجتمعنا على اتفاق وقدر * وغنينا عن فرقة باصطحاب
أشهرا ستة صحبتك فيها * كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتاني النعي منك مع البشرى فيا قرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها

حتى اذا اقتر السنان وأصبحت * للموت قد ذبلت ذبول النرجس
وتسهلت منها محاسن وجهها * وعلا الانين تحثه بتنفس
رجع اليقين مطامعي يأسا كما * رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله

فجعت بك وقد أينعت * وتمت فأعظم بها من مصيبه
فأصبحت مغتربا بعدها * وأمست بحلوان مثلي غريبه
أراني غريبا وان أصبحت * منازل أهلي مني قريبه
تخلفت على أختها بعدها * فصادفتها ذات عقل أديبه
فأقبلت أبكي وتبكي معي * بكاء كئيب بحزن كئيبه
وقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه الحبيبة أخت الحبيبه
سأصفيك ودي حفاظا لها * فذاك الوفاء بظهر المغيبه
أرالك كملك وان لم تكن * لملك من الناس عندي ضريبه

ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبي للمتوكل على الله قوله

لا حزن الا أراه دون ما أجد * وهل كمن فقدت عيناي مفتقد
لا يبعدن هالك كانت منيته * كما هوى عن غطاء الزبية الاسد
لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم * اذ لا تمد الى الجاني عليك يد
لو أن سيفي وعقلي حاضران له * أبليته الجهد اذ لم يبله أحد

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد
هلا أتته أعاديه مجاهرة * والحرب تسعر والابطال تجتلد
فخر فوق سرير الملك منجدلا * لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد
قد كان أنصاره يحمون حوزته * وللردى دون أرصاد الفتى رصد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له * ليثا صريعا تنزى حوله النقد
عليك أسفا من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد
جاؤا عظاما بما الدنيا يسعدون بها * فقد تقرا بالذى جاؤا وما عقدوا
ثبت نسيأ [illegible] [illegible] العز حين رأت * خدا كريما عليه قارت جسد
أفعتبى شهدت بنى العباس موعظة * لكل ذى عزة فى رأسه صيد
خلا [illegible] لم يسل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد
[illegible] من [illegible] * من بحر ابخت تقفى فوقها الزبد
اذا أبيت ذر الدمع منهملا * وان رثيت فان القول مطرد
قد كنت أسرف فى مالى وتخلف لى * فعلمتنى الليالى كيف أقتصد
لما [illegible] الاحلام بهم * ضيعتم ضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الاحرار نعمتكم * حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعهم * والمجد والدين والارحام والبلد
اذا قريش أرادوا شد ملكهم * بغير قحطان لم يبرح به أود
قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا * حتى كأن الذى نيلوا به رشد
من الاولى وهبوا للمجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

(قال أبو الحسن قوله قارت يقال قرت الدم تقرت تقرا وتاود م قارت قد يبس بين الجلد واللحم

وقرأت فقال * يعني بقرأت من المسلقاتين * ومسلقارت وهو أخفه وأجوده قال

وقاتين مسلقاتين قد قتن قتونا أي يابس لا ندوة فيه)

٥٦ ﴿باب ذكر الأذواء من اليمن في الاسلام﴾

فأما في الجاهلية فيكثرون نحو ذي يزن وذي كلاع وذي نواس وذي رعين وذي أصبح وذي المنار وذي القرنين فأما في الاسلام فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصاري ومنهم قتادة بن النعمان الانصاري ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الاخرى ولا تعتل المردودة منهما ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصاري ذو السيفين كان يتقلد سيفين في الحرب ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأي وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء في الجاهلية محمودة ومنهم سعد بن صفيح ذو الجبال ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الازدي ثم الدوسي ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا في جبينه ليدعو به قومه فقال يا رسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون ان الجبل ليلتهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم في الركعة الثانية فقال ذو اليدين يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذاك فقال بلى يا رسول الله فالتفت الى أصحابه فقال ما يقول ذو اليدين فقالوا

صدق يا رسول الله فنهض فأتم ثم قال اني لا أنسى أو أنسى لاسن

﴿وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية﴾

منهم سعد بن معاذ الانصاري وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشي لئلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفي ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشم من تراب قبره رائحة المسك ومنهم حسان بن ثابت الانصاري قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال فى حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر فى مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم حنظلة بن أبي عامر الانصاري غسلته الملائكة وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معي على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته فى المسلمين فخرج فأصيب ففي ذلك يقول الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح حمي الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالي الملائكة الابـ * ـرار ميتا أكرم به من صريع

وأنا ابن الذي حمت ظهره الدبـ * ـر قتيل اللحيان يوم الرجيع

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك شيء فكتمته فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ومنهم جرير بن عبد الله البجلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل صلى الله عليه يهبط في صورته فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أقد وضعتم سلاحكم ما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يصلوا العصر الا في بني قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بني قريظة فيقول ذاك جبريل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر ابليس في صورة الشيخ النجدي

٥٧ ﴿وهذا باب قد تقدم ذكرنا اياه ووعدنا استقصاءه﴾

اعلم أن كل شيء من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءني رجل اذا لم تدر من هو بعينه أو دريت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والابل ولولا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشيء ليس مما يتخذونه لم

يحتاجوا الى التمييز بين بعضه و بعض يقول الرجل رأيت الاسد فليس يعني أسدا بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذى قد عرفت وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ألا ترى ان ابن عرس وسام أبرص وأم حبين وأبا الحرث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لان هذا مما يتخذه الناس وابن ماء انما هو مضاف الى الماء الذى يعرف فاذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلت فيما أضيفت اليه الالف واللام أو [illegible] فيها كزيد و[illegible] واعلم أن كل جمع مؤنث لانك تريد معنى جماعة ولا تذكر من [illegible] يجرى [illegible] والنون [illegible] كل ما يعقل تقول مسلم ومسلمون [illegible] وتقول [illegible] يسيرون كما تقول [illegible] قال الله عز وجل [illegible] الاصنام رب انهن أضللن [illegible] [illegible] [illegible] بالتأنيث [illegible] لا يكون الا [illegible] الا ما كان من باب المنقوص نحو سنين [illegible] وليس هذا [illegible] وجملته أنه لا يكون الامر [illegible] كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم [illegible] [illegible] قولهم [illegible] اسم مؤنث الا أنك [illegible] عرفت الذكر [illegible] [illegible] وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

[illegible] منكم [illegible] * يطرقن حيث يصول الحية الذكر

وقال [illegible] ضرب من الحيات يكون صغير الجرم ينتفخ ويعظم وينفخ نفخا شديدا [illegible] وتقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للانثى وهذا دجاجة وهذه دجاجة قال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقني * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

يريد ذوات الذيول فالاسم الذى يجمعها دجاجة للذكر والانثى ثم يخص الذكر بأن يقال ديك وكذلك تقول هذا بقرة لهما جميعا وهذا حبارى ثم يخص الذكر فتقول ثور وتقول للذكر من الحبارى خرب فعلى هذا يجرى هذا الباب وكل مالم نذكره فهذا سبيله وقد كنا أرجأنا أشياء ذكرنا انا سنذكرها فى آخر هذا الكتاب منها خطب ومواعظ ورسائل ونحن ذاكرون ماتهيأ من ذلك ان شاء الله قال الاصمعى فيما بلغنى خطبنا أعرابى بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ فى ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم فى الدنيا كنتم ولغيرها خلقتم أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم والمصلى عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والامير جعفر بن سليمن وحدثت فى بعض الاسانيد أن عمر ابن عبد العزيز قال فى خطبة له أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر فى أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ونور قلبه أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد وأن ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل ويروى أن رجلا معروفا ذهب اسمه عنى قال أتيت ابن عمر فقلت أتحجب الجنة لعامل بكل الخيرات وهو مشرك فقال لا فقلت له أتحجب النار لعامل بالشر كله وهو موحد قال عش ولا تغتر لى وأتيت ابن عباس فسألته فأجابنى بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثنى بهذا الحديث القاضى (يعنى اسمعيل بن اسحق) يذكر العتبى أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصير قال خطب الناس بالموسم عتبة فى سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذى يضاعف الله فيه للمحسن ... على المسى ... الاعناق ... غير نا فانها تنقطع دوننا ورب متمنيه فى

أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم وايا كم ولو فقد أتعبت من كان قبلكم وان ترتج من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلاّ على كلٍّ فنعق به اعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل فقال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيؤا وقد أحسنّا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا رجل من بني عامر يمتّ اليكم بالعمومة و يختص اليكم بالخؤولة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة استعيذ بالله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك وذكر العتبي ان عتبة خطب الناس بعقب موجدة فقال يا حاملي الآم آنف ركبت بين أعين انى اغا قلمت أظفاري عنكم ليلين مسّي لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم باقيا عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت أدواءكم والا فان السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمّت عنها آذانكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة اذ جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التي هي أبر وأتقى ثم نزل وذكر العتبي أو غيره ان داود بن علي بن عبد الله بن العباس خطب الناس في أول موسم ملكه بنوا العباس بمكة فقال شكرا شكرا انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ولا لنبني فيكم قصرا أظن عدو الله ان لن نقدر عليه ان روخي له من خطامه حتى عثر في فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الملك في نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لا نهيج منكم أحدا قال وخطب الناس معاوية بن أبي سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس اني من زرع قد استحصد

ولن يأتيكم بعدى الامين أنا خير منه كما لم يكن قبلى الامين هو خير منى وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبنى ففعلن فقال انكن لتقلبنه حولا قلبا ان وقى كبة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنته قرظة ابكينى فقالت

ألا أبكيه ألا أبكيه * ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء وأعطيت جميع الاشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزى كما رزئت فقام ابن همام السلولى فأنشده شعرا كأنما فاوضه الثقفى فقال

أصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا
أصبحت تملك هذا الخلق كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا
ما ان رزى أحد فى الناس نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذى يقلب الامور ظهرا لبطن وقوله ان وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته فى كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلا فى حرب فقال طعنته فى الكبة فوضعت رمحى فى اللبة وأخرجته من السبة والسبة الدبر ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الامير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال

أتيت ضيعتي لأبان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا صخدت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لي هفافة في حديقة قد فتحت أبوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسمك بناني بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخلول ومري وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الايدي ولم يهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع ۞ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوي كما وعدنا في أول الكتاب ومختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقي فقد قيل الراوية أحد الشاتمين قال لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وان أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضي لك ما شئت من الحاجات وأن أطلق من في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الي من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب

المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذى أعطيتنى وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وحبطتموه بفضلنا وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصى والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة فى الاسلام من بينكم فأنا أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا لم تلدنى العجم ولم تعرق فى أمهات الاولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا على بن أبى طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين فى الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل جدى الحسن والحسين فما زال الله يختار لى حتى اختار لى فى النار فولدنى أرفع الناس درجة فى الجنة وأهون أهل النار عذابا فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت فى بيعتى أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك فى ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى لقبول الامان فأما أمانك الذى عرضت على فأى الامانات هو أأمان ابن

هبيرة أم أمات عمنا عبد الله بن علي أم أمات أبي مسلم والسلام فكتب اليه المنصور بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتاني
كتابك وبلغني كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء
كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء ولقد جعل العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل
ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمت
أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما
أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قرب
الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء
من خلقه فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب فان الله لم يهد أحدا من ولدها للاسلام ولو
فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول
الجنة غدا ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فأما
ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا
مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة وأما ما ذكرت
من أنك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانها القرابة قريبة غير أنها امرأة لا تحوز الميراث
ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها
تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم
كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب

أباك طلحة والزبير ودعاه سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر
جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يديه شيعته وخرج الى
المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه فأما
قولك ان الله اختارك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ولا
من عذاب الله هين ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار وسترد فتعلم
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات
الاولاد وانك أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا
وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا
من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو
خير منك ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما
به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه
عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب بغير أوطية كالسبي المجلوب الى الشام ثم خرج منكم
غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم
فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا
يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله
وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على
حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم وابتلى أبوك بالدماء ولقد علمت أن
مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا

فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا الا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم في الكفر وفديناكم من الاسر وورثناكم دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام ۞ قال أبو العباس وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وانا سنذكرها بتمامها في غير هذا الموضع الذي ابتدأنا ذكرها أولا فيه وكان سبب هذه الرسالة افراط خالد في الدالة على هشام وانه أخذ ابن حسان النبطي فضربه بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراط الدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته اياه العراق فكتب هشام الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك وان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى في معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عمايات الغى والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولو أراد أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك

والله ما زادتني ولاية العراق شرفا ولا ولاني أمير المؤمنين شيئا لم يكن من قبلي ممن هو دوني في
مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت
أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى
قلت أطعموني ماء دهشا وبعلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك منهم رزين
وأصحابه ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطائك في مجلسك وجحودك فضله اليك
وتصغير ما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك
مستحقا فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه
فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن
وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي
رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف اسلافا من آل عبد الله
ابن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات
تعلوك وتغمرك وتسكتك وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بداة الامور وأبواب الخلفاء
ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك لعاجلك بالتي كنت أهلها وانها منك لقريب
مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك
فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعمالك المجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين
وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك فبئس
الجنين أنت يا عدي نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك
بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من
كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول الخزي
فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك

عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك الا رائبا بين يديه وعنده من يقررك بها ذنبا ذنبا

ويبكتك بما أتيت أمرا أمرا قد نسيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر

عنك فيما عرفك به من التسرع الى حماقتك فى غير واحدة منها القرشى الذى تناولته بالحجاز

ظالما فضربك الله بالصوت الذى ضربته به مقتضحا على رؤس رعيتك ولعل أمير المؤمنين

يعود لك بمثل ذلك فان يفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهى

سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحى من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من

حوض رسوله وجعل شرك الحى كالفداء ووالله أن لو لم يستدلل أمير المؤمنين على ضعف

غائرك وسوء تدبيرك الا بفسالة دخائلك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائقة

بانعة الفهود ومستحلة الرجال مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك فانك ادعيت أنك

أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل

لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء

على جميع أهل كورك وعملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حابسا لأكثره رافعا

لأقله مع [illegible] مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها ومنا صبتك أمير المؤمنين

فى مولاه حسان ووكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به

وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نبأ أن لم يعف عنك ولكنه يظن أن الله طالبك بأمور أتيتها

غير تاركك ان تكشفك عنها وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التى جباها عمر بن هبيرة

وتوجيهك أخاك أسدا الى خراسان مظهرا العصبية بها متحاملا على هذا الحى من مضر قد

أتت أمير المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسيا الحديث زرنب

وقصص الهجريين كيف كانت فى أسد بن كرز فاذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك

[illegible] تبيعا [illegible] عليك [illegible] واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا

أشد عليك وأفسد للتوقيل أمير المؤمنين خلفه لمن كثير في أحبابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم عوض منك والله من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

﴿هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما أذهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذي نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله﴾

قال الشاعر

اذكر مجالس من بني أسد * بعدوا وحن اليهم القلب

الشرق منزلنا ومنزلهم * غرب وأنى الشرق والغرب

من كل أبيض جل زينته * مسك أحم وصارم عضب

وقال آخر

حياة أبي العوام زين لقومه * لكل امرئ قاس الامور وجربا

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال مسلم

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى * حياة للمكارم والمعالي

جلبت لك الثناء فجاء عفوا * ونفس الشكر مطلقة العقال

وترجعني اليك وان نأت بي * دياري عنك تجربة الرجال

وقيل في المثل المبالغة في النصيحة تقع بك على عظيم الظنة وأنشدني العباس بن الفرج الرياشي

وكم سقت في آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد الظنة المتنصح

وأنشدني الرياشي

إذا الأمر أعنى عنك حنو يه فاجتنب * معرة أمر أنت عنه بمعزل

وقال العتابي

لا ترج رجعة مذنب * خلط احتجاجا باعتذار

وقال أيضا

وقيت كل خليل ودني غمنا * إلا المؤمل دولاتي وأيامي

وقيل للعتابي ما أقرب البلاغة قال ألا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع وقال ابن يسير

اقدر لرجلك قبل الخطو منزلها * فمن علا زلقا عن غرة زلقا

وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتذلق ۞ ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون قال الله عز وجل إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ومجاز الآية أن المفعول الأول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه وفي القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده في الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أي فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به وفي القرآن في مخاطبة فرعون فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك بدرعك يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية وفي القرآن يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم فالوقف يخرجون الرسول وإياكم أي ويخرجونكم لأن تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله

مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

فهرس

الجزء الثانى من الكامل

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

٥٢ ـ باب
فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ

